تحفة الأنفس

وشعار سكان الأندلس

لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي
من علماء القرن الثامن الهجري

تحقيق

د. عبد الإله أحمد نبهان
د. محمد فاتح صالح زغل

إصدارات
مركز زايد للتراث والتاريخ



تحفة الأنفس

وشعار سكان الأندلس

لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي
من علماء القرن الثامن الهجري

تحقيق
عبد الإله أحمد نبهان		د. محمد فاتح صالح زغل



مركز زايد للتراث والتاريخ

تحفة الأنفس

وشعار سكان الأندلس

رقم التصنيف : ١٠٦٣٦ . ٠٩١ ـ تراث ـ تحقيق

المؤلف ومن هو في حكمه : علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، من علماء القرن الثامن الهجري

المحققون : أ. د. عبد الإله نبهان   د. محمد فاتح زغل

عنوان الكتاب : تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس

الموضوع الرئيسي : الخيل وما يتعلق بها من الفروسية والجهاد

الناشر : مركز زايد للتراث والتاريخ ـ العين ـ الإمارات العربية المتحدة

توصيف الكتاب : قياس ١٧ X ٢٤، عدد الصفحات ٤٠٥

قيد الكتاب : تم قيد الكتاب في سجل الإيداع النوعي بقسم الملكية الفكرية وحقوق المؤلف بوزارة الاعلام والثقافة تحت رقم أ م ف ٤/ ٣١٤/ ٢٠٠٣ تاريخ: ٢٠٠٣/١٢/٢٧م

المطبعة : دار البارودي للطباعة والنشر، ص.ب.: ٤٢٨٦٠ أبو ظبي

الرقم الدولي للكتاب : ISBN 9948 - 06 - 105 - 5

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م



مركز زايد للتراث والتاريخ

ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY

ص.ب. ٢٣٨٨٨ العين ـ الإمارات العربية المتحدة

هاتف: ٧٦١٥١٦٦ ـ ٣ ـ ٩٧١ ـ فاكس: ٧٦١٥١٧٧ ـ ٣ ـ ٩٧١

P.O.BOX 23888 AL AIN - U.A.E. - TEL: 971 - 3 - 7615166

FAX: 971-3-7615177 - E-MAIL: ZC4HH@ZAYEDCENTER.ORG.AE


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حفل التراث العربي بالكثير من الكتب التي تحدثت عن الخيل والفروسية، وهي مجال تراثيّ خصبٌ في معارفه، وقيمه العربية والإسلامية، التي يسعى مركز زايد للتراث والتاريخ بمدينة العين إلى تحقيقها ونشرها.

ويُعدّ كتاب **(تحفة الأنفس، وشعار سكان الأندلس)** من المؤلفات المهمة في مجال الخيل والفروسية؛ فمؤلفه علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي من أكثر علماء عصره - القرن الثامن الهجري - إجادة للتأليف في مجالات الخيل، وما يتصل بها من مظاهر الفروسية، وأهميتها في تربية النفوس، وصون الحرمات.

وفي هذه النشرة جهدٌ علميّ رصين، يظهر الكتاب في حلّة جديدة، مستخرجة من نشرة بعناية (لويس مرسييه) التي ظهرت بطريقة التصوير الفوتوغرافي لنسخة مكتوبة بالخطّ المغربيّ سنة ١٩٢٣م، صوّرها مرسييه، وألحق بها عدداً من الصفحات، ضمّنها تصويبات، لما وقع في النسخة المغربية من تصحيفات.

وقد وجد المركز ما يوجب نشر **(تحفة الأنفس، وشعار سكان الأندلس)** لندرة وجود نسخة مرسييه، ولأهمية وجود هذا الكتاب بين أيدي القرّاء والباحثين في التراث العربي والإسلاميّ، ولا سيّما الأندلسيّ منه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المحققان

المؤلف والكتاب

المؤلف: هو علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، لا نعرف عنه شيئاً ذا بال مع أن له عدداً من الكتب المطبوعة، وقد ضنت المصادر الأندلسية والمشرقية التي نعرفها بذكر أخباره، فلم نقع له على أي ترجمة أو مجموعة أخبار، وقد سألنا الصديق الدكتور محمد رضوان الداية – وهو من المتبحرين في الأدب الأندلسي وتاريخ الأندلس وتراثها – عن ابن هذيل فأخبرنا أنه لم يقع له أيضاً على ترجمة في المصادر التي طال تنقيبه وبحثه فيها، وقد كان ابن هذيل في الجزء الثاني من كتابه في الباب السادس عشر المعقود لذكر الرماح في حلية الفرسان وفي نهاية الفصل الأخير منه قد قال :

ومن أبدع ما قيل فيه – أي الرمح – قول شيخنا القاضي الشريف أبي القاسم الحسني – رحمه الله .

واصمٌ ممطولِ الكُعوب إذا اقتضى	مُهَجَ الكُماةِ فَدَيْنُه لا يُمطل
متوقِّدٌ حتى أقول: أذابلٌ	بيديَّ منه أم ذُبالٌ مُشْعَلُ
لولا التهابُ النصلِ أينعَ عُودُه	مما يُعَلّ من الدماءِ ويُنْهَلُ
فاعجب له إن النجيع بطرْفه	رمَدٌ ولا يخفى عليه مَقْتَلُ

وشيخه الذي يشير إليه وينشد أبياته هو الشريف الغرناطي محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الحسيني أبو القاسم، من فضلاء الأندلس وأدبائها وقضاتها ولد بسبتة سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م، وبها نشأ، ثم ولي

ديوان الإنشاء بغرناطة ثم القضاء والخطابة فيها، وولي قضاء وادي آش، ثم أعيد إلى غرناطة وبها توفي وهو في قضائها، وكانت وفاته سنة ٧٦٠ هـ / ١٣٥٩م، فإذا كان هذا القاضي شيخ ابن هذيل فإن هذا الأخير كان بلا شك من رجال القرن الهجري الثامن، وقد ترجم للحسيني لسان الدين في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة.

آثاره : وإذا كنا قد فقدنا أي أثر لترجمة لابن هذيل فإن الرجل قد ترك مجموعة من الأعمال وجد بعضها طريقه إلى النشر في عصرنا، وقد قامت أعماله وما فيها من الفوائد مقام ترجمته وأخباره، والإنسان على كل حال يعرف بأعماله. ونذكر الآن أعماله منسوقة على الحروف :

- **الأبواب**: انظر الفوائد.
- **تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس** – سيرد الكلام عليه.
- **تذكرة من اتّقى**: ذكره ابن هذيل في كتابه المطبوع: عين الأدب والسياسة ص ٢٢٢.

حلية الفرسان وشعار الشجعان :

هذا الكتاب هو في حقيقته الجزء الثاني من كتاب «تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس» وقد أفرده مؤلفه بعنوان مستقل ووضع له مقدمة تشبه إلى حد كبير مقدمة تحفة الأنفس. وقد طبع مستقلاً غير ما مرة فقد نشره لويس مرسيه Mercier عام ١٩٢٢م بباريس بطريقة التصوير عن نسخة مكتوبة بالخط المغربي، ثم نشره المرحوم محمد عبدالغني حسن في دار المعارف بمصر عام ١٩٥٢م، ثم نشره مركز زايد للتراث والتاريخ بتقديم من **سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، نائب رئيس مجلس الوزراء**، عام ٢٠٠٢م.

ويتألف هذا الكتاب من عشرين بابا معظمها يتعلق بالخيل وما يتصل بها من اللغة والنسب والفرسان وخصصت بعض الأبواب الأخيرة للسيف والرمح والترس.

عين الأدب والسياسة وزين الحب والرياسة :

وهو كتاب مؤلف من أربعة أقسام، وقد قسم كل قسم منها إلى فصول وسنذكر عناوين الأقسام لأنها تدل على موضوعات الكتاب.

١- من الأحاديث والحكم والأمثال التي يقوى الشاهد بها ويعظم الاستدلال.

٢- في السؤدد والمروءة ومكارم الأخلاق ومداراة الناس والتأدب معهم في حالي الغنى والإملاق.

٣- في طرف من الحكايات والآداب الصادرة عن أولي الألباب والأحساب.

٤- في جمل من الوصايا والمواعظ الحسان العظيمة الفائدة والمنفعة لكل إنسان.

وقد طبع هذا الكتاب بمطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م وله طبعة أخرى على هامش كتاب «غرر الخصائص الواضحة» لجمال الدين الوطواط (ت ٧١٨هـ) في المطبعة الأدبية بمصر سنة ١٩٠٠م، كما طبع في مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٢٨م، ثم نشرته دار الكتب العلمية ببيروت وصدرت طبعته الثانية عام ١٩٨٥م، وطبعاته هذه غير محققة.

الفوائد المسطرة في علم البيطرة أو الأبواب :

طبع في مدريد سنة ١٩٢٥م وقد علق ناشر كتاب عين الأدب في طبعة دار الكتب العلمية على هذا الكتاب بقوله: هناك بعض الشكوك حول نسبة كتاب الفوائد المسطرة في علم البيطرة. واجدر بهذا أن يكون من تأليف يحيى بن أحمد بن هذيل الطبيب.

كمال البغية والنيل :

ذكر مرسيه أن ابن هذيل ذكره في كتابه عين الأدب والسياسة.

مقالات الأدباء :

ذكره في كتابه عين الأدب والسياسة ص ٢٦٢.

وهكذا نرى أن هذا الرجل المجهول في كتب التراجم قد ترك تراثاً أدبياً جيداً يعتمد الجمع والاصطفاء والترتيب كما لاحظنا في كتبه التي تيسر لنا الاطلاع عليها، وقد صرح بذلك في غير ما موضع من كتبه، قال في مقدمته لكتاب «عين الأدب والسياسة»:

«فإن التأليف غير موقوف على زمان، والتصنيف ليس بمقصور على أوان، لكنها صناعة ربما قصرت فيها سوابق الأفهام، وسبيل ربما حادت عنها أقدام الأوهام، قال بعض الحكماء: لكل شيء صناعة، وصناعة التأليف صناعة العقل.. والذي عليه في التأليف المُدارُ، وهو حسن الانتقاء والاختيار، مع الترتيب والتبويب والتهذيب والتقريب.. وفضيلة هذا التأليف هي في جمع ما افترق، مما تناسب واتسق، واختيار عيون وترتيب فنون، من أحاديث نبوية، ومكارم أدبية، وحكم باهرة، وأبيات نادرة، وأمثال شاردة، وأخبار واردة، ووصايا نافعة، ومواعظ جامعة،

ومروءات سرية، وسياسات سنية، ومعان مستظرفة، وحكايات مستطرفة، وجميع ذلك مطرد بكل شعر جزل، سهل، بريء من الغزل والهزل»، ولا يعدم القارئ مثل هذا الكلام، في مقدمة تحفة الأنفس ومقدمة حلية الفرسان، فالرجل كان بارعاً في اختراع الأبواب ثم في ملئها بمختاراته من كتب الأدب والحديث وغيرها من كتب الثقافة التي كانت معروفة وكثيرة في عصره.

الكتاب : عنوان الكتاب كما ذكره في مقدمته ص ٨: «تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس» وقد ذكر على نحو مختصر في كتابه عين الأدب والسياسة فقال ص ٢٩٦ وص ٢٩٨: ومن المنقول من كتابنا «تحفة الأنفس» وقد سطر اسم المؤلف في أول المخطوط الذي اعتمدناه، فلاشك لدينا في نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه.

أما قيمة الكتاب فتكمن في أنه كان استجابة ثقافية لأوضاع البلاد الأندلسية، وما اعتراها من مد وجزر في ساحة الحروب، ومن وهن وضعف في مجال السياسة، فأراد المؤلف التذكير بأهمية الجهاد وكونه العماد الذي تقوم عليه دولة الإسلام، لذلك نراه يقول: «وذلك هو الذي أوجب على العبد تأليف هذا الكتاب وتلخيصه وتهذيبه وتمحيصه عندما لاذ به وتمسك بفاضل مذهبه في الجهاد والرباط وما ينتظم بذلك من آي قرآنية، وأحاديث نبوية، ومسائل فقهية، وتواريخ علمية، وصناعة فروسية، وآثار ملوكية، وشجاعة طبيعية، وحكمة سياسية، ومكيدة حربية، وأبيات شعرية، وجلاء وكفاح، وخيل وسلاح، وما يختار ويحمد من صفاتها، ويكره ويذم من شياتها، وجميع ما يختص بأحوال المركوب، ويتضمن تعليم الركوب، وتتميم المطلوب» وقدم المؤلف كتابه إلى أمير المؤمنين الغني

بالله أبي عبدالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر في آخر أيام بني الأحمر. وكانت ولاية الغني بالله الثانية عام ٧٦٣هـ/١٣٦٢م وواضح أن حديث المؤلف يشمل الكتاب بقسميه، ونحن إنما نعنى الآن بالقسم الأول الذي اتجه إلى الجهاد والرباط فقط دون الخيل والسلاح. وقد جعل المؤلف هذا القسم في عشرين باباً شاملة لأحكام الجهاد، وما قيل في التحريض عليه، وجامعة لما اتصل به من أخبار الشجاعة والإقدام ووصايا أمراء الجيوش وما يتصل بذلك من شرحٍ لأساليب الحرب وأشكال القتال.

هذا وقد جمع المؤلف مادة كتابه من عدد من المصادر منها ما هو موجود لدينا الآن ومنها ما هو مفقود لم نقع له على أثر، فمما هو موجود ورجعنا إليه ووثقنا الأخبار منه **كتاب السيرة النبوية** لابن هشام **وكتاب العقد** لابن عبدربه **وكتاب سراج الملوك** للطرطوشي **وكتاب الحماسة** لأبي تمام **وكتاب مروج الذهب** للمسعودي أما **كتاب ابن يونس** في فقه الجهاد **وكتاب راحة القلوب والأرواح في الخيل والسلاح** وما يماثلها مما هو مذكور في مقدمة المؤلف فلم نقع لها على أثر مع الأسف.

النسخ المعتمدة في التحقيق :

١- نسخة الأسكوريال (س) :

كتبت هذه النسخة بخط أندلسي وجاءت في ٢٧١ صفحة مشتملة على كتاب تحفة الأنفس بقسميه، ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، لكننا وجدنا في الصفحة الثانية تمليكاً يفيد بأن هذه النسخة كانت

متداولة عام ٨٢١هـ، أي في زمن قريب من عصر المؤلف وسنذكر ها هنا نص التمليك مصححين ما ورد فيه من أغلاط الإملاء والنحو:

«الحمد لله وحده، اشترى هذا السفر بثلاثة ذهب عبيد الله، أقل عبيده وأكثرهم ذنوباً وعصياناً، راجياً عفو الله سبحانه وغفرانه (كلام مطموس) تاب الله عليه ولطف به وغفر الله له ولوالديه، وأماته الله على الإيمان والإسلام ولمن قرأ وقال: آمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله (كلام مطموس) عنه في أواخر المحرم عام أحد وعشرين وثمان مائة».

احتل القسم الأول من الكتاب ١٢٣ صفحة، كان من المفروض أن تشتمل على عشرين باباً، لكن أبواباً سقطت منها ولم يتنبه عليها مرقم صفحات الكتاب، فقد سقط منها الباب الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر.. وقمنا باستدراك هذه الأبواب من نشرة مرسيه.

٢- نشرة مرسيه (م) :

كان لويس مرسيه Louis Mercier المستشرق الفرنسي قد نشر القسم الثاني من «تحفة الأنفس» بعنوان مستقل هو «حلية الفرسان وشعار الشجعان» في باريس عام ١٩٢٢م مصوراً عن مخطوطة بخط مغربي، وألحق بها صفحات من الأغلاط التي وقعت مع تقديم اجتهاد في تصحيحها، ثم قام عام ١٩٣٢ بنشر القسم الأول بعنوان «تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس» وقال في مقدمته «فدونك ذلك الجزء الأول تحت عنوانه الحقيقي، وخطابه الخاص به نشرته بوسيلة الفتوغرافية مثل ما سبق مني للحلية حتى تقوم لديك النسخة محل الأصل المغربي المخطوط».

جاءت صورة هذا المخطوط في ٨٧ صفحة في كل صفحة خمسة وعشرون سطراً متوسط كلمات السطر خمس عشرة كلمة كتبت بخط مغربي، واشتملت على الأبواب العشرين تامة وقد وضع عنوان بخط كبير لكل باب، وألحق مرسيه بالكتاب اثنتي عشرة صفحة على أنها جدول للخطأ والصواب.

عملنا في الكتاب :

اعتمدنا في تحقيقنا للكتاب مخطوطة الأسكوريال (س) لأنها النسخة الأم وهي الأقدم كما بدا لنا، وبعد نسخها عارضناها بنشرة باريس التي رمزنا لها بالحرف (م) وأثبتنا الفروق بين المخطوطتين، واستدركنا الأبواب الساقطة من نسخة الأسكوريال بالأبواب تامة كما جاءت في نشرة باريس. ثم عمدنا إلى الأخبار فحرصنا على ربطها بمرجعيتها التي كانت عماد المؤلف، وقارنا نص الأخبار بأصولها فصححنا ما احتاج إلى تصحيح وقومنا ما احتاج إلى تقويم، وترجمنا لأعلام الكتاب وخرجنا الآيات الكريمة ومعظم الأحاديث الشريفة ووضعنا له الفهارس اللازمة حتى يأتي كصنوه الجزء الأول في دقة التخريج وجمال الإخراج. وبصدوره يكون كتاب تحفة الأنفس قد صدر تاماً بعنوانين، يحمل القسم الأول العنوان الأصلي للكتاب، ويحمل القسم الثاني عنوان «حلية الفرسان وشعار الشجعان».

وإنه لمن الواجب الذي تمليه أخلاقية العمل العلمي أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى **سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان – نائب رئيس مجلس الوزراء**، حفظه الله لرعايته هذا العمل وتبنيه وتقديمه يد العون. وإلى مركز زايد للتراث والتاريخ ممثلاً بمديره الدكتور حسن

محمد النابودة على جهوده وخدمته للعلم والعلماء. وحسبنا أننا بذلنا ما نستطيع من جهد في إخراج هذا العمل في هذا المستوى الذي نرجو أن يكون به لائقاً.

المحققان



نماذج من صفحات

المخطوطات المعتمدة في التحقيق

تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس

تأليف الشيخ العلامة الجليل
أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل
الفزاري الأندلسي الغرناطي
صاحب حلية الفرسان وشعار الشجعان
وغيرهما

واعتنى بإصلاحه ونشره
مترجم حليته
لويس مرسي

نشر لأول مرة بوسيلة الفوتوغرافية
بالمطبعة الشرقية لبول غوتنهر
بباريس

صفحة العنوان من طبعة مرسيه

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال عبد الله الفقير إلى رحمته
علي بن عبد الرحمن بن هذيل رحمه الله

الحمد لله المنعم بسوابغ النعم والآلاء المخصص جزيل النعم
والنعماء الذي أكرمنا بدين الإسلام وهدانا برحمته إلى دار السلام
وأخرجنا إلى نور الإيمان من ظلمات الشرك والأهواء وجعلنا
ممن وفق لطاعته وبكتابه اهتدى وصلى الله
على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله نبي الرحمة ومتمم
مكارم الأخلاق الذي ختم به النبيين ونسخ بشريعته شرائع
الأولين والآخرين [illegible] عليه السلام [illegible] حزبه المجاهدين
مقام الصالحين وكشف بأوليائه المفضلين [illegible] الصابرين
ومنهم المتقين وأخصهم على [illegible] زمر الله ورتبة
وأشرع [illegible] لشرف المحمود [illegible] صلاة تنتظم في
سلكها أهله الطاهرين وصحبه وسلم كثيرا أما بعد
كتب الله الشرف الموثق والعز المؤبد والثناء المخلد للمقام الكريم

الصفحة ١ من نشرة لويس مرسيه

مما جاد في عصره ما حل دونه [illegible] وما كثر بشبهها المجر حيث يسير

ملك الدنيا الذي وقع عليه السلطان [illegible] من [illegible] وعزت بنيته الجميلة أركان

فتشرق الدنيا الشام والعراق [illegible] والجمع [illegible]

والنجم [illegible] عادت بالنصر [illegible] وابتغوا

فنوما [illegible] فكان [illegible]

في الحروب متكفلا وكم [illegible] على البغاة [illegible] واكب الطغاة من حزبه

اغرا متحصنا برفاقه وبوادي وتحفظنا بجانبه ومعاقل من نبع ابي الله [illegible]

الذين من أم واقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه [illegible] فجعل شعار

الجهاد من شيمته فسلك سبيل [illegible] بما [illegible] بمنزلة سحائب الغيث وانجلى بعلو

امله غياهب الملمات وتعرج من الزمان ادهمه وانبلج عمود [illegible]

جزيرة الاندلس [illegible] البحر [illegible] جماعة [illegible]

[illegible] وحضر شوكة اعدائها ورحلة الروم وكم [illegible]

وكلفا [illegible] وخرب ديارها وشتت احوالها وقتل [illegible]

بعظيم [illegible] يتوقع [illegible] بكل [illegible] ويستجلب [illegible] بكل [illegible]

بين [illegible] كالليل والنكل [illegible] كالنحل [illegible]

باتكا [illegible] ضاحكا [illegible] ماضيا باتكا [illegible]

وتشعب [illegible] ونكاية واتى على [illegible] نكالا عليه [illegible] واتم

[illegible] الاندلس [illegible] بركة دولة [illegible] البيضاء [illegible]

[illegible] حضور [illegible] الضرا [illegible]

الذي [illegible] دولته على جميع الدول وجعل [illegible] الارض [illegible] والنوال [illegible] تحت

[illegible] ابقاها الله

في ذروة العز المكين والعز [illegible] والتمكين الواضح [illegible] وفضله

[illegible] اعظم [illegible] واشهر [illegible] ذكرا والجم [illegible]

[illegible] من العلم [illegible] جليل [illegible] اذا كان [illegible] بما يتعلق بجهة الملك

الغالبة عليه ويختص [illegible] المنوطة به وفهم [illegible] الراجع حكمه اليه [illegible]

الصفحة ٢ من نشرة لويس مرسيه

مثلا فإن انتهى إلى العجز والجلد إذ هو المقصود وعليه المعوّل والمراعاة وروى ابن الماجشون ومحمد ان
عُلمت القوة والجلد فإن جهل ذلك اعتبر العدد بلا خلاف واختلف فيمن عجز عن مطاقة اثنين وأشرف على
القتل إن ثبت فهل يجوز انهزامه فقالت طائفة لا يجوز وإن قتل فله الأجر على ذلك وقالت طائفة يجوز طلبا
للنجاة والتخلص على قول عمر أنا فئة لكل مسلم فيعلم من الفرار وتأسّيا بفعال النبي وإن عجز عن مجاهدة
الثبات أو عجز عن المقاومة وقال أبو حنيفة الأمر منصوص ولا اعتبار بالتفصيل وعليه أن يقاتل
ما أمكنه وينهزم إذا عجز عن الطاقة ومات الفتى وهذا المذهب على هذا القول الأول فيما لا يكون
لا يغتر القتال الفوت يقاتل ما أمكنه وينهزم إذا عجز عن الطاقة ولا ينهزم على الأول ولا يجوز له
لا يغتر القتال وهو فيما أردناه يقيس العجز ثم النكر في الانهزام بحيل وغيرها فمهما أنه لا يقطع
بالنجاة في المراجعة ولا يكتفي بالسلامة فلا يجوز إذا علم فيقتل أو ما يضيع العار ومما أنه
لا يكون مع جماعة يجب عليها بعدد القتال والعشر أن يرجع عنهما وهي يكون فيها التحاسي
فإن الجماعة بعضها ببعض ولذلك قال الله تعالى كأنهم بنيان مرصوص وقال النبي صلى الله عليه
وسلم يد الله على الجماعة ما ائتلفت فإذا تفرقت من عرض إبليس للمفترق لا كأي ومنها
أن تعجز الجماعة بأسرها عن العجز عن الطاقة فإن حضر لها النجاة جاز على وجه التحيز ولا امتناع
وإن لم يحضر لها النجاة لم يجز الفرار وأما الفرار بالجمع فإن جاز وأمن أن يفتتح
إليه ولذا جاز ذلك لما فعل خالد بن الوليد يوم مؤتة لما قتل أمراء قبله فلم يعنفه النبي صلى الله
عليه وسلم كان بعد ذلك على وجه النكر والعلم لغلبة الظن بالسلامة والله أعلم وأما
ما يفعله أهل العسكر والجمهور والغزاة في هذا الزمن من الانهزام عند رؤية العدو قبل ...
القتال والقتال ومواقعة ما يحصل الرعب بقلوب الضعفاء لما يرجى به الطاعة الجميلة من القتل ولا سيما
لا يجوز لمسلم بوجه وفيه معنى الحال وهو من أعظم المنكر والله يحفظنا منهم ولنا في الأرحمة
الله ما جاء عن عمر رضي الله عنه من التحيز المعقول أنا فئة لكل مسلم وقال الحسن إن هو
الوقت ما عرفوا الملكة وقال الأعمش البطه قال ابن الجراح وإنما كان الفرار إلى الوالي حيث طعنهم
الذي تحدث ومما كانت مرتبة وتربة فعار الفترة إلى النبي صلى عليها يحبها وأعز اكثر
من قلبهم الرعب حتى يلحق لا يغار إلى العسكر ... ولكنهم وأما الانحياز عن الثلثين
وعن الغلبة فهو جائز وما يكره لأمير الجيش ما يكون لله أيام وأما الفرار والتولي ولم أشرح
ما كتب من العلماء بإضعاف كتبه فصل الأجل على أنهم يغترون بأن يهتوا قال الجيب السي

الصفحة ٤٥ من نشرة لويس مرسيه

ان يثبتوا اذا وجدوا الى ذلك سبيلا وان لم يجدوا فلهم ان يقاتلوا حتى يقتلوا ومن احتسب نفسه
على الله بشرط الشهادة ومن تبع مشى فقتل وهو يجد منصرفا [illegible] على الله ان [illegible] قتل مع [illegible] له
افضل الشهادة وانما معنى [illegible] بالموت قبل ان يموت فاحتسب نفسه [illegible]
بحال الرجل الذي كانت بيده تمرات ياكلهن فقال ما بيني وبين الجنة [illegible] فرمى بها
من يده وقاتل حتى قتل [illegible] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يحبهم الله
[illegible] الرجل يلقى العدو في فئة [illegible] في سبيل الله [illegible] وقال
[illegible] ان الله تعالى [illegible] لملائكته [illegible]
اصحابه [illegible]
[illegible] وانما
[illegible] التهلكة [illegible]
[illegible]
[illegible] والشجاعة [illegible] احتسب نفسه على الله [illegible]
[illegible] على الكتيبة [illegible] وكانت فيه شجاعة
[illegible] التهلكة [illegible]
[illegible] التهلكة [illegible]
[illegible]
[illegible] الله تعالى [illegible] في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
وقال [illegible] العدو [illegible] المسلمين [illegible]
[illegible] العدو [illegible] وقال [illegible]
[illegible] ايضا [illegible]
[illegible] على [illegible] العدو [illegible]
[illegible]
[illegible] الزحف [illegible] وفي كتاب
[illegible] الزحف اذا [illegible]
[illegible] العدو [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] اثني عشر الفا [illegible]

الصفحة ٤٦ من نشرة لويس مرسيه

[illegible]

انتهى القسم الاول من الكتاب
بحمد الله تعالى وعونه وصلى الله على
سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
والحمد لله على توفيقه ونعمه

الصفحة الأخيرة من نشرة لويس مرسيه

جدول الخطأ والصواب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١	١٩	وتلاز	وله
	١١	الزوابل	الزوايل
٢	١	اقرأ: يا باري نجمة ولاحق دونه .. ولا كرم الجد [illegible]	
٢	٤	اقرأ: ملك الدنيا الذي وقع عليه الاصطلاح .. [illegible] لسيره بجملة الرياح .. وتسوقت اليه الشام والعراق .. [illegible] الطرف [illegible] .. والجمع [illegible] لولا [illegible] الضرعبان .. وان [illegible] الزمان والعدد .. ولو لم [illegible] لكان [illegible] والمعمور [illegible]	
	٦	اقرأ: لسلوك سبيل الرشاد	
		بالجح	بالجح
	١١	ودلتها	ودلتها
	١٩	موجود	موجود
		معصورة	محصورين
	٢٢	بتجنه	بتجنبه
٣	٤	اقرأ: ويكرم جوهر الطبوع وذلك [illegible]	
	٢٠	رسالة الفرس	رسالة الفرس
	١٣	جميعها	جميعها
٤	١	الطواب	الصواب
	٢٣	والحلية	والحلبة

من نشرة لويس مرسيه

الصفحة الأولى من مخطوطة الأسكوريال

الحمد لله وحده

استشهد المستعير بلا ثقة ذهب

عبيد الله افقر عبيده واكثرهم ذنوبا

وعصيانا راج عفو الله سبحانه

وغفرانه [redacted]

تاب الله عليه ولطف الله به وغفر الله

له ولوالديه واماته الله على الايمان

والاسلام ولمن قرا وقال امين امين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله و

الحمد لله وحده

[redacted] ورا عنه باواخر

المحرم عام ... وعشرين وثلاثمائة

الصفحة الثانية من مخطوطة الأسكوريال

زياد يقول لغزاته تحينوا الشتاء فإنما تلقوا فيهما العدو والشتاء و
يحصون أولو حربه وأغزى الوليد بن عبد الملك جيشا في الشتاء
فغنموا وسلموا فقال الوليد للحجاج أين رأي زياد من رأينا قال يا أمير المؤمنين
قد أخطأ وليس كل عورة تصاب. وقال دريد بن الصمة لمالك بن عوف
النصري فارس هوازن يوم حنين يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك
وإن هذا يوم له ما بعده من الأيام ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء
الصغير قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال ولم ذلك
قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم فانقض به
ثم قال راعي ضأن والله وهل يرد المنهزم شيء إنها إن كانت لك لم
ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك
ومالك ويحك إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئا
ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعليا قومهم ثم الق الصبا على متون الخيل
فإن كانت لك لحق بك من وراءك وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك
ومالك قال لا والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر علمك فقال دريد هذا
يوم لم أشهده ولم يفتني ثم أنشأ يقول

يا ليتني فيها جذع . أخب فيها وأضع . أقود وطفاء الزمع
كأنها شاة صدع . وكان قتيبة بن مسلم يقول

الصفحة ٥٥ من مخطوطة الأسكوريال

لأصحابه إذا غزوتم فأطيلوا الأظفار وقصروا الشعور وأحفوا
الناس فإن ذلك لهم رمزا وأطعموهم خبزا. وكان هشيم بن دريد
يقول لبنيه قصروا الأعنة واشحذوا الأسنة تأكلوا القريب
من هيكم العدو. وقال عيسى بن علي لما وجهني المنصور إلى الربذة
لمحاربة بني عبد الله بن الحسن جعل يوصيني ويكثر فقلت يا أمير
المؤمنين إلى متى توصيني ... إني أنا الشيخ الحسام المهند
أكلته حنقي وفريته غمدي ... فكلما أنطقته عض عضدي

الباب العاشر في التحريض على الجهاد

ينبغي للإمام أن يحرض الناس ويحض على الجهاد بقول الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم فقال عز من قائل يا أيها النبي
حرض المؤمنين على القتال. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر يقول
والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا
مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة. وروي أنه صلى الله عليه
وسلم قال لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه فدنا
المشركون فقال صلى الله عليه وسلم قوموا إلى جنة عرضها
السموات والأرض فقال عمير بن الحمام من بني سلمة وبيده تمرات يأكلهن بخ
بخ ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء القوم

الصفحة ٥٦ من مخطوطة الأسكوريال

ويستعان بالأخيار البالغين وبالمراهقين إن كان فيهم منة. روي أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض غلمان الأنصار في كل عام
فمر به غلام فأجازه في البعث. وعرض عليه سمرة بن جندب الفزاري من بعد
فرده لصغر سنه فقال سمرة يا رسول الله لقد أجزت غلاما ورددتني ولو
صارعته لصرعته قال فصارعه إذا قال سمرة فصارعته فصرعته فأجازني رسول
الله صلى الله عليه وسلم في البعث. ويستعان بالنساء إذا كان فيهن منة
روي أن عجوزا أتت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها رسول الله
ألم يأذن لك سيدك قالت لا قال لو قيل لك لتخرجن لقلت قال سيدي هو خير يا رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقاتل **ويجوز** تحريق أرض
الحرب وزرعهم وقطع أشجارهم إن لم يمكن أن يملكها المسلمون وكذلك قطع
شجرهم وهدم بيوتهم وحرق كل ما يمكنهم إذا أيس من أن يكون ذلك ملكا
عن استعمالها بإسلامهم أو يضعفهم به فيعين ذلك على الظفر بهم حتى أن ظفر
فإن لم يرج أن يملكه المسلمون تركه. وقد قطع النبي صلى الله عليه وسلم كروم متعذرا
الطائف فكان سببا لإسلامهم وأحرق بني النضير فقطع نوع من نخلهم
يقال له الصفرة ترى النوى من ورائها وكانت النخلة أحب إليهم
من الوصيف فنوا له. ولما كان ذلك عظم بعض المسلمين فقالوا يا رسول
الله هل لنا فيما قطعنا من أجر وعلينا فيما تركنا من وزر فأنزل الله عز وجل

الصفحة ٧١ من مخطوطة الأسكوريال

ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي
الفاسقين. ويكره تحريق النخل وتغريقها إذا لم يكن انتزاع العدو منها
ودون ذلك بيعها [illegible] وتجوز تعقير مواشيهم وقطعها عنهم
[illegible] كان فيهم نساء أو أطفال لأنه أقرب إلى استئصالهم وضعفهم والظفر بهم
[illegible] منهم [illegible] كان للإمام [illegible]
بين قتله أو تركه [illegible] ومن قتل منهم [illegible] وقد أمر النبي
صلى الله عليه وسلم [illegible] عن الكفرة
[illegible] روي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تعذبوا عباد الله بعذاب الله [illegible] فيه من
النكاية [illegible]
[illegible]
[illegible] قال [illegible]
وفي كتاب [illegible]
[illegible]
[illegible] ولا يجوز قتل النساء والصبيان [illegible]
[illegible] وروي أن النبي صلى الله عليه
وسلم نهى عن قتل [illegible]

الصفحة ٧٢ من مخطوطة الأسكوريال

62.

لمعرفة الجيش إن كرنا أن نولده وكم من أنواع الحيل تحوز المكايد
في حال نقص وبعض من تجاربه عدو ما يكون موديا للضعف. بأول من
الصقال السياسة لين في غير ضعف. وشدة في غير عنف. ويحسن
السياسة يطول الرياسة. قدم الخوف على الرجاء. أخر العجل تأمن
الزلل. تنعم الحرب يشجع القلب. من تهيبه عدوه تفرجهم إليه نفسه
جبنا. الهزيمة تحت العزيمة. الحيل أبلغ من العمل الذي أرى الشريف
أخذ امن من ابن الشريف. الظفر خلاف عزمك من رأيه عنه. احسم الرجيف
من جواسيس بمحرك. شيئ الصبر والجه القطع. تؤمن ما ورد
الجاهل ما تقدر من تميل به غيبته أو فتنة. خل العدو وحتى رجع
إليك. ان تصل الغرض حتى تنال النجاة. الثاني تعزل المكر هيبة
السمع في غير تخوف من الكتف. بسم النكث يكسر معظم العسكر
دار العلو بما يقويهما. فخر رجعك رجع العدو إليك. فمع أهل
الكفنة أمانك. اخبر العدو الباطن اخبر أهل المراكز. يأمر بحركة
سلمت منها على معاودة مثلها. اخبر كثير الجواسيس. اسمع الكيس
يصعد الضعيف. اخبر كثير الشاماتة إليك. أعمل على أن كل من يعه
عسكرك عليك. خالف الاعجاب. تحز الطرق. الصدق في حال
ازعاق الحرب يزين أهل الشجاعة أمانك. لا تسر وضع الكمين

الصفحة ١٢٢ من مخطوطة الأسكوريال

الحزم [illegible] عدوك في هذه الحال الا أن تأخذ من عدوك مثل الذي
يأخذه. قوة النفس والحزم أبلغ من قوة البدن. تحرز في عدوك ما
يجتهد [illegible] عند لقاء العدو. لا تستضعف العدو فتغتر. لا تستهن بأول التدابير
فتهون عليك العواقب. أن تبخل بالمال على أعدائك خير [illegible] على أعدائك
لا تدع الغنيمة [illegible] تدخل العسكر [illegible] لا
[illegible] لا [illegible] لا تبلغ في آثار المنهزمين
الحزم التعريض للنهب [illegible] في النكاية. [illegible] عند
المواقفة. لا تهمل التعبية عند المناوشة فإن فساد التعبية من أعظم
الخلل. [illegible] على العدو فرصة. الحزم [illegible] أصحابك
[illegible] عدوك. لا تجعل [illegible] عند الحرب. الحزم [illegible] عدوك
[illegible] بالحرب الهزيمة. ثم تعرض للغنيمة. من ضيع كتمانه [illegible]
أمانة. الحزم ما استطعت [illegible] من النفوس فإن لم تكن
[illegible] عند إمكان الفرصة. [illegible]
[illegible] أبلغ من [illegible] كلمة [illegible] النصر مع [illegible]
[illegible] التعزيز. الحزم [illegible] واستعن [illegible]
مع معونة الله تعالى [illegible] العاقبة [illegible] الجزع. [illegible]
[illegible] الحزم من [illegible] تصلح الرأي [illegible]

الصفحة ١٢٣ من مخطوطة الأسكوريال

تحفة الأنفس

وشعار سكان الأندلس

لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي
من علماء القرن الثامن الهجري

مقدمة المؤلف

[س ٣] [م/١] بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيّدِنا ومَوْلانا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم.
قال عبدُ الله الفقيرُ إلى رحمته عليّ بنُ عبدِالرحمن بنِ هذيلٍ وفّقه الله:

الحمدُ لله المنعمِ بسوَابغِ المِنَن والآلاء، المحسن بجلائل القِسَمِ والنعماء، الذي أكرمَنَا بالإسلام وهدانا برحمته إلى دار السلام، وأخرجنا إلى نور الهدى من ظُلَمِ الشِّركِ والردى، وجعلنا ممَّنْ وُفِّق لطاعته وبكتابه اقتدى.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد عبدِهِ ورسولِه نبيِّ الملاحم، ومتمِّمِ المكارم الذي خَتَمَ به النبيين ونسخ بشريعته شرائع الأولين والآخرين، فمحا - عليه السلام - بسيوف حزبه المجاهدين مقال الْمُلْحِدين، وكفَّ بأوليائه المهتدين أكفَّ المارقين ومكرَ المعتدين، وأظهر على كلِّ ثَنيةٍ وفْد الله وركْبه، وأشعر دينه القيِّم شَرْقَ المعمور وغَرْبه، صلاةً تنظِمُ في سلكها أهْلَهُ الطاهرينَ وصَحْبَه، وسلَّم كثيرا.

أما بعْد :

- كتبَ اللهُ النصرَ المؤيَّدَ، والعزَّ المؤبَّدَ، والثناء المخلَّدَ، للمَقَامِ الكريم/ [س٤] السنيِّ الجليل، الطاهر العليِّ، مقام مولانا وملجئنا ومَنْجَانا، وعِصْمة دِيننا ودُنيانا، ظهيرِ الدين وعماد المؤمنين، وخليفةِ رَبِّ العالمين، [قمر السَّعْد وصفوة بيت الملك الرفيعِ المجد، ذي الآثار العليّة والمآثر الجهاديّة] الشهير المناقب، العالي المراتب، أميرِ المسلمين الغنيِّ بالله **أبي عبدالله محمد** (١) **ابن الهُمَام** الأوحد الأشرف الأمجد، المثيل الخطير، الشهير الكبير، الكريم المآثر، السامي المفاخر، أمير المسلمين

(١) تولّى مملكة بني الأحمر عام ٧٩٧هـ وهو السلطان الحادي عشر من ملوك الدولة النصرية.

المقدّس أبي الحجّاج **يوسف** ابن مولانا الهمام الأعْلى، الأوحد الأسمى، الأشهر الأكبر الأرضى، المجاهد الأمضى، حامي حِمَى الإسلام، وصدر الملوك وعلم الأعلام، أمير المسلمين المقدس **أبي الوليد إسماعيل بن نصر**، وارثِ الفخر الأنصاريّ، ومنتهى الشرف العربيّ، وناهيك من شرفٍ صميم، ومُنْتَمىً كريم، وفخر كبير، وعلاءٍ شهير، ومجدٍ ما فوقَه مُرْتقى لمجد، ولا مجالَ لِحَمْدٍ، وقَدْرٍ رفَعَ الله محلّه على الأقدار، وجعل نجاره من السادة الأخيار، البررةِ الأنصار، الذين ثبتوا مع رسول الله - ﷺ - عند الفرار، وكابدوا من أجله حدَّ الذّوابلِ وذُلّق الشّفار: سؤدد يكلُّ في وصفه القِرْطاسُ والقلم، وتعجز/ [س٥] عن حَصْرِهِ العرب والعجم/ [م ٢] .

فمـــا جَازَهُ مَجْدٌ ولا حلَّ دونَه ولكنْ يصيرُ المجدُ حيثُ يصير (١)

مَلِكُ الدنيا الذي وقعَ عليه الإصفاق، والتأم به الاتّفاق، وتحدّثت بسِيَرِهِ الجميلةِ الرفاق، فتشوّفت إليه الشام والعراق، اليُمْن مكتَنفٌ بسلطانه، والظفر مبتسمٌ عن سنانه، والنُّجْح عاقدٌ لوائه، والحمدُ نسجُ ردائه، إذا خفق لواؤه، آذنتْ بالنصر هيجاؤه، وإنْ غزا قوماً أو نهدَ إلى بلد، تقدّمَهُ جيشان من الرعب والعدد، ولو لم يَقُدْ جحفلاً، لكان بنفسه في الحروب متكفلاً، وكيف لا؟!! وهو قدْ سَلَبَ البُغَاةَ الأمرَ قَسْرا، وإكسبَ الطغاة من

(١) هذا البيت لأبي نواس من قصيدته التي مدح بها الخصيبَ امير مصر وأولها :

اجـــارة بيتينا ابـــوك غيـــور وميسور ما يرجى لديك عسير

ص ٤٨٠ - ٤٨١، ديوان أبي نواس «احمد عبد المجيد الغزالي» المجلد الثاني، الناشر دار الكتاب العربي - بيروت - بلا تاريخ.

خوفه ذعرا، فتحصنًا برقاقه وبواتره، وتحبّسنًا بمحاسنه ومَفَاخره، حين نَهجَ - أيّده الله - طريقَ الدين من أَمّ، واقتدى بالنبيِّ - ﷺ - وأصحابه خير الأمم، فجعل شعاره الجهادَ، وشيّمتُهُ سلوك سبيل الرشاد، فانْجمت بعدْله سحائب الخيرات، وأنجمت بعوامله غياهب الملمّات، وتفرّجَ من الزمان أدهمُه، وانبلج عمود الأمان ولاح مَبْسَمُهُ، وعادت به جزيرة الأندلس في حِرْزٍ من نَزَغات الفتن، وحفْظٍ من لَزَبات الإحن، فحمى حِماها، وذبَّ عن أرجائها وفَصم رَداها، وحصدَ شوكةَ أعدائها ووطىء الرومَ/ [س ٦] وكفّها من غُلْوائها، وذلّلها بعد استيلائها، وخرّب ديارها، وشتّتَ أحوالها، وقتل حُماتها وأبطالَها، فعظيمُهم منْ أجْلِه يتوقّع الحُتُوفَ في كلّ لحظة، ويُستجلبُ العُطوفَ بكلِّ لفظة، فالخَوفُ بين ضلوعه كالصلِّ، والثُّكْل في أحْشَائِه كالنّصل، لا يرى من الليل ستْراً حالكاً إلاّ ظنّه جيشاً فاتكا، ولا من النهار ثغراً ضاحكاً إلا توهّمهُ عضْباً باتكا، وقد حُمَّ لذلك حِمامُه وتشعَّب نثره ونظامُه، وأتى على ضوئه ظلامُه، وبكى عليه رمُحه وحسامُه.

واتّضحَ بهذا القطرِ الأندلسيِّ دينُ الإسلام ببركة دولةِ هذا البطلِ الهُمَام، مَعْمُورَ الأرجاء، مَوْفورَ النُّعْماء، مضمون النماء، مصون السرّاء، محجوبَ الضراء،

فالحمدُ لله الذي شرف دولته على جميع الدّول، وجعل ملوك الأرض لها كالأتباع والخَوَل، فهم تحت طاعتها يمرحون، وفي مَوْرد عنايتها يكرعون، وإليها في مهماتهم يفزعون.

أبقاها اللهُ تعالى في ذروة العزّ المكين، والحِرْزِ الأمين، والتّوفيق الواضح المُستّبين بِمنّه وفضْله وكرمه وطَوْله.

فإنّ أعظم الفوائد قدْراً، وأشرفَ المعاني ذكْراً، وأنجحَ المساعي أمراً، أن يُرْفَعَ فنٌّ من العلم نبيل إلى مقام ملكٍ جليل، لا سيَّما إذا كان ذلك فيما يتعلّق بصفةِ المُلْكِ/ [س٧] الغالبة عليه، ويختصُّ بسجيته المنوطة به، وقُطره الراجعِ حكمه إليه، فيتضاعف/ [م ٣] شرف الموضوع، ويبهر كمال المصنوع، ويكرم جوهر المطبوع، وذلك هو الذي أوْجَبَ على العبد تأليف هذا الكتاب وتلخيصه وتهذيبه وتمحيصه عندما لاذَ به وتمسّك بفاضل مذهبه في الجهاد والرِّباط ومايَنتظم بذلك من آيٍ قُرْآنيةٍ، وأحاديثَ نبويّةٍ، ومسائلَ فقهيةٍ، وتواريخَ علمية، وصناعة فروسية، وآثارٍ ملوكيّة، وشجاعةٍ طبيعية، وحكمةٍ سياسيّة، ومَكيدةٍ حربية، وأبياتٍ شعرية، وجِلادٍ وكفاح، وخيل وسلاح، وما يُختار ويُحمد من صفاتها ويُكْرَهُ ويُذَمُّ من شياتها، وجميع مايختصّ بأحوال المركوب، ويتضمن تعليم الركوب، وتتميم المطلوب إنْ شاء الله، لنقضي بذلك من حقّ مولانا - أيده الله - بعضَ ما وجب، وإنْ كان المؤلفون بجميع فنونهم ينسلون إليه من كلّ حدْب، فإني اعتمدتُ على مقصدٍ شريف، ومنْزعٍ يوجب لقاصده التنويه والتشريف.

وجمعتُ هذا الكتاب من جملة تواليف، وانتقيتُه من غير ما تصنيف ككتاب ابن يونس **في فقه الجهاد، وكتاب ابن المنذر أيضاً في الجهاد وكتاب سيرة أجواد الأنجاد في مراتب الجهاد، وكتاب يقظة الناعس لتدريب المجاهد/ [س ٨] الفارس، وكتاب تهذيب الإمعان في الشجاعة والشجعان، وكتاب راحة القلوب والأرواح في الخيل والسلاح، وكتاب سياسة ابن حزم، وكتاب سراج الملوك ونظم السلوك، وكتاب العقد، وكتاب مروج الذهب، وكتاب**

ابن أبي حزام، وكتاب الدمياطي في الخيل وكتاب الحميدي، وكتاب رسالة الفرس، وكتاب الحماسة، إلى غير ذلك من التواليف التي [كأنها] لنزارة المنقول منها هنا لم تكتب، ومن الأجزاء التي لصغر حجمها لم تنسب. فجاء بحمد الله تعالى في فنّه مجموعاً كافياً، وفي معناه أسلوباً شافياً، تذكرةً لمن عُني بالجهاد وتبصرةً لأرباب الطِّعان والجلاد، وتنبيهاً للفارس، وعوناً للبطل الممارس، وسمّيته: **«تحفة الأنفس وشعار سكّان الأندلس»** وقسمته على قسمين جامعين لفوائد غريبة، ومعانٍ صحيحة غير سقيمة ولا معيبة، يشتملان على أربعين باباً، فالقسم الأول في الجهاد والرِّباط وما يتعلق بهما ويحتوي على عشرين باباً:

- **الباب الأوّل** منه : في فضل الجهاد وما أعدّ الله للمجاهد والشهيد في سبيله.
- **الباب الثاني** : في الرباط وفضله وما خُصّت به من ذلك جزيرة الأندلس.
- **الباب الثالث** : في فَرْض الجهاد.
- **الباب الرابع** : فيما يفعله الغازي عند خروجه/ [س ٩] إلى الجهاد.
- **الباب الخامس** : في مشاركة الغازي/ [م ٤] ومعاونته وتجهيزه.
- **الباب السادس** : فيما يجب على الأمير أن يفعله في السفر.
- **الباب السابع** : في امتثال الغازي أمر إمامه وأمير عسكره وقائد جماعته.

- **الباب الثامـــن** : في حكم ولاة الثغور وذكر الصوائف.
- **الباب التاسـع** : في وصايا أمراء الجيوش.
- **الباب العاشـر** : في التحريض على الجهاد.
- **الباب الحادي عشر** : فيما يجوز فعله في الغزو، وما لا يجوز فعله فيه.
- **الباب الثاني عشـر** : فيما يجب عمله عند إرادة اللقاء.
- **الباب الثالثَ عشـرَ** : في القتال والمزاحفة إليه وما قيل في التحرّف والانحياز.
- **الباب الرابعَ عشـرَ** : في مصابرة العدو ومواقفَتِه عند اللقاء.
- **الباب الخامسَ عشـرَ** : في المبارزة.
- **الباب السادسَ عشـرَ** : في الشجاعة والإقدام.
- **الباب السابعَ عـشرَ** : في صفةِ الحرب وتدبيرها والمَكِيدةِ.
- **الباب الثامن عشـر** : في الفروسية والتجنّد.
- **الباب التاسع عشـر** : في ذكر مشاهير فرسان العرب في الجاهلية والإسلام.
- **الباب العشـرون** : في الأمور المحصنة من التغرير، والداعية إلى النصر في الحرب.

- والقسم الثاني في الخيل والسلاح/ [س١٠] وما يتعلّق بهما ويحتوي أيضاً على عشرين باباً :
- **الباب الأول منه** : في خَلْق الخيل وأوّل مَنْ اتخذها وانتشارِها في الأرض.
- **الباب الثانـي** : في فضائل الخيل وما جاء في ارتباطها.

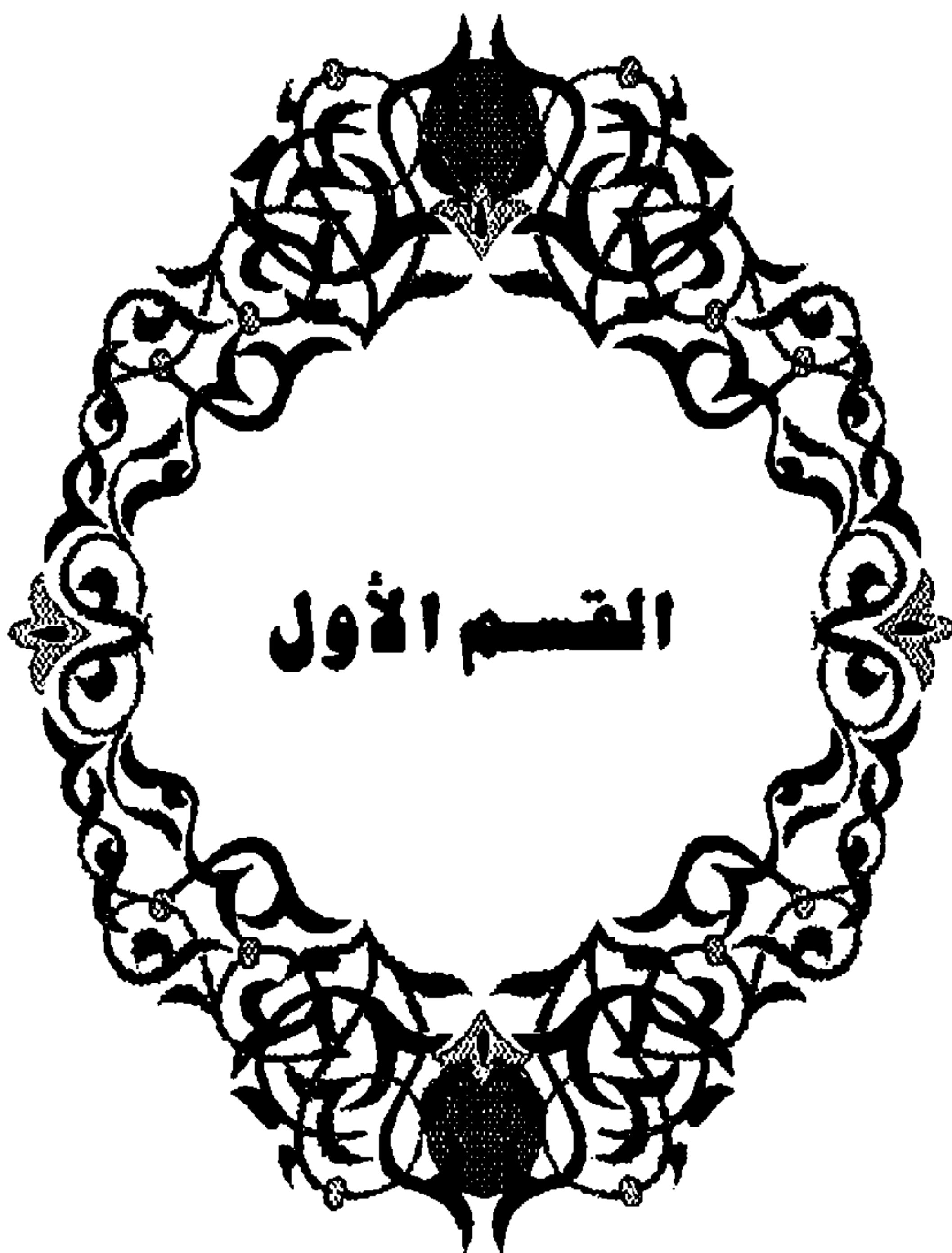
- الباب الثالث : في حفظ الخيل وصَونها والوصية بها.
- الباب الرابع : فيما تسميّه العرب من أعضاء الفرس وعدد ما في ذلك من أسماء الطير.
- الباب الخامس : فيما يستحب في أعضاء الفرس من الصفات وما يُستحسن أن يكون شبيهاً به من الحيوان.
- الباب السادس : في ألوان الخيل وذكر الشّيات والغُرَرِ والتّحْجيل والدوائر.
- الباب السابع : فيما يُحْمَدُ من الخيل وصفة جيادها وأسماء العِتاقِ والكِرام منها.
- الباب الثامن : في عيوب الخيل خلقةً وعادةً.
- الباب التاسع : في اختيار الخيل واختبارها والفِراسة فيها.
- الباب العاشر : في تعليم ركوب الخيل على اختلاف حالاته.
- الباب الحادي عشر : في المسابقة بالخيل والحلبة والرِّهان.
- الباب الثاني عشر : في اسماء خيل رسول/ :[م٥] الله - ﷺ - وفحول خيل العرب ومذكوراتها.
- الباب الثالث عشر : في ذكر ألفاظٍ شتّى وتسميات أشياء تختصّ بها الخيل.
- الباب الرابعَ عشرَ : في ذكرِ نَبْذَةٍ من الشعر في إيثار العرب الخيلَ على غيرها وإكرامها لها وافتخارها بذلك.
- الباب الخامسَ عَشرَ : في ذِكْر/[س١١] السيوف.
- الباب السادسَ عشرَ : في ذكْر الرماح.
- الباب السابعَ عشرَ : في ذكْر القِسيّ والنّبْل.

- **الباب الثامنَ عـــشرَ** : في ذكر الدروع.

- **الباب التاسعَ عـــشرَ** : في ذكر التّرَسة وشبهها.

- **الباب العشـــــرون** : في السلاح والعُدَّة على الإطلاق.

وهو آخر أبواب القسم الثاني وبه تمّت الأربعون باباً، جعل الله ذلك من المقاصد النافعة، وكتبها عنده في النيّات الصالحة الشّافعة فهو وليّ التوفيق والهادي إليه.



القسم الأول

الباب الأول

في فضل الجهاد وما أعد اللـــه

للمجاهد والشهيد في سبيله

في فضل الجهاد
وما أعدّ الله للمجاهد والشهيد في سبيله

وكتابِ الله سبحانَه أفضلُ راشدٍ وأصدقُ شاهدٍ يشهدُ، ولا شيء أعظم ممّا عظّمه الله تبارك وتعالى، وقد دلّنا على تجارةٍ رابحة، وصفْقَة بالفوز والنجاح راجحة، فقال عزّ من قائل: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا هل أدلّكم على تجارةٍ تُنْجيكم مِنْ عَذابٍ أليم، تؤمنونَ بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خيرٌ لكم إنْ كُنْتُمْ تعلمون، يغفرْ لكم ذنوبكم ويدخلكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ ومساكنَ طيبةً في جنّات عَدْنٍ، ذلك الفوز العظيم، وأخرى تُحبّونها نصرٌ من الله وفتح قريبٌ وبشّرِ المؤمنين ﴾ (١) .

والجهاد في اللغة العربية مأخوذ من الجَهْد، ومن ذلك قولهم: بلغ جُهْدَهُ ومَجْهوده وجَهْدَه الأمر إذا استنفدَ/ [س١٢] وُسْعَهُ وطاقته (٢)، قال الله العظيم: ﴿ وجَاهدوا في اللهِ حقَّ جهاده ﴾ (٣) أي دافعوا عن دينه وقاتلوا في سبيله بغاية القدرة ومنتهى القوّة.

---

(١) سورة الصف ٦١/١٠، ١٣.

(٢) في العربية : جَهَدَ يَجْهَد جهداً: جدّ، ويقال: جَهَد في الأمر، أي طلب حتى وصل إلى الغاية. وبلغ المشقّة أيضاً. وجاهد العدوّ مجاهدةً وجهاداً قاتله. والجهادُ شرعاً قتالُ مَنْ ليست له ذمةٌ من الكفار. عن الوسيط.

(٣) سورة الحج : ٢٢/٧٨ .

والمأمور به من ذلك شرعاً هو الصَّبْرُ على حَرْب العداة ورَدْع البُغَاة وقتالِ الطُّغاة وحَبْس النفس على مكارهها الدينية في العاجل لتنال بذلك دَرْكَ مَسَارِّها، ودفع مضارِّها في الآجل.

قال سبحانه: ﴿ إنَّ الذينَ آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمةَ الله والله غفورٌ رحيم ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، ومَنْ يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ (٢) .

[م ٦] وقال عزّ وجلّ: ﴿ وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ﴾ (٣) .

وقال جلّ وعلا: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبُلَنا ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ثمَّ قُتلوا أو ماتوا ليرزقَنَّهمُ الله رِزْقاً حسناً، وإنَّ الله لهوَ خير الرَّازقين، ليدخلنَّهم مُدْخلاً يرضونه وإنَّ الله لعليمٌ حليم ﴾ (٥) .

وقال سبحانه: ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا مَنْ يَرْتَدَّ منكم عَنْ دِينه فسوفَ يأتي الله بقومٍ يحبّهم ويحبّونه أذلّةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين،

---

(١) سورة البقرة : ٢/٢١٨ .

(٢) سورة النساء : ٤/٧٤ .

(٣) سورة النساء : ٤/٩٥ والآية بتمامها: «لا يستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضّلَ الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً وكلاً وعدَ الله الحُسْنى وفضّلَ الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً».

(٤) سورة العنكبوت : ٢٩/٦٩ وتتمة الآية : «وإنّ الله لمعَ المحسنين».

(٥) سورة الحج : ٢٢/٥٨ ، ٥٩ .

يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومةَ لائم، ذلك فضلُ اللهِ يؤتيه مَنْ يشاء والله واسع عليم ﴾ (١) .

وقال تبارك وتعالى وذكر أحوال المجاهدين: ﴿ ذلك بأنّهم لا يُصيبُهم ظمأ ولا نَصَبٌ ولا مَخْمَصَةٌ [س١٣] في سبيل الله ولا يطؤون موطناً يغيظ الكفّار ولا ينالون من عدوٍ نيلاً إلا كُتب لهم به عملٌ صالح، إنّ اللّه لا يضيع أجر المحسنين، ولا ينفقون نفقةً صغيرةً ولا كبيرة ولا يَقْطَعون وادياً إلا كُتب لهم، ليجزيهم الله أحسنَ ما كانوا يعملون ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ والذينَ قُتلوا في سبيل الله فلن يُضلَّ أعمالهم سيهديهم ويصلح بالَهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ (٣) .

وقال سبحانه: ﴿ إنَّ الله يُحبّ الذينَ يقاتلون في سبيله صَفّاً كأنَّهم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (٤) .

وقال عزّ من قائل: ﴿ إنَّ اللّه اشترى من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بأنَّ لهم الجنةَ يُقاتِلونَ في سبيل الله فيقْتُلون ويُقْتلون وعْداً عليه حقّاً في التوارة والإنجيل والقرآن ومَنْ أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ (٥) .

---

(١) سورة المائدة : ٥/٥٤ .

(٢) سورة التوبة : ٩/١٢٠، ١٢١ وبداية الآية ١٢٠ قوله تعالى: «ما كان لأهل المدينة ومَنْ حولهم من الأعراب أن يتخلّفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك... ».

(٣) سورة محمد : ٤٧/٤، ٥، ٦ وبداية الآية الرابعة : «فإذا لقيتمُ الذين كفروا فضربَ الرقاب حتّى إذا أثخنتُموهم فشدّوا الوثاقَ فإمّا منا بعدُ وإما فداءً، حتّى تضعَ الحربُ أوزارها، ذلك ولو يشاء الله لانتصرَ منهم ولكن ليبلوا بعضَكم ببعض والذين..».

(٤) سورة الصف : ٦١/٤ .

(٥) سورة التوبة : ٩/ ١١١ .

وقال سبحانه في الشهداء: ﴿ ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون، فرحينَ بما آتاهم الله من فضله ويستبشرونَ بالذين لم يلحقوا بهم من خلْفِهم ألّا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يَحْزنون، يسْتبشرون بنعمةٍ من الله وفضلٍ وأنّ الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرْحُ، للذين أحسنوا منهم واتّقوا أجر عظيم ﴾ (١) والآي في ذلك والدلالات كثيرة.

ومما روي في المجاهدين والجهاد من الآثار وورد في مشهور

الأخبار ما روي عن أبي ذرّ(٢) أن رسول الله - ﷺ - قيل له: أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: إيمانٌ بالله وجهادٌ/ [س١٤] في سبيله .

وروي أنه - ﷺ - قال لرجل سأله: لو قمتَ الليلَ وصمتَ النهارَ ما بلغت نوم المجاهد .

وفي رواية أخرى: ما بلغت غبارَ شراكِ نَعْلِ المجاهد .

وسئل - ﷺ- أيّ الناسِ أفضلُ؟ فقال: مؤمنٌ مجاهدٌ في سبيل الله بماله ونفسه .

وقال - ﷺ -: ما بعد الصلاة المكتوبة أفضل عند الله من الجهاد .

---

(١) سورة آل عمران : ٣ / ١٦٩ ، ١٧٢ .

(٢) أبو ذر (ت : ٣٢ هـ : ٦٥٢ م) : جندب بن جُنادة بن سفيان من بني غفار من كنانة من خزيمة، من كبار الصحابة، قديم الإسلام، يضرب به المثل في الصدق، هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام وجاء إلى دمشق في أيام عثمان وولاية معاوية، ثم استدعاه عثمان إلى المدينة ونفاه إلى الربذة من قرى المدينة، وتوفي بها. عن الأعلام : ٢ : ١٤٠ - الإصابة ٧/ ٦٠ .

وقال - ﷺ -: لَغُدْوةٌ في سبيل الله أو رَوْحَةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها (١) .

وقال - ﷺ -: [م ٧] ما اغبرّت قدما عَبْدٍ في سبيل الله فتمسّه النار (٢) .

وقال - ﷺ -: عينان لا تمسّهما النار، عين بكت في جوف الليل من خشية الله، وعينٌ باتت تحرس في سبيل الله (٣) .

وقال - ﷺ -: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت

---

(١) الحديث في **فيض القدير** ٥٠٠٧/١٠ برقم : ٧٢٨٦ وتتمته: ولقابُ أحدكم أو موضع قِدّه في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولو اطّلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفُها على رأسها خير من الدنيا وما فيها. وقد أحال محققه إلى **مسند أحمد** ٣ : ٢٦٤ **والبخاري** ٦ : ٢٧٩٦ **ومسلم** ٣ : ١٨٨٠ **والترمذي** ٤ : ١٦٥١ **وابن ماجة** ٢ : ٢٧٥٥ عن أنس. والقّاب : القَدر . والقِدّ : السوط .

(٢) ورد هذا الحديث بطرق متعددة وألفاظ مختلفة كما في **كتاب الجهاد لابن أبي عاصم** ١ : ٣٢٥ برقم : ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧ فعن أبي أمامة: ما من رجل يغبارّ وجهه في سبيل الله إلا أمّنه الله دخان النار يوم القيامة. عن **الطبراني في المعجم الكبير** ٨ : ١١٤ برقم: ٤٧٨٢ **وابن عدي في كتاب الكامل** ٢ : ٥٨٧ .

وعن **معاذ بن جبل** قال: قال رسول الله (ﷺ) : «والذي نفسي بيده ما تغبّرت قدما عبدٍ قط ولا وجهه في شيءٍ أفضل عند الله من الصلاة المفروضة من الجهاد في سبيل الله عز وجل. عن **الطبراني في المعجم الكبير**٢٠ : ٧٥ : ١١٤ .

وعن **رافع بن خديج** قال: سمعت أبا عيسى يقول: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: مَنْ اغبّرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار.

انظر **البخاري**: باب المشي إلى الجمعة ٢ : ٣٩٠ : ٩٠٧ **والترمذي في كتاب فضائل الجهاد**: باب ما جاء في فضل من اغبّرت قدماه في سبيل الله ٤ : ١٧٠ : ١٦٣٢ كما ورد الحديث في سائر كتب الحديث والسنن.

(٣) الحديث في **فيض القدير** ٨ : ٤٠٦٩ برقم : ٥٦٤٧ عن أبي يعلى في مسنده ٧ : ٤٣٤٦ والترمذي ٤ : ١٦٣٩ عن ابن عباس وفيه : عينان لا تمسهما النار أبداً. وفي فيض القدير ٨ : ٤٠٧٠ الحديث نفسه بدون كلمة (أبداً) الترمذي ٨ : ٤٠٧٠ .

بآيات الله، لا يَفْتُر من صيام ولا قيام ولا صلاة حتّى يرجعَ المجاهد في سبيل الله (١) .

وقال - ﷺ -: لا يَجْتَمعُ الإيمانُ والشحُّ في جَوْفِ رجلٍ مسلم، ولا يجتمعُ غُبَارُ الجهاد ودخانُ جهنّم في جَوْفِ رجلٍ مسلم (٢) .

وقال - ﷺ -: لا يجتمع كافرٌ وقَاتِلهُ في النار أبداً (٣) .

وروي أنه - ﷺ -: لم يكن يتلثم من الغبار في سبيل الله (٤) .

---

(١) الحديث مشهور في كتب الحديث في أبواب الجهاد، وقد ورد مختصراً في **كتاب الجهاد لابن ابي عاصم** ١ : ١٨٢ برقم : ٢٩ وقال محققه: أخرجه ابوبكر ابن ابي شيبة في المصنّف ٥ : ٢٨٧ وسعيد بن منصور في السنن ٢٣٢٠ ومن طريقهما مسلم في صحيحه: **كتاب الإمارة** ٣ : ١٤٩٨، ١٤٩٩ واللفظ له، وأخرجه مسلم من طريق أخرى والترمذي في جامعه: **كتاب فضائل الجهاد**: باب ما جاء في فضل الجهاد ٤ : ١٦٤ برقم: ١٦١٩ **وأحمد في المسند** ٢ : ٤٢٤، ٤٥٩ **وأبو عوانة في صحيحه** ٥ : ٤٤، ٤٥ **وابن حبان في صحيحه** ١٥٨٥ - زوائد. **والبيهقي في السنن الكبرى** ٩ : ١٥٨ **وفي شعب الإيمان** ٢ ق. ٨٩ ب وللحديث طرق أخرى..

(٢) هذا الحديث أورده **ابن ابي عاصم في كتاب الجهاد** ١ : ٢٣٩ برقم : ١١٩ بلفظ.. في جوف امرىء مسلم، وأورد في رواية أخرى عن عائشة برقم ١٢٠ قالت : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد مؤمن أبداً. وفي رواية أخرى عن أبي هريرة: في جوف عبدٍ ابداً. قال محقق كتاب الجهاد: أخرجه **الطبراني في المعجم الأوسط** ٢: ٤٥٣، ١٩٣٢ وأخرجه عبدالله بن المبارك في كتاب الجهاد ٣٠ ومن طريقه الترمذي في جامعه في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله ٤ : ١٧١ برقم ٢٣١١ والنسائي في سننه، كتاب الجهاد: باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه ٦ : ١٢ **ومحمد بن سري في كتاب الزهد** ٤٦٥ وأخرجه **الطيالسي في مسنده**: ٢٤٤٣.

(٣) الحديث ذكره فيض القدير ١١ : ٦٥١٤ برقم ٩٩٤٩ وعنه: مسند أحمد ٢ : ٢٩٧ ومسلم في كتابه ٣ : ١٨٩١ وأبو داود ٣ : ٢٤٩٥ والبيهقي في سننه ٩ : ١٦٥ عن أبي هريرة.

(٤) في سنن النسائي برقم: ٣٠٦٢ و ٣٠٦٣ عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: لا يجتمع غبار في سبيل الله عز وجل ودخان جهنم في منخري مسلم أبداً. وذكر **ابن ماجة في كتاب الجهاد** ٢٧٦٤ قول الرسول (ﷺ) لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف مسلم..

وقال - ﷺ -: مَنْ لم يغزُ ولم يحدِّثْ نفسَه بغزْوٍ مات على شُعْبةٍ من نِفَاقٍ (١) .

وقال - ﷺ -: [س ١٥] مَنْ لقيَ الله بغير أثرٍ من جهاد لقي الله تعالى وفيه ثلمة (٢) .

وقال - ﷺ -: لَموقِفُ ساعةٍ في سبيل الله أفْضَلُ من شُهودِ ليلة القدر عند الحَجرِ الأسود (٣) .

وقال - ﷺ -: إنَّ في الجنّة مئةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله، ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماواتِ والأرض، فإذا سألتُم اللهَ فاسألوه الفِرْدَوس، فإنّه أوسطُ الجنّة وأعلاها، وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجّر أنهار الجنّة (٤) .

---

(١) الحديث في كتاب الجهاد عن أبي هريرة ١ : ٣١١ برقم : ٩٨ من لم يغز أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعةٍ قبل يوم القيامة وفي المصدر نفسه ص ٣١٢ برقم ٩٩ مثله عن أبي أمامة. والحديث بلفظه الذي ورد عليه في تحفة الأنفس ورد في جواهر البحار ٢ : ٧٥١ برقم ١٥٢٤ وعنه: مسند أحمد ٢ : ٣٧٤ وصحيح مسلم ١٣ : ٥٦ وأبو داود ٢٥٠٢ والنسائي ٦ : ٨ كلهم في باب الجهاد عن أبي هريرة.

(٢) الحديث في فيض القدير ١١ : ٦٠٠٧ برقم ٩٠١٢ وقال محققه هو في الترمذي ٤ : ١٦٦٦ وابن ماجة ٢ : ٢٧٦٣. والثلمة : النقصان.

(٣) الحديث في شرح السير الكبير ١ : ١٠ وفي جواهر البحار ٢ : ٧٦٢ ولفظه: موقف ساعةٍ في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود قال محققه: رواه ابن حبان ١٥٨٣ بالموارد عن أبي هريرة أنه كان في الرباط ففزعوا إلى الساحل، ثم قيل: لا بأس، وانصرف الناس وأبوهريرة واقف فمرَّ به إنسان فقال: ما يوقفك يا أبا هريرة؟ فقال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (وذكر الحديث) .

(٤) هناك قطعة من الحديث في نهاية الأرب ٦ : ١٨٨. والحديث في مسند أحمد ٢ : ٣٢٥ و٣٣٩ بسنده عن أبي هريرة وفي البخاري باب الجهاد ٤ : ١٩، ٢٠ بلفظ: مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، أراه فوق عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة.

وقال – ﷺ –: مَنْ جاهدَ في سبيل الله خالصَ النفس طيبَ المال كتب الله تعالى له كلَّ قطرة عَرَقٍ مثلَ جبلِ أُحُدٍ في وزنِ الحسنات، وكلَّ نَفَسٍ يتنفّسُه أو حركة يتحركها إلى عشر أمثالها حسنات، ولم يكتب عليه المَلَكان الحافظانِ ما قاله أو فعلَه من شيءٍ حتّى ينصرف، فإذا عاد إلى منزله عاد كالجنين يقع من بطن أمّه.

وقال – ﷺ –: ما جَميعُ أعمالِ البِرِ في الجهاد إلاّ كتفلةٍ تَفَلها أحدكُم في بَحْرٍ لُجيٍ.

وقال – ﷺ –: تكفّل الله تعالى لِمَنْ جاهدَ في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهادُ في سبيل الله وتصديقٍ كلمته بأنْ يُدخلَه الجنّةَ أو يردّه إلى مسكنه الذي خَرجَ منه مع ما نال من غنيمةٍ وأجْر (١) .

وقال – ﷺ –: مَنْ جُرِحَ جُرْحاً في سبيل الله كان عليه طابع الشهداء (٢) .

وقال – ﷺ – لن يُكْلَمَ أحدٌ في سبيل الله – والله أعلمُ بِمَنْ يُكْلَمُ في سبيله – إلا جاءَ يوم القيامةِ [س١٦] وجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَماً، اللونُ لونُ الدم، والريحُ ريح المسك (٣) .

---

(١) الحديث في الموطّأ: كتاب الجهاد برقم: ٨٥٠ وذكره البخاري في كتاب التوحيد برقم: ٦٠٩٠٩ ومسلم في كتاب الإمارة برقم: ٣٤٨٥ .

(٢) الحديث في سنن النّسائي: كتاب الجهاد، حديث رقم: ٣٠٩٠ وفيه: «فعليه طابع الشهداء».

(٣) في البخاري ٤ : ٣٢ باب من يخرج في سبيل الله عز وجل: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: والذي نفسي بيده لا يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك ومثله عن عبدالله بن ثعلبة بن صعير العذري في السيرة النبوية ٢ : ٦١٢ في أخبار «يوم أحد» عندما أشرف الرسول (ﷺ) على قتلى أحد .

وقال - ﷺ -: ما أحدٌ يدخلُ الجنّةَ يحبّ أنْ يرجعَ إلى الدنيا وله ما في الأرض من شيءٍ إلا الشهيدُ يتمنّى أنْ يرجعَ فيقتل عَشْرَ مرّاتٍ لِمَا رأى من الكرامة (١) .

وقال - ﷺ -: مَنْ طلب الشّهادة بصدقٍ بلّغه الله منازل الشهداء وإنْ مات على فراشه (٢) .

وقال - ﷺ - للشهيد عند الله ستّ خصال: يغفر له في أوّل دفعةٍ من دمه، ويرى مقعده من الجنّة، ويُجارُ مِنْ عذابِ القبر، ويأمنُ مِنَ الفَزَعِ الأكبر، ويُوضعُ تاجُ الوَقار على راسه، الياقوتةُ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويُزوَّج ثِنْتَيْن وسَبْعِين زوجةً من الحُورِ العِين، ويُشَفَّع في سبعين من أقربائه (٣) .

وقال - ﷺ -: الشهيدُ يُشَفَّعُ في سبعين من جيرانه حتّى إنّ الجيران

---

(١) صحيح البخاري (باب الجهاد) : تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا: عن أنس بن مالك، عن النبي (ﷺ) قال: ما أحد يدخل الجنة يحبّ أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة ٤ : ٢٦. وانظر السيرة النبوية ٥ : ٦٢٩ .

(٢) الحديث في فيض القدير ١١ : ٥٩٠٠ برقم: ٨٨٣٦ من طلب الشهادة بصدق أعطيها ولو لم تصبه. عن مسلم في صحيحه ٣ : ١٩٠٨ عن أنس وهناك رواية عن سهل بن حنيف وعن معاذ بن جبل. انظر الترمذي ٤ : ١٦٥٤ والنسائي ٦ : ٣١٦٢ وأبو داود ٥ : ١٥٢٠.

(٣) ورد الحديث في كتاب الجهاد لابن أبي عاصم ٢ : ٥٢٢، ٥٢٣ عن المقدام بن معدي كرب عن النبي (ﷺ) قال : «إن للشهيد عند الله سبعَ خصال: يُغفر له عند أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلّى حلّة الإيمان، ويزوّج من الحور العين، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوّج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفّع في سبعين إنساناً من أقاربه». وانظر التوسع في تخريجه في الكتاب المذكور.

ليختصمون في قُرْبِ الجوارِ، يقول هذا: أنا أقربُ منكَ جواراً، ويقولُ هذا: أنا أقربُ منك جوَارا (١) .

وقـال - ﷺ -: الشـهـيـد لا يَجِدُ ألمَ الموت إلا كـمـا يجـد أحـدكم ألمَ القرْصةِ (٢) .

وقـال - ﷺ -: مَنْ قـاتلَ في سـبـيل الله فمـاتَ أو قُتِلَ فـهـو شـهـيدٌ، فـإن وقَصَهُ فَرسُهُ أو بعيرُه أو لدغته هامةٌ أو مـاتَ على فراشـه بأيِّ حتْفٍ كان فهو شهيدٍ (٣) .

ووقع في بعضِ الأخبـارِ أنَّ الله لا يضـحكُ في يوم الحسـابِ إلاَّ للغُزاة في سبيله والكريمِ القليل ذات اليدِ (٤) .

ولو أردْنا التـقـصيّ لخـرجنا إلى الإطالة، فـإنَّ فَضْلَ الجـهـاد/ [س١٧] عظيمٌ وثوابَه عنْدَ الله جَسيمٌ، وهو أزكى الأعمـال الموجبـة لجنتـه وأكثرُها ولوجاً بابَ رِضْوانه ومغفرته، والآثار فيه لا تُحْصى كثرةً وشـهرةً.

---

(١) ذكر معنى هذا الحديث السابق ومثله في سنن الترمذي: **كتاب فضائل الجهاد** برقم: ١٥٨٦ وقال فيه: حديث حسن صحيح غريب. وانظر السنن لأبي داود: **كتاب الجهاد** برقم: ٢١٦٠ وابن ماجة: **كتاب الجهاد** برقم: ٢٧٨٩.

(٢) في **جواهر البحار** ١: ٤٥٦ برقم: ٨٤٩ وفيه: الشهيد لا يجد مسَّ القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة يقرصها. وذكر محققه أنه في النسائي ٦: ٢١ والترمذي ١٥٢٩ وابن ماجة ٢٨٠٢ والدارمي ٢٤١٣ وابن حبان ١٦١٢ عن أبي هريرة.

(٣) في سنن **أبي داود** برقم: ٢١٣٨ باب الجهاد. وتتمة الحديث: وإنَّ له الجنة.

(٤) ورد في **كتاب الجهاد** ١: ٣٩٥ برقم: ١٤٠ عن أبي سعيد الخدري يرفع الحديث قال: ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل إذا قام من الليل يصلّي، والقوم إذا صفّوا في الصلاة، والقوم إذا صفّوا في قتال العدو. وانظر تعليقات محقق كتاب الجهاد.

الباب الثاني

في الرباط وفضله وما خصت به من ذلك جزيرة الأندلس

في الرباط وفضله
وما خُصّت به من ذلك جزيرة الأندلس

قـال الله العظيم: ﴿ يا أيهـا الذين آمنوا اصـبـروا وصَابروا ورابطوا واتّقوا الله لعلّكم تفلحون ﴾ (١) .

الصبر في اللغة هو الحبْسُ، والمصـابرةُ منه، وذلك حَبْس النفس على مقارعة المخالفين وممانعة المنازعين (٢) .

والرِّباطُ هو الثبوت واللزوم وهو من ربْط النفس على الأمر، أي تثبيتها عليه وإلزامُها إيّاه (٣) .

والمندوب إليه من ذلك شرعاً مُلازمةُ الثغور والثبوتُ بها على السّار والمحذور (٤) [فرِباط الرجل نفسَه هو أنْ يتركَ وَطنَه ويلزمَ ثَغْراً من الثُّغور

---

(١) سورة آل عمران ٣: ٢٠٠ .

(٢) جاء في **القاموس المحيط**: «صبر» الصبر: الحبس، وصبر الإنسان وغيره على القتل أن يحبس ويرمى حتى يموت. والصبر نقيض الجزع. وقال التهانوي: التصبر هو حمل النفس على المكاره وتجرّع المرارة، والصبر هو ترك الشكوى إلى غير الله، والصبر: انتظار الفرج من الله.

(٣) في **القاموس المحيط** : «ربطه الرباط ما رُبط به. وملازمة ثغر العدو كالمرابطة، وواحد الرباطات المبنية. والمرابطة أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغره، وكلٌ معدٌ لصاحبه فسمّي المقام في الثغر رباطا. وانظر تفصيل القول في الرباط في **شرح السير الكبير** ١ : ٦ وما بعدها.

(٤) من هنا يبدأ سقط في م .

المخوفة لمعنى الحفظ وتكثير السواد، وأمّا من كان وطنُه الثَّغْرَ فليست إقامتُه به رِباطاً، رواه **ابن حبيب** (١) **عن مالك** (٢) ، ووجه ذلك أن يحبس نفسه ويُقيم لهذا الوجه خاصةً، فإنْ أقامَ لغيرِ ذلك فإنَّهُ بمنزلةِ سائرِ تصرفاته فلم يَرْبِطْ نفسَه لِمُدافعة العدوّ، قال **الإمام أبو الوليد الباجّي** (٣) **رضي الله عنه**: وعندي أنَّ مَنْ اختار المُقامَ والاستيطانَ بالثَّغر ومَوْضعِ الخوفِ للرِّباط خاصةً وأنّه لولا ذلك لأمكنه المقامُ بغيرِ ذلكَ البلدِ أنّ له حكمَ الرِّباطِ (٤)] [س ١٨] .

وفرائض الرِّباط :

١- النيَّةُ

٢- والزّادُ الحلال.

٣- والعُدّة.

٤- والمعْقِل.

---

(١) **ابن حبيب** (١٧٤ - ٢٣٨هـ = ٧٩٠ - ٨٥٣م) : عبدالملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الألبيري القرطبي أبو مروان، عالم الأندلس وفقيهها في عصره، أصله من طليطلة، من بني سُليم أو من مواليهم، ولد في البيرة، وسكن قرطبة وزار مصر، ثم عاد إلى الأندلس فتوفي بقرطبة، كان عالماً بالتاريخ والأدب، راساً في فقه المالكية، له تصانيف كثيرة. **الأعلام** ٤ : ١٥٧.

(٢) **مالك** (٩٣ - ١٧٩هـ = ٧١٢ - ٧٩٥م) : مالك بن أنس الأصبحي الحميري، أبو عبدالله، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة كان صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك، وشي به إلى جعفر عم المنصور العباسي فضربه سياطاً انخلعت لها كتفه. له «**الموطأ**» ومصنفات أخر. عن **الأعلام** ٥ : ٢٥٧ .

(٣) **الباجي** (٤٠٣ - ٤٧٤هـ = ١٠١٢ - ١٠٨١م) : أبو الوليد الباجي، سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، فقيه مالكي كبير، من رجال الحديث، أصله من بطليوس Badajoz، ومولده في باجة Beja بالأندلس، رحل إلى الحجاز سنة ٤٢٦، فمكث ثلاثة أعوام وبالموصل عاماً وفي دمشق وحلب مدةً، وعاد إلى الأندلس فولي القضاء في بعض أنحائها وتوفي بالمرية Almeria له كتب عديدة منها **شرح موطأ مالك**. عن **الأعلام** ٣ : ١٢٥.

(٤) انتهى السقط في م .

قال رسول الله – ﷺ –: [رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدُّنيا وما فيها] (١) .

وقال – ﷺ – رباطُ يومٍ وليلةٍ خيرٌ من صيام شَهْرٍ وقيامه، وإنْ ماتَ جُزي عليه عملُه الذي كان يعملُه وأُجْرِيَ عليه رِزْقُه وأمِنَ الفتَّان (٢) .

وقال – ﷺ –: رباطُ ليلةٍ في سبيل الله أفضلُ من ألفِ ليلةٍ يقومُ ليلَها لا يَفْتُرُ ويصومُ نهارَها لا يُفطر (٣) .

وقال – ﷺ –: مَنْ رابط فُواقَ ناقةٍ حرَّمه الله على النار (٤) .

---

(١) في فيض القدير ٧: ٣٣٦٠ برقم: ٤٣٩٤ رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها.

أحال محققه إلى مسند أحمد ٥: ٣٣٩ والبخاري ٦: ٢٨٩٢ والترمذي ٤: ١٦٦٤ عن سهل ابن سعد. وانظر أحاديث مماثلة في شرح السير الكبير ١: ٦، ٨.

(٢) الحديث في فيض القدير ٧: ٣٣٦١ وآخره فيه : وأمن منَ الفتّان وأخرجه مسلم في صحيحه ٣: ١٩١٣ عن سلمان وانظر روايات أخر عن سلمان في شرح السير الكبير ١: ٦.

(٣) روي مثله بطرق متعددة عن سلمان عن النبي (ﷺ) قال: رباط ليلة أو يوم وليلة أفضل من صيام شهر وقيامه صائماً لا يفطر وقائماً لا يفتر وإن مات مرابطاً أجري عليه صالح عمله حتى يبعثه الله ووقي عذاب القبر.

انظر كتاب الجهاد لابن أبي عاصم ٢: ٦٩٩ برقم: ٣٠٨ و٣٠٩ والحديث في مسند أحمد ٥: ٤٤١ وهناك رواية أخرى في كتاب الجهاد ٢: ٧٠٠ وتخريجه ثمة.

(٤) الفُواق : ما بين الحلْبتين من الوقت لأنها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر. وخص الناقة بالذكر لكثرة تداولهم لحلبها فهو أقرب للتعميم والحديث في فيض القدير ١١: ٥٨٠٧ برقم: ٨٦٩٢ ضعيف جداً، أخرجه العقيلي في الضعفاء ١: ٢٢ – ٣: ١٤٣ عن عائشة في كتاب الجهاد لابن أبي عاصم ١: ٣٧٨ برقم ١٣٥ عن أبي هريرة وفيه: من قاتل في سبيل الله فواق ناقة فله الجنة، وفي ص ٣٧٩ عن معاذ بن جبل: وجبت له الجنة... وانظر تخريج الحديث ثمة.

وقـال – ﷺ – مَنْ رَابطَ يوماً في شـهـر رمضـان في سـبيل اللهِ كـانَ أفضلَ مِنْ عبادةِ ستمئةِ سنة، ولا يُدْرك أحدٌ فضلَه إلا مَنْ كان على مِثْل حاله/ أو زاد عليه.

وعن **عِصْمَةَ بنِ رَاشدٍ** عن أبيه قال: سمعتُ قوماً من أصـحاب رسول الله – ﷺ – يُفضِّلونَ الرِّباطَ على الجهاد. قال: فقلتُ لأبي: ولِمَ ذلك؟

قال: لأنَّ في الجهاد شروطاً كثيرةً ليست في الرِّباط.

وقال **ابنُ عمر** (١) : فُرِضَ الجهادُ لسَفْكِ دماء المشركين والرِّباطُ لحقْن دماء المسلمين ، وحَقْنُ دماءِ المسلمين أحبُّ إليَّ من سَفْكِ دماءِ المشركين.

وقال **أبو هريرة** (٢) : لَحَرْسُ ليلةٍ أحبُّ إليَّ من صـيـامِ ألف يومٍ أصومُها وأقومُ ليلَها في المسجد الحرام وعند قبر النبيِّ ﷺ.

وعن **أبي عطية** (٣) أنَّ رجلاً تُوفي على عهدِ رسول الله – ﷺ – فقال

---

(١) **عبد الله بن عمر ١٠ ق.هـ - ٧٣ هـ = ٦١٣ - ٦٩٢م** : عبد الله بن عمر بن الخطاب من أعزّ بيوتات قريش في الجاهلية، كان جريئاً جهيراً نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه وشهد فتح مكة ومولده ووفاته فيها. أفتى الناس في الإسلام ستين سنة. غزا إفريقية مرتين، وكفّ بصره في آخر حياته وتوفي بمكة وهو آخر من توفي فيها من الصحابة.

الإصابة ٤: ١٠٧ برقم: ٤٨٢٥ ونكت الهميان: ١٨٣ والأعلام ٤: ١٠٨.

(٢) **أبو هريرة ٢١ ق. هـ- ٥٩ هـ = ٦٠٢ - ٦٧٩ م** : عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة، صحابي ، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة، وكان رسول الله (ﷺ) بخيبر فأسلم سنة ٧ هـ ولزم صحبة النبي وروى عنه الكثير وولي إمرة المدينة مدة، واستعمله عمر على البحرين ثم عزله، وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها. عن **الأعلام ٣: ٣٠٨** .

(٣) **أبو عطية** : صحابي ذكره في **الإصابة ٧: ١٣١** برقم: ٧٦٠ وقال: غير منسوب، ذكره الطبراني وغيره في الصحابة.

بعضُهم: [س ١٩] يا رسولَ الله، لا تُصلّ عليه، فقال - ﷺ - هَلْ منكم من أحدٍ رآه على شيءٍ من أعمالِ الخير. قال: فقال رجل: حرسَ معنا يا رسول الله ليلةَ كذا وكذا. قالَ: فصلّى رسول الله - ﷺ - عليه ومشى إلى قبره، فجعل يَحْثُو عليه الترابَ ويقول: إنَّ أصحابَك يَظُنّون أنّكَ من أهلِ النار وأنا أشهد أنّكَ من أهل الجنّة (١) .

وعن مَكْحُول (٢) عن عليِّ بنِ أبي طالب (٣) رضي الله عنه أنه قال: لِصلاةِ الرجلِ متقلداً سيفَه في سبيل الله فضلٌ على صلاتِه بغير تقليدٍ بسبعين ضِعْفًا، ولو قلت: بسبعمئة ضعفٍ لكان كذلك (٤) .

وسُنّةُ المرابطِ في سبيل الله التقليدُ كما أنّ السنّةَ للمعتكفِ الصيامُ.

---

(١) الحديث في الإصابة ٧: ١٣١ قال: وأخرج البغوي وأبو أحمد الحاكم من طريق إسماعيل بن عياش والطبراني من طريق بقيّة، كلاهما عن بجير ابن سعد عن خالد بن معدان عن أبي عطية.. وذكر الحديث..

(٢) مكحول ت : ١١٢هـ = ٧٣٠ م : مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبدالله، الهذليّ بالولاء، فقيه الشام في عصره، من حفاظ الحديث. أصله من فارس ومولده بكابل، ترعرع بها وسُبي وصار مولى لامرأة بمصر من هذيل فنسب إليها فاعتق وتفقّه ورحل في طلب الحديث إلى العراق فالمدينة وطاف كثيراً من البلدن واستقر في دمشق وتوفي فيها .

تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٨٩ والأعلام ٧: ٢٨٤ .

(٣) عليّ بن أبي طالب ٢٣ ق. هـ - ٤٠ هـ = ٦٠٠ - ٦٦١م : أبو الحسن، أمير المؤمنين، رابع الراشدين، ولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان سنة ٣٥ هـ قتله غيلةً عبدالرحمن بن ملجم المرادي في ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ.

الإصابة ٤ : ٢٦٩ برقم: ٥٦٨٢ والأعلام ٤: ٢٩٥ .

(٤) ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة عن علي ففي اللآلىء المصنوعة ٢: ١٣٥ بسنده عن علي مرفوعاً: صلاة الرجل متقلداً سيفه تفضل على صلاته غير متقلدٍ سبعمائة ضعف، إن الله تعالى يباهي بالمتقلد سيفه في سبيل الله ملائكته، وهم يصلّون عليه مادام متقلده. وقريب منه في الفوائد المجموعة ٢٠٨ وكذلك في تذكرة الموضوعات ١٢٠ ومثله في كتاب الموضوعات ٢: ٢٢٦ .

وعن مُعَاذِ بنِ جبلٍ (١) رضي الله عنه قال: الطَّاعِمُ في سبيل الله كالصائم سَرْمداً في غيره، وحسنةٌ من حسناتِ المرابط كجميع حسنات العابد.

قال ابن حبيب: الرباط هو شعبةٌ من شُعَب الجهاد وبِقَدْرِ خَوفِ أهلِ ذلك الثَّغر وتحرّزهم من عدوّهم يكون كثرةُ ثوابهم.

وقال ابنُ عمر: اغزُوا مادامَ الْغَزْوُ حلْواً خَضِراً قَبْلَ أن يكون مُرّاً عَسِراً، ثم يكونُ ثُماماً ثم يكون رِماماً ثم يكون حُطاماً فإذا انتكأت المغازي وكثرت العزائم واستحلّت الغنائم فخير جهادكم الرباط.

تفسير ذلك: الثمام: الرطب من النبات. **والرمام:** اليابس والحطام: الذي ينكسر وينحطم. وقوله: انتكأت: تباعدت وقوله: العزائم: يريد حمل السلطان بشدّة الأمر عليهم.

والعزم فيما يشقُّ عليهم لِبُعْدِ المغزى وقلّة/ [س٢٠] عَوْنهم عليه وغير ذلك.

وإن أسمى ثغرٍ نالت به الهممُ العليةُ مراتبَ وأقدارا، ، وأكرمَ تُربة رفعَ الإيمانُ بها عَلَماً ومَنَارا، وَحلّى بها الدينُ الحنيفيُّ مِنبراً ورسمَ دينارا، تربةٍ لبستِ الجهادَ في سبيلِ الله شِعارا/ [م ١٠] واستوجبت

---

(١) معاذ بن جبل ٢٠ ق. هـ - ١٨ هـ = ٦٠٣ - ٦٣٩م : معاذ بن جبل بن عمرو بن اوس الانصاري الخزرجي، ابو عبدالرحمن، صحابي جليل، كان اعلم الامة بالحلال والحرام، وهو احد الستة الذين جمعوا القرآن الكريم على عهد النبي (ﷺ) وهو فتى واخى النبي بينه وبين جعفر بن ابي طالب، وشهد العقبة مع الانصار السبعين وشهد بدراً واحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله. وبعثه رسول الله بعد غزوة تبوك قاضياً ومرشداً لاهل اليمن كان من احسن الناس وجهاً واسمحهم كفاً مات بعد وفاة ابي عبيدة بطاعون عمواس بالاردن.

بخصائصها المنيفة حُظْوةً عندَ الله وإيثارا، فعزّت جَناباً وكرمت أنْصَارا. جزيرةُ الأندلس أزكى تربةٍ راقتْ صَفْحةً وَمُحيًا، وفازت بمْدخورِ فضل الشهادة أعمارُ أهلها مماتاً ومَحْيا، فخبرها طريفٌ، وأمرها على سائرِ الأقطار مُنيف، لأنّها بينَ بحرٍ زخّار، وعدوٍ جرّار، مُلازمين أهلَها في الليل والنهار، والرومُ بها أممٌ كثيرةٌ مختلفةٌ لا يعلمهم إلا الله تعالى، والحرب بينهم وبين المسلمين على قِلّتهم بالإضافة إليهم لم تزَلْ سِجالا، تارةً حالُ نصرٍ واقتدار، وتارة حالُ تمحيصٍ واختبار، فسبحانَ العزيز القهّار الذي كُلُّ شيءٍ عنده بمقدار.

رويَ عن عائشة (١) رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ : سينقطعُ الجهادُ والرباطُ إلا بجزيرةٍ يقال لها الأندلس بالمغرب الأقصى، المرابطُ فيها أفضلُ من شهيد يتشحّط في دمه.

وروي أيضاً عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ : أفضلُ رباطٍ على وجه الأرض جزيرةُ الأندلس، شرقيُّها عدوٌّ وغربيُّها عدوّ وقبليّها عدوّ وجَوْفيُّها/ [س ٢١] عدوّ.

وروى ابنُ عباسٍ (٢) رضي الله عنه قال: قامَ رسول الله ﷺ يوماً من

---

(١) عائشة ٩ ق. هـ - ٥٨ هـ = ٦١٣ - ٦٧٨ م : عائشة بنت أبي بكر الصديق عبدالله بن عثمان، من قريش، أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب. تزوجها النبي (ﷺ) في السنة الثانية بعد الهجرة، وكانت أحب نسائه إليه وأكثرهن رواية للحديث، وكان لها موقف من خلافة عليّ وحاربته في موقعة الجمل. وتوفيت في المدينة - الأعلام ٣: ٢٤٠.

(٢) ابن عباس ٣ ق. هـ - ٦٨ هـ = ٦١٩ - ٦٨٧ م : عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي أبوالعباس، حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوة، ولازم الرسول (ﷺ) وروى عنه الأحاديث الصحيحة وشهد مع علي موقعة الجمل وموقعة صفين. كف بصره في آخر عمره فسكن الطائف وتوفي بها. عن الأعلام ٤: ٩٥ .

مَسْجِده فأشَارَ بيده مُسلّماً تلقاءَ المغرب، فقيل له: على مَنْ يا رسول الله؟ فقال: على ناسٍ من أمتي يكونون بالمغرب الأقصى بجزيرةٍ يقال لها الأندلس، إليها آخرُ ما ينتشرُ هذا الدين، رباطُ يومٍ فيها أفضلُ من رباطِ عامين في ثغور غيرها، حيُّها مُرابط وميتُها شهيد، تحشُرهم السَّحابُ يوم القيامة من وراء البحر الكافرِ، فتُمْطِرُهم على المَحْشَرِ كما يُمطَرُ الماء (١).

ورويَ عن شَهْرِ بنِ حَوْشَب (٢) أنه قال: ما مِنْ بقعةٍ من الأندلس إلا ولها ثواب لا يدركه العاملون، يبعث الله أهلَ الأندلس يوم القيامة على حِدَةٍ لا يخالطهم أحدٌ قد تجللهم النور والبهاء، وهم رؤساء المجاهدين.

الاَ بمثلِ هذهِ المزيّةِ وهذه الآثارِ تُنافسُ البقَاعُ البقاعَ وتُفاخرُ الأمصارُ الأمصارَ، مَزِيّةً ما فوقها بُغْيَةٌ لمختار، وأثَرةٌ إليها تنصرف آمال البَرَرة الأخيار.. جعلها الله تعالى من كلاَته وعِصْمَتِه في أوفى ذمّةٍ وأمنع جوار.

---

(١) الاحاديث التي ورد فيها ذكر «الاندلس» صراحةً لا تصح، وغاية ما هنالك ان تستشف إشارات إلى ذلك كما في حديث «انس بن مالك ان خالته أم حرام بنت ملحان زوجة ابي الوليد عبادة بن الصامت اخبرته ان رسول الله (ﷺ) نام ثم استيقظ وهو يضحك. فقالت له بنت ملحان: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من امتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الاسرّة او مثل الملوك على الاسرّة. وانه نام مرة اخرى وفعل كفعله الأول. فلما قالت له أم حرام: ادع الله ان يجعلني منهم، قال: أنت من الأولين» وقد توفيت أم حرام في قبرس.

وقد أوّل ابن حزم هذا الحديث بان المراد به الفتوحات البحرية الأولى (صقلية وأقريطش) والفتوحات التي تلتها ومنها الأندلس. عن رسالة ابن حزم في فضل الأندلس وذكر رجالها والحديث المذكور في هذه الحاشية مما رواه مسلم ٢: ١٠٤.

(٢) شهر بن حوشب ٢٠ - ١٠٠ هـ = ٦٤١ - ٧١٨ م : شهر بن حوشب الأشعري، فقيه قارىء من رجال الحديث، شامي الأصل، سكن العراق، وكان يتزيّا بزيّ الجند ويسمع الغناء بالآلات، وولي بيت المال مدة، وهو متروك الحديث. وكان ظريفاً.

تهذيب التهذيب ٤ : ٣٦٩ - الأعلام ٣: ١٧٨ .

الباب الثالث

في فرض الجهاد
وما قيل في ذلك

في فرض الجهاد وما قيل في ذلك

لاخلافَ بينَ الأمّةِ في وجوبِ الجهاد، وأنّه فَرْضٌ على الكفاية، فمن أدلّة الفَرْضيّة قولُه/ [م ١١] تعالى: ﴿ كُتِبَ عليكم القتالُ وهو كرهٌ لكم ﴾ (١) فقيل في (كُتب): (فُرض). وقوله سبحانه: ﴿ انفِرُوا خِفافاً وثِقَالاً وجَاهِدُوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ (٢) .

[س٢٢-] فقيلَ في قوله: «خِفافاً وثِقالاً» أي شَباباً وشُيوخاً، وقيل: أغنياءَ وفقراءَ، وقيلَ: رُكْباناً ومُشاةً، وقيل: ذوي عيالٍ وغير ذوي عيالٍ، (٣) وقال جلَّ ذِكْرُه: ﴿ قَاتِلُوا الذينَ يَلُونَكُمْ من الكفّار ولْيَجِدُوا فيكم غِلْظَةً ﴾ (٤) وقال رسول الله - ﷺ -: أُ مرتُ أنْ أقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عَصَمُوا منّي دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّها وحسابُهم على الله (٥) .

---

(١) سورة البقرة ٢/٢١٦.

(٢) سورة التوبة ٩/٤١.

(٣) انظر نهاية الأرب ٦: ١٥٣ وهو ينقل عن الأحكام السلطانية للماوردي. والتفسير في الأحكام السلطانية: ٣٠.

(٤) سورة التوبة ٩/١٢٣ .

(٥) في شرح السير الكبير ١: ١٥٠ برقم: ١٥٢ ذُكر عن الحسن رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله.

قال محمد بن الحسن الشيباني: فكان رسول الله (ﷺ) يقاتل عبدة الأوثان وهم قوم لا يوحّدون الله. فمن قال منهم: لا إله إلا الله. كان ذلك دليلاً على إسلامه.

ومن أدلّة الكفاية قوله سبحانه: ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافةً، فلولا نفرَ من كلّ فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾ (١) فجعل تعالى طائفةً للجهاد وأخرى لغيره من الأعمال، ومنها قولهُ عزّ وجلّ: ﴿ لا يستوي القاعدون منَ المؤمنين غيرُ أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله ﴾(٢) ثم قال سبحانه: ﴿ وكُلاً وعَد الله الحسنى﴾ (٣) ففرّق بين الحُسْنيين وبَايَنَ بين المثْلين، فمن حيثُ المفاضلةُ في الأجْرِ فُهمت صُورةُ الكفاية، كما فُهم من تفضلُ صلاةِ الجماعة على صلاة الفَرْد بسبعٍ وعشرين درجةً جوازُ صلاة الفرْد (٤)، ولا يُعلم لرسول الله - ﷺ - غَزْوةٌ خرجَ فيها إلا وقد تخلّفَ عنه فيها رجالٌ، وكذلك تخلّفَ رسول الله - ﷺ - عن سرايا أخرجها، ثبت عنه أنه قال: «لولا أنْ أَشُقَّ على أمتي لأحببت أنْ لا أتخلّفَ خلفَ سريّةٍ تخرجُ في سبيل الله ولكن لا أجد ما أحملُهم عليه/ [س ٢٣] ولا يجدون ما يتحملّون عليه فيخرجون ويشقّ عليهم أن يتخلّفوا بعدي، فَلَوَدِدْتُ أني أقاتلُ في سبيل الله فأُقتلُ ثُمَّ أَحْيا ثُمَّ اقتلُ ثُمّ أَحْيا ثمّ أقْتَل ثمّ أحْيا (٥) .

---

(١) سورة التوبة ١٢٢/٩.

(٢) سورة النساء ٩٥/٤ والآية بتمامها: «لا يستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً وكلاً وعد الله الحسنى، وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً».

(٣) انظر الحاشية السابقة.

(٤) قال رسول الله (ﷺ) : صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة - صحيح البخاري، كتاب الأذان. برقم ٦٠٩ وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضعه برقم: ١٠٣٨.

(٥) الحديث في الموطّأ: كتاب الجهاد: باب الترغيب في الجهاد ٢: ٤٠ ص ٤٦٥ مع خلاف في بعض الألفاظ وأخرجه البخاري في ٥٦ - كتاب الجهاد، ١١٩ باب الجعائل والحملان ومسلم في ٣٣ كتاب الإمارة و٢٨ باب فضائل الجهاد والخروج في سبيل الله برقم : ١٠٦،١٠٣.

وعن أبي سعيدٍ الخُدْري (١)ّ أنّ رسولَ الله ﷺ قال في غزوةٍ غزاها بني لِحْيان: يبعثُ من كلّ رجلين رجلٌ والأجرُ بينهما (٢) .

ففي تَخلّفه ﷺ عن الخروج إلى الجهاد مع السرايا مع إذنه في أن ينبعث من كلْ رجلين رجلٌ، دليل على أنّ فرْضَ الجهادِ ساقطٌ عن الناس إذا قامَ به منهم مَنْ فيه الكفاية.

فدلّ كتابُ الله سبحانه والأخبارُ الواردةُ عن رسوله ﷺ على أنّه إنْ قامَ بالجهاد بعضُ المسلمين سقطَ فَرْضُه عن الباقين. وسنذكر بعدُ حيثُ يتعيّنُ فَرْضُه إنْ شاء الله تعالى (٣) .

وفائدة القيام به: سدُّ الثغور وعِمارتُها وحراستُها وحِفظُها بالمنعةِ والعُدد.

وقد ناط الشّارعُ به فُروضاً وأحكاماً، فمن فروضه:

النية لقول الله عزّ وجل: ﴿ وما أُمِروا إلا ليعبدوا اللهَ مُخْلِصينَ له

---

(١) أبو سعيد الخُدري ١٠ ق. هـ - ٧٤ هـ = ٦١٣ - ٦٩٣ م : سعد بن مالك بن سنان الخُدْري الأنصاري الخزرجيّ، أبوسعيد، صحابيّ، كان من ملازمي النبي (ﷺ) وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة. وتوفي بالمدينة. الإصابة ٣: ٨٥ برقم: ٢١٨٩ والأعلام ٣: ٨٧.

(٢) عن أبي سعيد الخدري أن الرسول (ﷺ) بعث إلى بني لحيان فقال: لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما، عن صحيح مسلم.

(٣) انظر شرح السِّيَر الكبير ١: ١٨٧ ونورد ما فيه مختصراً: قال أبو حنيفة رحمه الله: الجهاد واجب على المسلمين، إلا أنهم في سعة من ذلك حتى يُحتاج إليهم، فكان الثوري يقول: القتال مع المشركين ليس بفرض، إلا أن تكون البداية منهم فحينئذ يجب قتالهم. قال السرخسيّ: والحاصل أن الأمر بالجهاد وبالقتال نزل مرتباً... وذكر ترتيب ذلك وانتهى إلى أن المسلمين أمروا بالقتال مطلقاً لإعزاز الدين وقهر المشركين فإذا حصل المقصود بالبعض سقط عن الباقين.. لأنه بدون سائر الأشغال لا يتم أمر الجهاد، فلهذا كان فرضاً على الكفاية.

الدينَ﴾(١) ولقول النبيِّ ﷺ: «إنَّما [م ١٢] الأعمالُ بالنيَّات ولكُلِّ امرئٍ ما نَوى». (٢) .

ومنها: العُدَّةُ لقول الله سبحانه: ﴿ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قُوَّةٍ ومِنْ رِباط الخيل ﴾ (٣) الآية....

ومنها: الثَّباتُ عند اللقاء لقول الله تعالى: ﴿ إذا لقيتُم فئةً فاثْبُتُوا ﴾ (٤) وقوله: ﴿ إذا لَقِيتُمُ الذينَ كفروا زَحْفَاً فلا تولّوهم الأدبار ﴾ (٥) .

ومن أحكامه وقيل من سُنَّته التحريضُ لأنَّ النبيَّ ﷺ خُوطِبَ به فقيل [س ٢٤] له ﴿ يا أيُّها النبيُّ حرِّضِ المؤمنينَ على القتالِ ﴾ (٦) وفَعَلَه ﷺ في مواطِنِ، وسَنُفْرِدُ له بعدَ ذلك باباً إنْ شاء الله.

فقتالُ الكفّار واجبٌ على ما تقدّم لا يُعدَلُ عنه إلا بإجابتهم إلى الدُّخولِ

---

(١) سورة البيِّنة ٩٨/٥.

(٢) هذا حديث مشهور ذكره النووي أول الأربعين ويكثر الاستشهاد به في مجالات شتى. قال ابن ماجه ٢: ١٤١٣ برقم: ٤٢٢٧ عن عمر وهو يخطب الناس فقال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله وإلى ورسوله فهجرته إلى الله وإلى رسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه. (باب النية) قال النووي: وهذا حديث صحيح متّفق على صحته مجمع على عظم موقعه وجلالته وهو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام. وكان السلف وتابعوهم من الخلف – رحمهم الله تعالى – يحبّون استفتاح المصنفات بهذا الحديث.

(٣) سورة الأنفال ٨/ ٦٠ وتتمتها: «تُرهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيءٍ في سبيل الله يوفَّ إليكم وأنتم لا تُظلمون».

(٤) سورة الأنفال ٨/ ٤٥ «يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون».

(٥) سورة الأنفال ٨/ ١٥.

(٦) سورة الأنفال ٨/ ٦٥.

في الإســــلام أو بَذْل الجــزية لنا في دارنا (١) . قــال أبو عمـر بنُ عبدِالبَرّ (٢) : يجبُ على الإمـامِ إغزاءُ طائفـةٍ من المسلمين إلى العدوّ في كلِّ سَنةٍ مرةً، يخرجُ معهم بنفسه أو يُؤمِّر عليهم مَنْ يَثِقُ به ليدعُوَهم إلى الإسلام ويزَعهم ويكفَّ أذاهم ويُظهِرَ دين الله عليهم ويقاتلهم حتّى يدخلوا في الإسلام ويُعطوا الجزية.

وسئل ابن عبّاس رضي الله عنه في الغـزو مع الإمـام لا يريدُ إلا الدّنيا (٣) فقال: قَاتِلْ أنتَ على حظِك من الآخرةِ.

قال رسولُ الله ﷺ : الجـهادُ مـاضٍ مُذْ بَعثَ الله نبيّه إلى آخرِ عصـابةٍ تقاتلُ الدجّال لا يُنْقصه جَوْر مَنْ جارَ ولا عَدْلُ مَنْ عَدَل (٤) .

ولا تجوز المُهادَنةُ إلا لضرورةٍ تدعو إليها، قال الله تعالى: ﴿ فلا تَهنُوا وتدعوا إلى السَّلْمِ وأنتمُ الأعلونَ والله معكم ﴾ (٥) .

---

(١) انظر شرح السير الكبير ١: ١٨٩ «ولا ينبغي أن يدع المشركين بغير دعوة إلى الإسلام، أو إعطاء جزية إذا تمكن من ذلك».

(٢) أبو عمر ابن عبدالبر ٣٦٨ – ٤٦٣هـ = ٩٧٨ – ١٠٧١م : يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النميري القرطبي المالكي أبوعمر، من كبار حفّاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة، يقال له: حافظ المغرب. ولد بقرطبة ورحل رحلاتٍ طويلة في غربي الأندلس وشرقيّها وولي قضاء لشبونة وشنترين وتوفي بشاطبة، وله مؤلفات كثيرة مطبوعة منها الاستيعاب في معرفة الأصحاب وكتاب بهجة المجالس وأنس المُجالس. عن الأعلام ٨: ٢٤٠.

(٣) سقطت (إلا) من م .

(٤) استدل في شرح السير الكبير ١: ١٦٠ بهذا الحديث أنه لا يُترك الجهاد بجور الأمراء ثم أورد حديثاً بمعناه: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ) أصل الإسلام ثلاثة: الكف عمّن قال لا إله إلا الله أن تكفّروه بذنب ولا تخرجوه من الإسلام بعمل، والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله حتى يقاتل آخر عصابة من أمتي الدجال، والإيمان بالأقدار كلها.

(٥) سورة محمد ٣٥/٤٧ وانظر شرح السير الكبير ١: ١٩٠.

وقد يتعيَّنُ فرضُ الجهادِ في بعضِ الأحيانِ لسببين (١) :

أحدهما: أمرُ الإمام بالخروجِ للغزوِ فمن عيَّنه تعيَّنَ عليه.

والثاني: أنْ يَفْجَأَ العدوُّ قوماً لهم قوةٌ على مدافعته فيتعيَّنَ عليهم دفاعُه وقتالُه، فإنْ لم يستقلّوا بذلك لزمَ مَنْ قاربَهم أن يخرجَ إليهم، فإنْ لم يستقلَّ الجميعُ وجب على مَنْ علم بضعفهم وطمع في إدراكهم وعَوْنهم المضيُّ إليهم حتّى يندفع [س ٢٥] عنهم العدوّ.

ويسقط الوجوب عن الصبيِّ والمجنونِ والمرأةِ والمريضِ والأعمى والأعرجِ الذي يَعْجزُ عن المحاربة والركوب وحَبْس السلاح عند الحاجة إلى ذلك.

وكذلك يسقطُ بالفقر وعدمِ نَفَقة الذهاب والإياب وبالرقِّ إلا بإذن السيّد (٢) وبالأبوين إلاّ بإذنهما إلاّ أن يفجأ العدوّ مدينةً أو محلّةً أو يقعَ النَّفير أو يكون الابنُ قدْ أوجبَه على نفسه في وقتٍ معيَّن فلا يجوز المنعُ بوجْهٍ ولا يحتاج إذْنَ جدٍّ ولا جدّةٍ. وإنْ كان الأبوان كافرَيْن فهما في ذلك

---

(١) جاء في السير الكبير وشرحه ١: ١٩٩ برقم: ٢٣٦، فأما إذا جاء النفير عاماً فقيل لأهل مدينة: قد جاء العدو يريدون أنفسكم أو ذراريكم أو أموالكم، فلا بأس بأن يخرج بغير إذن والديه قال السرخسي: لأن الخروج في مثل هذه الحالة فرض عين على كل واحد، قال تعالى: «انفروا خفافاً وثقالاً» (التوبة٩/٤١) وما يفوته بترك هذه الفريضة لا يمكنه استدراكه، وما يفوته بالخروج بغير إذن الوالدين يمكنه استدراكه بعد هذا، فيشتغل بما هو الأهم، ولأن الضرر في تركه الخروج أعم، فإن ذلك يتعدى إليه وإلى والديه وإلى غيرهم من المسلمين.

(٢) في شرح السير الكبير ١: ١٩٩ برقم: ٢٢٧، ولا ينبغي للعبد أن يجاهد بغير إذن مولاه ما لم يكن النفير عاماً، فإذا كان ذلك، فله أن يخرج وليس لمولاه أن يمنعه من ذلك. قال السرخسي: لأن فرضية الخروج عند النفير العام كفرضية الصوم والصلاة وذلك مستثنى للعبد مما ملكه عليه مولاه.

كالمسلمين إلاّ أن يُعلم انّ منعَهما لغيرِ حاجتهما بل ليُوهِنا الإسلامَ ولا يُعينا المسلمين، فلا يمتنع وإنْ كرها (١) .

وقيل للأوزاعي (٢) : ما تقولُ في رجلٍ غَزَا بإذْنِ والديه، فاشترطَا عليه أنْ لا يقاتلَ، فَلَقُوا العدوّ قال: لا طاعةَ [م ١٣] للوالدين في تَرْكِ الفرائضِ والجُمَعِ والحجّ والقتال، ولا يسقطُ الوجوبُ لخوف لصوصٍ وقطّاعِ طريق ومُخيفي سبيل لأنّ قتالهم أهمُّ، قال أبو إسحاقَ بنُ شعبان : هم أحقُّ بالجهادِ من الرّومِ، وأمّا إنْ وطِئَ الكفّار دارَ المسلمين فيجب على كلٍّ مَنْ له مُنّةٌ قتالُهم بغاية إمكانه ونهاية قدرته وطاقته حتى العبدُ والمرأةُ إنْ لم يُسْتَغْنَ عنهما (٣) .

---

(١) انظر هذه الأحكام المشار إليها في شرح السير الكبير ١: ١٩٠ - ١٩٧.

(٢) الأوزاعي ٨٨ - ١٥٧ = ٧٠٧ - ٧٧٤م : عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمد الأوزاعي من قبيلة الأوزاع، أبوعمرو، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتّاب المترسلين، ولد في بعلبك، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها، رعرض عليه القضاء فامتنع. له كتاب السنن والمسائل. عن الأعلام ٣: ٣٢٠.

(٣) قال في شرح السير الكبير: ١: ٢٠١ وما بعدها: وكذلك الغلمان الذين لم يبلغوا إذا أطاقوا القتال فلا بأس بأن يخرجوا ويقاتلوا في النفير العام، وإن كره ذلك الآباء والأمهات. وعند تحقق الضرورة بوقوع النفير عاماً لا بأس للمرأة أن تقاتل بغير إذن وليها وزوجها.

الباب الرابع

فيما يفعله الغازي عند خروجه إلى الجهاد

فيما يفعله الغازي عند خروجه إلى الجهاد

[س ٢٦] يبدأ بإخلاصِ النيّةِ كما تقدّم أولاً، ويعتقدُ الجهاد في سبيل الله وقتالَ مَنْ كفرَ بالله لتكون كلمةُ الله هي العليا وكلمةُ الذين كفروا السُّفْلى، وليكون الدين واحداً، ويُؤكّد صلاحُ النيّة ونَقَاءُ الطَّوِيّة بطيبِ المكْتَسَب وأكلِ الحَلال وتجديدِ التّوبة من كلّ ما سَبَقَ من الذُّنوب، وإظهارِ التندم على ما فات من حقوق الله تعالى، وتَحلّل مَنْ له مظلمةٌ في عِرْضٍ أو مالٍ أو نفسٍ إنْ وجدَ سبيلاً إلى ذلك، وإلاّ فليستغفر الله عزّوجلّ وليعملْ صالحاً ما استطاعَ، قال الله العظيم: ﴿ فَمَنْ كانَ يرجو لقاءَ ربّه فليعمل عَمَلاً صَالحاً ولا يُشْرِكْ بعبادةِ رَبّهِ أحَدًا ﴾ (١) .

والجهادُ محلُّ لقاءِ الله سبحانَه وبابُ الدارِ الآخرة.

كان أبو الدرداء (٢) رضي الله عنه يقول: يا أيّها الناس عملٌ صالح قبل الغَزْوِ، فإنّما تقاتلون بأعمالكم (٣) .

---

(١) سورة الكهف ١٨/١١٠.

(٢) أبو الدرداء ت ٣٢ هـ = ٦٥٢م : عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، أبو الدرداء، صحابي، من الحكماء الفرسان القضاة. كان قبل البعثة تاجراً بالمدينة ثم انقطع للعبادة، ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك. ولأه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب، وهو أول قاضٍ بدمشق، وهو أحد الذين جمعوا القرآن الكريم حفظاً على عهد النبي (ﷺ) . مات بالشام. عن الأعلام ٥: ٩٨.

(٣) انظر عيون الأخبار ١: ١٠٧ ونهاية الأرب ٦: ١٥٩.

وقد رويَ ذلك عن عمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنه (١) .

ومن خُطب بعض العلماء في مثل ذلك:

اعلموا - رحمكم الله - أنّه لا يصلحُ الجهادُ بغيرِ اجتهاد، كما لا يصلح السَّفَرُ بغيرِ زاد، فَقدّموا مجاهدةَ القلوبِ قبل مُباشرةِ الحروب، ومُغالبَةَ الأهواءِ قبلَ محاربةِ الأعداء، وبادروا بإصلاح السرائرِ فإنّها من أنْفَسِ العُدَدِ والذخائر، وادّخروا صلاحَ الأعمال عُدّةً لدفْعِ الشدائد والأهوال، فبالعملِ الصالح يُقبل الدعاءُ، ويُصرَفُ البلاءُ، ويأنسُ المؤمنُ في قَبْره [س ٢٧] ويأمنُ في حَشْره، ثمّ يوطّن نفسه على المرتبة العلْيا والدَّرجة العُظْمى وهي الشهادةُ، فبذلك يبلغ منازلَ الشهداء، وإنْ فازَ بالسّلامة والغنيمة.

رويَ عن النبي ﷺ أنّه قال: مَنْ طلب الشهادةَ بصدقٍ بلّغه الله منازلَ الشهداء، وإنْ مات على فراشه (٢) . وقد تقدّم ذكْرُ هذا الحديث في بابه.

والله تعالى يَعْصِمُ المسلمَ من أنْ يخرجه الطّمع في عَرَضِ الدُّنيا عن ذلك، قال الله العظيم: ﴿ تريدون عَرَضَ الدنيا واللهُ يريدُ الآخرةَ ﴾ (٣) .

---

(١) عمر بن الخطاب ٤٠ ق.هـ - ٢٣ هـ = ٥٨٤ - ٦٤٤م : عمر بن الخطاب بن نفيل القرشيّ العدويّ أبو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، أول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم. أسلم قبل الهجرة بخمس سنين وشهد الوقائع. بويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر سنة ١٣هـ. قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي غيلة بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح. الإصابة ٤: ٢٧٩ برقم ٥٧٣١ والأعلام ٥: ٤٥.

(٢) تقدم ذكره. وهو في الترمذي ٤: ١٨٣ برقم: ١٦٥٣ بلفظ : من سأل وكذلك في صحيح مسلم.

(٣) الأنفال ٦٧/٨.

رُوِيَ أنَّ النبيَّ ﷺ نَدَبَ إلى قَتْلِ يهودي فقال له رجلٌ: يا رسولَ الله، إنْ قتلتُه ألي حمارُه؟ وكانَ عليه السلامُ إذا سُئل شيئاً لا يقولُ فيه [م ١٤] لا، فقال له: نعم. فذهبَ الرجلُ فقتله اليهوديّ، فقيل: طُوبى له، قُتِل في سبيل الله. فقال النبيّ ﷺ : بل في سبيل الحمار (١) .

ونُعيذُ المسلمَ بالله أن يُقاتل حبّاً لِلمَحْمَدَةِ في الدينا أو ليُقال: شجاعٌ أو بطلٌ، أو يكون غَضباً لغيرِ الله، أو عصبيّةً وحميّةً في غير سبيل الله.

فقد رُوِيَ أنَّ الرجلَ لَيُوقَفُ بين يدي اللهِ عزّ وجَلَّ يوم القيامة فيقول له: ماذا عَمِلْتَ فيما علمتَ؟ فيقول: أي ربِّ، قاتلتُ فيك حتّى قُتلت. فيقول له: كذبتَ، بل فعلتَ ذلك ليُقال فقد قيل. اذهبوا به إلى النار (٢) ، أو كما ورد في الحديث.

بل يجبُ أن يكونَ جهادُ المسلم وقتالُه لإعزازِ دينِ الله تعالى ونَصْرِ كلمته [س ٢٨] وحمايةِ الإسلام والذبّ عن المسلمين ابتغاءَ وجه الله عزَّ وجل.

قال رجلٌ **لعُبَادَةَ بنِ الصَّامت** (٣) : أقاتلُ بسيفي في سبيل الله أريدُ وجْهَ الله ومَحْمَدَةَ المسلمين فقال: لا شيء لك، فأعادَ عليه ثلاثَ مرّات، وفي كلّ ذلك يقول: لا شيء لك، ثمّ قال في الثالثة: إنّ الله عزّوجلّ يقول:

---

(١) لم نقع على هذا الحديث.

(٢) الحديث في مسلم: كتاب الإمارة برقم: ٣٥٢٧ وفي النسائي: الجهاد برقم ٣٠٨٦ ومسند أحمد: باقي مسند المكثرين برقم: ٧٩٢٨.

(٣) **عبادة بن الصامت ٣٨ ق.هـ - ٣٤ هـ = ٥٨٦ - ٦٥٤م** : عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، ابو الوليد، صحابي، من الموصوفين بالورع، شهد العقبة، وكان أحد النقباء، وبدراً وسائر المشاهد، ثم حضر فتح مصر، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين، ومات بالرملة أو بيت المقدس، وكان من سادات الصحابة. عن الأعلام ٣: ٢٥٨.

أنا أغنى الشركاء عن الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عملاً فأشرك معي شريكاً تركتُ نصيبي لشريكي (١) .

وحكى الله سبحانه عمَّن رضي عنه من المؤمنين في إخلاص العمل قولهم: ﴿ لا نريد منكم جزاءً ولا شكُورا ﴾ (٢) وفي حديث **عبدالله بن عمر** حين سأل النبيّ ﷺ قال: يا عبدَاللهِ بنَ عمرَ، على أيِّ حالٍ قاتلتَ بعثَكَ الله على تلك الحال (٣) .

ومن حديث **أبي هريرة** في غزوة أُحُد حينَ سمع النبيُّ ﷺ الناسَ يقولون: فلانٌ أجرأُ وفلانٌ كذا فقال: إنهم قاتلوا على قَدْرِ ما قَسَمَ الله لهم من العَقْلِ. وفيه: فإذا كانَ يوم القيامة اقتسموا المنازلَ على قَدْرِ نيّاتهم وعلى قَدْرِ عقولهم.

وقد خرجنا بذكر هذا كلّه عمّا تضمّنه هذا الباب لكنَّ الكلامَ متعلِّقٌ بعضُه ببعض والمسائل تتداخل فيُضْطَرّ لذكرها للاستشهاد بها ولتكميل الفائدة وتتميم المعنى.

ويجبُ على المسافرِ أن يتحرّى أداء أمانة إنْ كانت عنده وقضاء دَيْنٍ إنْ كان عليه وحلَّ أجلُه، وأن لا يخرج إلاّ بإذن ربِّ الدَّيْنِ فإنَّ له مَنْعَهُ من

---

(١) **صحيح مسلم** : كتاب الزهد والرقائق. برقم: ٥٣٠٠ قال عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه. وذكره ابن ماجة في كتاب الزهد برقم: ٤١٩٢ و٤١٩٣.

(٢) سورة الإنسان ٧٦/٩.

(٣) انظر سنن أبي داود: كتاب الجهاد برقم: ٢١٥٧ وهو جزء من الحديث.

الخروج، وإنْ كان لم يَحُلُّ [س ٢٩] اجلُه لم يمنعه فإنْ قدّر حلولَه في سَفَرِه فَلِرَبِّ الدّين انْ يوكّل مَنْ يَقْبِضُه حيثُ حلَّ اجلُه ويمنعَه من وجهته، فإنْ كان مُعْسِراً لا يقدرُ على القضاء فله الخروجُ بغيرِ إذْنِ ربِّ الدّين (١) .

ورويَ أن الشهيدَ يُغْفَر له كلُّ شيءٍ إلا الدَّين (٢) . وقد تقدّم القول في ذكر الأبوين والسيِّد في عبده.

ومن السنّة انْ ياتي إخوانَهُ يسلّمُ عليهم ويستدعي دُعَاءَهم تبركاً بهم ويرتجي بذلك خيراً، وعليهم إذا قدِمَ ان ياتوهُ، ثم له الخروجُ بنفسه وماله وهو الأفضل، ويجوزُ بجُعَالةٍ من متطوّعٍ بها او مَعُونةٍ يَرْفُدُه بها مَنْ يبتغي الشَّرِكةَ في الأجر، وللمسترزقِ الخروجُ بمالٍ من بيتِ مال المسلمين، ثم عند العزْم فليستعن بالله [م ١٥] تعالى فهو خيرُ مُعين، وليركعْ ركعتين عند خروجه.

رويَ عن ابن عباس رضي الله عنه انّه قال: مَنْ صلّى ركعتين تطوّعاً حينَ يخرجُ غازياً في سبيلِ الله فهلك في وُجْهته تلك، خرج من ذنوبه كيومٍ ولدته أمُّهُ، وكتبَ اللهُ له عَدَدَ شعر رأسه وسائر جسده حسنات .

---

(١) انظر تفصيل الاحكام في هذا الامر في شرح السير الكبير ٤: ١٤٤٨ وما بعدها.

(٢) في شرح السير الكبير ٤: ١٤٥٠، الفقرة ٢٨٠٨ : واستدل على ان المُقام (عدم الخروج) افضل له بما قاله النبي (ﷺ) في القتل في سبيل الله إنه كفارة ثم قال: إلا الدين فإنه ماخوذ به. وانظر تفصيل الحكم في ذلك الموضع المشار إليه.

وإنّ كانَ الجهاد في أهل بَغْيٍ أو ضَلالةٍ أو لصوص وقَطَعةِ طريقٍ ومُخيفي سبيل فينوي في ذلك طاعةَ اللهِ سُبحانه في تأمين السُّبُل وَرَدْعِ البَاغي وقَمْعِ الضّال، وجَمْعِ الكلمة، والحضّ على الأُلْفَة، واستدعاء النّافر، واستنزال الشاردِ وردّ الخارج إلى السنّة، والمُفْسدِ إلى الإصلاح.

وعندما يضعُ رِجْلَه في رِكابه، أو يقدّم الراجل قَدمَه للخروجِ فليقُلْ: بسم الله، اللهم يسِّرْ [س ٣٠] لنا في سَفَرِنا هذا التّقوى، ومن العمل ما تَرْضَى، اللهمّ ازْوِ لنا الأرضَ، وهوّنْ علينا السّفَرَ، واطْوِ لنا بعيدَه، اللهمّ أنت الصاحب في السَّفَرِ، والخليفةُ في الأهل، اللهمّ إنّي أعوذ بك من وَعْثاء السّفَر وكآبة المُنْقَلب وسوء المنظر في الأهل والمال (١) .

فإذا استوى الفارسُ على ظهرِ فرسِه أو الرّاكبُ على دابّته فَليقُلْ: ﴿ سبحانَ الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مُقْرنين وإنّا إلى ربّنا لمُنْقلبون ﴾ (٢) فقد فعل ذلك كلّه النبيّ ﷺ .

---

(١) قال الإمام النووي في كتابه الأذكار: ١٩٨ روينا في صحيح مسلم في كتاب المناسك عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفره كبّر ثلاثاً ثم قال: «سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون» اللهم إنّا نسألك في سفرنا هذا البرّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا واطوِ عنّا بُعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل. وإذا رجع قالهنّ وزاد فيهن: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون. عن صحيح مسلم: باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره..

(٢) سورة الزخرف ١٣/٤٣ .

واحسنُ الخروج إلى الغزو يومُ الخميس [كان ذلك من فِعْله عليه السلام (١) ، روي عن كعب بن مالك (٢) أنه قال: لقلّما كانَ رسول الله ﷺ يخرجُ إذا خرجَ في سفرٍ إلا يومَ الخميس، فكان يخرجُ يومَ الخميس] باكراً ويصلّي ركعتين عند ذلك، وقد تقدّم حديث ابن عباس في ثواب الركعتين. وكان يرجع يوم الاثنين باكراً فيصلّي ركْعَتين في المسجدِ، ثمّ يحدّثُ أصحابَه ساعةً، ثم يدخل.

---

(١) جاء في كتاب عيون الأخبار ١: ١٢٢ «قال : حدثني محمد بن عُبيد قال: حدثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر عن الزهري قال: كان أحبُّ الأيام إلى رسول الله (ﷺ) أن يعقد فيه رايته يوم الخميس، وكان أحب إلى رسول الله (ﷺ) أن يسافر فيه يوم الخميس»

وقال السرخسي في شرح السير الكبير ١: الخروج في سائر الأيام جائز من غير كراهة.. والخروج في رمضان جائز. وقد رد السرخسي بقوله هذا على مَنْ قال إنه ينبغي اختيار الخميس والسبت اعتماداً على ما روي «اللهم بارك لأمتي في بكورها سبتها وخميسها» شرح السير الكبير ١ : ٦٥.

(٢) كعب بن مالك ت ٥٠ هـ = ٦٧٠م : كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري السلمي الخزرجي، صحابي، من أكابر الشعراء، من أهل المدينة، اشتهر في الجاهلية، وكان في الإسلام من شعراء النبي (ﷺ). شهد أكثر الوقائع ثم كان من أصحاب عثمان، وأنجده يوم الثورة وحرّض الأنصار على نصرته، عمي في آخر عمره وعاش سبعاً وسبعين سنة. الإصابة ٥: ٣٠٨ برقم: ٧٤٣٧ والأعلام ٥: ٢٢٨.

الباب الخامس

في مشاركة الغازي ومعاونته وتجهيزه

في مشاركة الغازي ومعاونته وتجهيزه

روى زيد بن خالد (١) أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: مَنْ جهَّز غازياً في سبيلِ الله فقد غزا (٢) .

وعن عبدِ الله بنِ عمروِ بنِ العاصِ (٣) أنَّهُ قال: ما مِنْ عَبْدٍ يُناوِلُ أخاه شيئاً فينتفع به في غَزْوٍ إلا [س٣١] كانَ له حِصْناً حصيناً من جهنَّم بعيداً.

وعن عُمَر بنِ الخطَّاب رضيَ الله عنه أنَّه قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - يقول: مَنْ أظلَّ رأسَ غازٍ أظلَّه اللهُ في ظلِّه يومَ القيامة، ومَنْ جهَّز

---

(١) زيد بن خالد (ت ٧٨ هـ = ٦٩٧م) : زيد بن خالد الجهني المدني، صحابي، شهد الحديبية، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، له ٨١ حديثاً، توفي في المدينة عن ٨٥ سنة. الإصابة ٣: ٢٧ برقم: ٢٨٨٩ والأعلام ٣: ٥٨.

(٢) وتتمته : ومَنْ خلفه في أهله فقد غزا. انظر جواهر البحار ٢: ٧١٦ برقم: ١٤٤٧ والبخاري ٦:٢٨٩: ٣٩٠ ومسلم ١٣: ٣٩ - ٤ والترمذي ١٤٩٢.

(٣) عبدالله بن عمرو بن العاص ٧ ق. هـ - ٦٥ هـ = ٦١٦ - ٦٨٤م : من قريش، صحابي، من النساك، من أهل مكة، كان يكتب في الجاهلية ويُحسن السريانية، وأسلم قبل أبيه فاستأذن رسول الله (ﷺ) في أن يكتب ما يسمع منه فأذن به، وكان كثير العبادة، حتى قال له النبي (ﷺ): إن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينيك عليك حقاً، وكان يشهد الحروب والغزوات ويضرب بسيفين، وحمل راية أبيه يوم اليرموك، وشهد صفين مع معاوية، وولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة، ولما ولي يزيد امتنع عبدالله من بيعته وانزوى - في إحدى الروايات بجهة عسقلان - منقطعاً للعبادة، وعمي في آخر حياته. واختلف في مكان وفاته. الإصابة ٤: ١١١ برقم ٤٨٣٨ والأعلام ٤:١١١.

غازياً حتى يَسْتَقِلَّ كانَ له مثلُ اجره حتى يموتَ أو يرجعَ.. الحديث (١) .

وعن **محمد بنِ كَعْبٍ القُرَظي** (٢) عن كعبٍ أنَّه قال: مَنْ سقى غازياً شَرْبةً من ماءٍ سَقَاه اللّه من الرَّحيقِ المختوم يومَ القيامةِ، ومَنْ احتشَّ لدابّةِ غازٍ في سبيل الله أعطاه اللهُ كتابَهُ بيمينه .

وعن **عليّ بنِ أبي/ [م١٧] طالبٍ** رضي الله عنه أنه قال: مَنْ سَقى لغازٍ فَرَساً أو حَسَّه او جلَّلهُ او مَسَحَ خدَّهُ أو قام إليه بِمِخْلاتِهِ فُتِحتْ له ثمانيةُ أبواب الجنة، فيقالُ له: ادخُل من أيّها شئت.

وروي أنَّ **ابنَ عُمر** اخرجَ شيئاً ليعطيه الغزاةَ فأبَوْا أخْذَهُ، وكان فيهم **عامرُ بنُ عبدالله بنِ الزبير** (٣) فقال: ما أنتَ بالّذي يُنْفَسُ عليه بالجنّة، بَلْ نأخذُه فإنْ احتجنا إليه أنْفَقْنَاه، وإنْ استغنينا عنه وجّهناه وَجْهَه، فأخذَ وأخذَ القومُ، فشكر له ذلك ابنُ عمرَ .

---

(١) الحديث في كتاب الجهاد لابن ابي عاصم ١:٢٩٧ برقم: ٩٢ قال محققه: أخرجه احمد في المسند ١:٢٠ وابن ماجة في سننه: كتاب الجهاد: من جهز غازياً ٢:٩٢١ برقم: ٢٧٥٨ والحاكم في المستدرك ٢: ٨٩ والبيهقي في السنن الكبرى ٩: ١٧٢ وابو يعلى في مسنده ١: ٢١٧ : ٢٥٣ ومعنى قوله: حتى يستقل أي حتى يقدر على الغزو ولا يبقى محتاجاً إلى شيء من الاته وأسبابه عن حاشية السندي على سنن ابن ماجة ٢:١٧٢. وانظر تفصيل التخريج في كتاب الجهاد في الموضع المذكور اعلاه.

(٢) محمد بن كعب القرظي ت ١٠٨ هـ : حليف الانصار، تابعيٌ مشهور، ابوه من بني قريظة وامه من بني النضير وذكره ابن سعد في الطبقة الاولى من تابعي اهل المدينة – الإصابة ٦: ١٩٧ برقم: ٨٥٢٠.

(٣) ورد ذكر عامر بن عبدالله بن الزبير عرضاً في طبقات ابن سعد ٥: ١٨٢ ولم يذكر في نسب قريش وإنما فيه: عامر بن حمزة بن عبدالله بن الزبير وكان من سروات ال الزبير وجلدائهم في العقل والبيان، انظر نسب قريش ٢٤١ ولم يذكر لعبدالله بن الزبير ولداً باسم عامر.

وروي أنَّ عبدَالله بنَ رواحة (١) قال: لأنْ أُشيّعَ رُفْقةً غاديةً في سبيل الله أو رائحةً حتّى أبلغَ معهم منزلَهم، وأردّ عليهم دوابّهم وأنْفضَ أحْلاسَهم أحبُّ إليّ من أجْرِ حَجّةٍ أو عُمْرَةٍ.

وعن عمَر بنِ الخطّابِ رضي اللهُ عنه أنّه قال: مَنْ صَحبَ رُفقةً غزاةً فخفّ لهم في كفّ دوابّهم ونَفْض أحلاسهم فَلَهُ من الأجْرِ في كلّ يومٍ وليلةٍ/ [س٣٢] أفضلُ من حَجّةٍ مبرورة.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّه قال: أدنى ما ينقلبُ به مُشَيّعُ الغازي في سبيل الله سبعون ضِعْفاً أدناها مَغْفِرةٌ تجمعُ بينَهُ وبين إبراهيمَ خليلِ الرحمنِ في مقْعدِ صدْقٍ. فقيل: ما للغازين؟ قال: هيهاتَ هيهاتَ، انقطعَ العلم عند ثواب الله تعالى لهم (٢) .

وعن سَحْنون (٣) عن ابن وهْبٍ (٤) قال: أخبرني مَسْلَمَةُ بنُ عليّ

---

(١) عبدالله بن رواحة ت ٨هـ = ٦٢٩ م: عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج، أبو محمد، صحابي، يعد من الأمراء والشعراء الراجزين، كان يكتب في الجاهلية، وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية، واستخلفه النبي (ﷺ) على المدينة في إحدى غزواته وصحبه في عمرة القضاء، وله فيها رجز، وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة (بأدنى البلقاء من أرض الشام) فاستشهد فيها. عن الأعلام ٤: ٨٦.

(٢) ابن ماجة. كتاب الجهاد. باب تشييع الغزاة.

(٣) سحنون ١٦٠ - ٢٤٠ هـ = ٧٧٧ - ٨٥٤ م : عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون، قاض فقيه، انتهت إليه رئاسة العلم في المغرب، كان زاهداً لا يهاب سلطاناً في حق يقوله، أصله شامي، من حمص، ومولده في القيروان، ولي القضاء بها سنة ٢٣٤ واستمر إلى أن مات أخباره كثيرة جداً وكان رفيع القدر، عفيفاً، أبيّ النفس، روى المدوّنة في فروع المالكية عن عبد الرحمن بن قاسم عن الإمام مالك. عن الأعلام ٤: ٥.

(٤) ابن وهب ١٢٥ - ١٩٧ = ٧٤٣ - ٨١٣ م: عبدالله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء، المصري، أبو محمد، فقيه من الأئمة من أصحاب الإمام مالك، جمع بين الفقه والحديث والعبادة، وله كتب منها: الجامع في الحديث والموطأ في الحديث وكان ثقة حافظاً مجتهداً. مولده ووفاته بمصر - عن الأعلام ٤: ١٤٤.

الخُشَنّي عن مروانَ بنِ سالم يرفعه قال: صافحوا الغزاة في سبيل الله، فإنّه مَنْ صافحَ غازياً في سبيلِ الله خرجَ من ذنوبه كيوم ولَدَتْه أمُّه.

وقال - ﷺ -. مَنْ سلَّم على مُجاهدٍ سلّمتْ الحُوْرُ العِينُ عليه، ومَنْ أعانَ المجاهدَ بكلمةٍ أو زوّدَه بتَمْرةٍ وضَعَ اللهُ البركةَ في ماله، وحَرّمَ جسده على النار

وقال - ﷺ -. مَنْ أعطى مجاهداً رُمْحاً أوْ تُرْساً أعانه بها، يجيءُ يومَ القيامة وأجْنحةُ الملائكة تحفُّه والملائكةُ ترعاه، فإذا مرَّ على جهنّم لمْ يعلمْ بمرورِهِ عليها، ولا ارتاعَ من مَهُولِ منظرِها.

قال ابنُ حبيبٍ: وجاءت الرغائب فيمن أنْفَقَ في السبيلِ أو أعان بماله. وقال: نَفَقَةُ الخارج أفضلُ.

قال زيد بن أسلم (١) : نَفَقةُ الخارجين [في سبيل الله (٢)] ﴿ كمثَلِ حَبَّةٍ أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلةٍ مئةُ حبّةٍ، والله يُضاعفُ لِمَنْ يشاء ﴾ (٣) .

قال ابنُ حبيب: ومَنْ أعطى الغازي شيئاً من غير مسألةٍ، فأكثرُ العلماء لا يرونَ بأخْذِه بأساً .

---

(١) زيد بن أسلم ت ١٣٦ هـ = ٧٥٣ م: زيد بن أسلم العدوي العمري، مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبدالله، فقيه مفسر من أهل المدينة، كان مع عمر بن عبدالعزيز أيام خلافته، واستقدمه الوليد ابن يزيد في جماعة من فقهاء المدينة إلى دمشق مستفتياً في أمر، وكان ثقة كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي، وله كتاب في التفسير رواه عنه ولده عبدالرحمن. عن الأعلام ٣: ٥٦.

(٢) عبارة (في سبيل الله) ساقطة من س.

(٣) عبارة (والله يضاعف لمن يشاء) ساقط من س والآية من سورة البقرة ٢: ٢٦١.

فإنِ احتاج إليه انفقه وإلاَّ فرَّقه في السبيل وقد تقدَّمَ فِعْلُ/ [س٣٢] عامر مع ابن عمر وقوله له رضي الله عنهما.

الباب السادس

فيما يجب على الأمير أن يفعله في السَّفَر

فيما يجب على الأمير أن يفعله في السَّفَر [م ١٨]

يجبُ على الأمير أن يسيرَ جيشَهُ وجمعَهُ بسَيْرِ أضعفِهم، وفي ذلك الرِّفقُ الذي يبلغ به الضعيفُ ويتوفَّرُ عليه جَلَدُ القويِّ، وفي خلاف ذلك استهلاك الضعيفِ واستفراغُ جَلَدِ القويِّ (١) .

قال رسولُ الله - ﷺ -: إنَّ الدينَ مَتِينٌ فأوْغِلُوا فيه بِرِفْقٍ، فإنَّ المُنْبَتَّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقى، وشَرُّ السيرِ الحَقْحَقَةُ (٢) .

وقد قال ﷺ : سِيروا بِسَيْرِ أضعفكم (٣) . وقال عليه السلام:

---

(١) أصل ذلك ما ورد في رسالة عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص: وترفّق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم، ولا تقصر بهم عن منزل يرفُق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكُراع. العقد ١: ١٣٠. وانظر الشروط المفروضة على قائد الجيش في نهاية الأرب ٦: ١٥٢ نقلاً عن الأحكام السلطانية للماوردي : ٣٥.

(٢) الحديث في نهاية الأرب ١٥٢:٦ وهو في الجامع الصغير. والمنبتّ: المنقطع وهو أيضاً في الأحكام السلطانية للماوردي ٣٥. والحَقْحَقة: أرفع السير وأتعبه للظهر أو اللجاج في السير، أو السير أول الليل، أو أن يلج في السير حتى تتعب راحلته أو تنقطع. عن القاموس المحيط.

(٣) ورد الحديث في كتاب: المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص ١١٢ برقم: ١٥٨ بلفظ: سيروا على سير أضعفكم.. قال السخاوي: لا أعرفه بهذا اللفظ.

قال محقق الكتاب: تمام كلام السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٢٤٧، ولكن معناه في قوله (ﷺ) لعثمان بن أبي العاص رضي الله عنه حين أمّره على الطائف: يا عثمان تجاوز في الصلاة واقْدُر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبير والصغير، والسقيم والبعيد وذا الحاجة، وهو عند الشافعي في «سننه» والترمذي وقال: حسن وابن ماجة ١: ٣١٦ واللفظ له وصححه ابن خزيمة والحاكم في «المستدرك» ١: ١٩٩ و٢٠١ وقال إنه على شرط مسلم. ونحوه عند الحارث ابن أبي أسامة عن أبي هريرة رفعه: يا أبا هريرة إذا كنت إماماً فقس الناس بأضعفهم وفي =

«الضعيفُ أميرُ الرُّفْقَة» (١) ، يريد ن أنّ مَنْ ضَعُفَ أو ضعفت دابَّتُه التي تحملُه، كان على القوم أنْ يسيروا بسيره، ويتفقّدُ ذلك الإمامُ، ويحبس على الناس بسير دابّته.

ورُوي: أقطفُ القومِ دَابةُ أميرهم.

ولا بأس إذا كانَ القوم كلُّهم أقوياءَ واحتاجوا إلى جدّ السير والإسراع أنْ يفعلوا ذلك، فقد سار ابنُ عمر وسعيدُ بنُ أبي هند وكانا من خيرِ الناسِ من المدينة إلى مكة في ثلاثةِ أيامٍ، وهي عَشرةُ أيامٍ على السير المعتاد.

وعليه أن يتفقّد خَيْلَهم التي يجاهدون عليها، وظُهرَهم التي يمتطونها وتحملُ أثقالَهم وأمتاعَهم، فَيُخرجُ من خيلِ جهادهم القحْمَ الكبير والحطَم الكسيرَ، والضرَعَ الصغير، والأعجفَ الهزيلَ، فإنّها لا تُغْني، وربما كان الضعيفُ من ذلك وهناً في العسكر [س ٣٤] ويردّ مَنْ لا يقْدِرُ على

= لفظ: بأضعفهم فإن فيهم... قال المحقق: قلت: روى مسلم ٤: ١٨٦ وأبو داود ١: ١٤٦ والنسائي ٢: ٢٣ وابن ماجة ١: ٣١٦ واللفظ للنسائي: «عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، اجعلني إمام قومي، فقال: أنت إمامهم واقتد بأضعفهم» ومعنى اقتد بأضعفهم أي راعِ ضعفه في طول القيام والقراءة حتى كأنك تقوم وتركع على ما يُريد، فتكون كالتابع له.

(١) الضعيف أمير الرفقة. قال الماوردي في الأحكام السلطانية: ٣٥ وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال: «الضعيف أمير الرفقة» يريد أن مَنْ ضعفت دابته كان على القوم أن يسيروا بسيره، والثاني أن يتفقد خيلهم التي يجاهدون عليها وظهورهم التي يمتطونها، فلا يدخل في خيل الجهاد ضخماً كبيراً ولا ضرعاً صغيراً ولا حطماً كسيراً ولا أعجف زارحاً هزيلاً، لأنها لا تقي وربما كان ضعفها وهناً، ويتفقد ظهور الامتطاء والركوب، فيخرج منها ما لا يقدر على السير ويمنع من حمل زيادة على طاقتها.

السير، ويمنع أن يُحملَ على الظهر ما لا يُطيقُه، ويوكِّل بالسَّاقة (١) رجالاً في الدخول إلى دار الحرب وفي الخروج يلحقون مَنْ تَخلَّف ويقفون على الضعيف (٢).

كان رسول الله ﷺ يقول: ابغُوني في الضُّعَفَاء فإنَّما ترزقونَ بهم وتُنصرون بضعفائكم (٣).

ومَنْ له دابَّة لا فضل فيها تحبسه عَن الناس نزعوها عنه أو نزعوه عنها وألحقوه بالناس وإنْ رأوا ذَبْحَها ذَبَحُوها ولا ضمانَ عليهم فيها.

وعليه (٤) أنْ يُراعيَ أمرَ المقَاتِلَةِ من المسترزقة والمطوّعة ويُعرّف على كلّ فريقٍ مَنْ يَثِقُ به من العرفاء والنُّقباء ليعرفَ من قبلِهم أحوالَ جُنْدِه ويبلّغون عمّن لديهم إلى الأميرِ ما يحتاجون إليه، وعن الأمير إليهم الأوامرَ والنّواهي، ويدعُونَهم عند الحاجة فذلكَ أسرع في الحثّ على الجهاد وأهبة الاستعداد. وقد فعله النبيُّ ﷺ. ويأخذُهم بامتثال أوامره ونواهِيه فيما يراه مِنَ النظر لهم في حَرْبهم وغيرِ ذلك من مصالحهم، فَمَنْ عَصَاه فله أدبُه بحسب حاله، ولا يُغْلِظ ولا يفْرِط فيوحشهم قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ من الله لِنْتَ لهم، ولَوْ كنتَ فظّاً غليظ القلب لا نفضّوا من

(١) الساقة: مؤخرة الجيش.

(٢) النقل بتصرف عن الأحكام السلطانية للماوردي: ٣٥.

(٣) ورد الحديث في فيض القدير ١: ١٥٤ برقم: ٥٨ بلفظ: ابغوني في الضعفاء فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم. والذي في أصلنا: ابقوني وهو تصحيف وعن محقق فيض القدير قال: أخرجه أحمد في مسنده ٥: ١٩٨ وأبو داود ٣: ٥٩٤ والترمذي ٤: ١٧٠٢ والنسائي ٦: ٣١٧٩ وابن حبان ٧: ١٣٣ والحاكم في المستدرك ٢: ١٠٦ عن أبي الدرداء. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) النقل عن الأحكام السلطانية ص ٣٦ وما بعدها بتصرف.

حولك، فاعفُ عنهم واستغفرْ لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمتَ فتوكّلْ على الله، إنّ الله يحبُّ المتوكّلين ﴾ (١) .

وقال النبيّ ﷺ : «خيرُ دينكم أيسرُهُ» (٢) فإن كان الأميرَ الأعلى فله ذلك على [س ٣٥] الإطلاق في كل زمانٍ ومكان، وإنْ كانَ أميراً خاصاً على عسكرٍ بعينه أو سرية [م ١٨] أو التوجّهِ إلى ثغرٍ بعينه فلهُ ذلك في عَسْكرهِ أو سَرِيّته أو مَصافة ثغره، فإذا استقرَّ في ثَغْره فله فيه مثلُ ذلك. ولا يتعدّى من أُمِّرَ عليه في خصوصٍ أو عموم وسيأتي حكمُ وليِّ الثّغرِ بعدُ إن شاء الله.

وعليه أن يجعلَ لكلِّ طائفةٍ شعاراً يتداعونَ بها ويتميزونَ عندَ الاجتماع فيه، ويهتدي به مَنْ ضَلَّ عن أصحابه ويرجعُ به إلى قومهِ في حال القتال أو غيره، فيكونُ بذلك التعاونُ والتّصابر (٣) .

رويَ أن النبيَّ ﷺ جعلَ شعارَ **المهاجرين**: «يا بني عبدالرحمن» وشعارَ **الخزرج**: «يا بني عبدالله» وشعارَ **الأوس**: «يا بني عُبيدِ الله» وسمّى خَيْلَهُ: يا خَيْلَ الله (٤) وكان من شعارِ الصحابة يومَ حُنين: «يا أصحاب سورة البقرة».

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٥٩.

(٢) في الجامع الصغير ٢: ١٠ خير دينكم أيسره، عن أحمد وعن البخاري في الأدب المفرد عن محجن بن الأدرع والطبراني في الكبير عن عمران بن حصين. وعن الطبراني في الأوسط وابن عدي في الكامل عن أنس، وورد في شرح السير الكبير ١: ٢٢٨ خير دينكم اليسر.

(٣) النقل عن الأحكام السلطانية للماوردي ٣٦ بتصرف.

(٤) النقل عن الأحكام السلطانية ٣٦.

وقال عليه السلام: إذا لقيتمُ العدوَّ فشِعاركم «حم. لا ينصرون»، أي اللهمَّ.

وقال سَحْنون: الشّعارُ من الأمر القديم.

قال ابن عباس: كان الشعارُ يوم بدرٍ: يا منصور (١) .

وعليه أن يتصفَّح جيشه، ويُخرجَ مَنْ عندَه تَخْذيلٌ للمجاهدين أو عينٌ للمشركين أو إرجافٌ بالمسلمين، وقد ردَّ النبيُّ ﷺ عبدالله بنَ أبيّ ابنِ

(١) جاء في شرح السير الكبير ١: ٧٤ برقم: ٥٩: قال محمد رحمه الله: وينبغي أن يتخذ كل قومٍ شعاراً إذا خرجوا في مغازيهم حتى إن ضل رجل عن أصحابه نادى بشعارهم، وكذلك ينبغي أن يكون لأهل كل راية شعار معروف، حتى إن ضل رجل عن أهل رايته نادى بشعاره فيتمكن من الرجوع إليهم، وليس ذلك بواجب في الدين، حتى لو لم يفعلوا لم يأثموا، ولكنه أفضل وأقوى على الحرب، وأقرب إلى موافقة ما جاءت به الآثار على ما روي عن سنان ابن وبرة الجهني قال: كنا مع رسول الله (ﷺ) في غزوة المريسيع وهي غزاة بني المصطلق، وكان شعارنا: يا منصور أمت.

قال السرخسي: معناه قد ظفرت بالعدو فاقتل مَنْ شئت منهم، وهذ كان شعار النبي (ﷺ) يوم بدر، وكان شعاره يوم أُحد: أمت أمت.

قال محمد: وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جعل رسول الله (ﷺ) شعار المهاجرين : يا بني عبدالرحمن. والخزرج يا بني عبدالله. والأوس: يا بني عبيد الله. وقال لهم رسول الله ليلة في حرب الأحزاب: إن بُيِّتم الليلة فشعاركم: حم. لا يُنصرون.

وكان شعارهم يوم حنين: يا أصحاب سورة البقرة وبه ناداهم رسول الله (ﷺ) حين ولُّوا منهزمين فقال: يا أصحاب سورة البقرة ! إليَّ أنا عبدالله ورسوله سائر اليوم. وجعل يتقدم في نحر العدو، فرجع إليه المسلمون حين سمعوا صوته.

وفي رواية: كان شعارهم يومئذ: حم لا يُنصرون. فلما ثاب المسلمون – أي رجعوا إليه – تولّى المشركون. فقال رسول الله (ﷺ): انهزموا ويا سين. قال السرخسي: فالحاصل أن الشعار هو العلامة، فالخيار في ذلك إلى إمام المسلمين، إلا انه ينبغي له أن يختار كلمة دالة على ظفرهم على العدو بطريق التفاؤل. فقد كان رسول الله (ﷺ) يعجبه الفال الحسن.

قلت: وقد ورد في شرح السيرة النبوية ٢: ٨٩٠ أن رسول الله (ﷺ) كان يقول يوم حنين: يا معشر أصحاب السَّمُرة.

سَلُول (١) في بعض غَزواته بتخذيله للمسلمين (٢) ، وكذلك يُتَحرَّز ممَّن بينَه وبينَ العدوّ عهدٌ أو مراسلةٌ ومكاتبة، ويَسْتَخْبِرُ الثقاتِ المأمونين المعروفين بالنَّصيحة والورع إن كانَ مَنْ هذه صفته في قومه [س ٣٦] عمَّا يسمعونه ويَخْبرونه من عامّة العسكر.

وقد جاءَ في الحديث بيانُ عقوبة فاعل ذلك، وهو في حديث الظعينة التي أطْلَعَ اللهُ نبيَّه ﷺ على خبرِها، فأرسل إليها وأمرَ بأخْذِ الكتاب منها، وأنْ يُخْلَى سبيلُها إنْ دفَعته، وإنْ منَعته قُتلتْ، فأخْرَجَتْه من عِقَاصِها فإذا فيه: من حاطبِ بنَ أبي بلْتَعة (٣) إلى ناسٍ من المشركين أهلِ مكة يخبرهم ببعض أمرِ رسول الله ﷺ. فقال: يا حاطبُ ماهذا؟ قال: يا رسولَ الله، لا تَعْجَلْ عليّ، إنّي كنتُ امرأً مُلْصَقاً في قريشٍ ولم أكنْ منَ أنْفُسِها، وكان مَنْ مَعَكَ من المهاجرين لهم قراباتٌ بمكّة يحمون بها أهلَهم وأموالَهم،

---

(١) عبدالله بن أبيّ ت ٩ هـ = ٦٣٠م : عبدالله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحُباب المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه من خزاعة. هو رأس المنافقين في الإسلام من أهل المدينة، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم، وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر ولما تهيأ النبي (ﷺ) لوقعة أُحد انخزل عبدالله بن أبيّ وكان معه ٣٠٠ رجل، وعاد بهم إلى المدينة، وفعل ذلك يوم التهيؤ لغزوة تبوك، وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمت بهم وكلما سمع سيئة نشرها وله في ذلك أخبار ولما مات صلّى عليه النبي (ﷺ) فنزلت «ولا تصلِّ على أحد منهم» وكان عملاقاً يركب الفرس فتخط إبهاماه في الأرض. عن الأعلام ٤: ٦٥ وأخباره في السيرة النبوية في غزوة أُحد وتبوك وغيرهما.

(٢) النقل من الأحكام السلطانية: ٣٧.

(٣) حاطب: ٣٥ ق. هـ - ٣٠ هـ = ٥٨٦ - ٦٥٠م : حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، صحابي، شهد الوقائع كلها مع رسول الله (ﷺ) وكان من أشد الرماة في الصحابة، وكانت له تجارة واسعة، بعثه النبي (ﷺ) بكتابه إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، ومات في المدينة، وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية.

الإصابة ١: ٣١٤ برقم: ١٥٣٣ والأعلام ٢: ١٥٩ والسيرة النبوية ١: ٥٠٣ و٢: ٨٥٠ .

فأحببتُ إذْ فاتني ذلك في النّسَب أنْ اتّخذَ عندهم يداً يَحْمُونَ بها قرابتي، وما فعلتُ ذلك كفراً ولا ارتداداً.

فقال النبيّ ﷺ : قد صَدَقكُمْ.

فقال عمر: يا رسول الله دعْني أضربْ عُنُقَ هذا المنافق.

قال: إنّه قَدْ شهِد بدراً، وما يُدريك لعلّ الله أن يكونَ قد اطّلَعَ على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم، فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياءَ تُلْقون إليهم بالمودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحقّ يُخرِجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إنْ كنتمْ خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاءَ مرضاتي، تسرّون إليهم بالمودّة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم، ومَنْ يفعلْه منكم فقد ضلّ سواء السبيل ﴾ (١) . ففي هذا الخبرِ ما يدلُّ على أنّ مَنْ كَاتَبَ العدوَّ [س ٣٧] قُتِلَ، لأنّ علّةَ إبْقاءِ [م ١٩] حاطب: تصديقُ النبيِّ ﷺ إيّاه في عُذرِه ولا يَصحُّ ذلك لغيره، وأنه كانَ من أهل بدرٍ وقد ورَدَ فيهم ما ورَدَ.

وفيه أيضاً: أنْ لا يُوالَى كافرٌ ولا يُلْقى إليه بمودّة، قال سَحْنون: ومَنْ قاتَلَ أهل الحربِ قُتِل ولمْ يُستَتَبْ، ومالُه لورثته.

وقال غيرُه: يُجلَدُ ويُطال حبسُه ويُنفى من الموضع الذي يقْرُبُ من العدوّ.

---

(١) سورة الممتحنة ٦٠ : ١ – ٤ : وخبر حاطب مع ما ورد فيه من الحديث والآيات في السيرة النبوية ٢: ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١ وانظر الأحكام السلطانية: ٤٧، ٤٨.

ورويَ أنَّ عيناً من المشركين جاء إلى رسول الله ﷺ فلمَّا طَعِم انسلّ، فقال رسول الله ﷺ : عليَّ بالرَّجل، اقتلُوه، فابتدره القومُ، فسبقَهم سلمةُ ابن الأكوع (١) فقتله فَنَفَّلَهُ النبيَّ ﷺ سَلَبَه (٢) .

فعلى هذا كله يجب على الأمير تصفُّح جيشه واستعراضُ قومه واستنفاض عسكره.

وعليه ان يكونَ اسوةً لأهلِ عسكرِه جُهدَه في احواله واقواله، وأنْ يُشَاوِرَ أهلَ الرأي والحِنْكَة، قال الله تعالى:﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ (٣) واختلفَ الناسُ في هذا الأمرِ للنبيِّ ﷺ مع ما ايَّده اللهُ به من التوفيق، واعانَه به من التأييد، فقيل: إنَّه ليستقرَّ له الأمرُ الصحيح فيُعملُ عَزْمه، وقيل: ذلك لِمَا في المشاورةِ من الفضْل والنَّفع والأدب مع الأصحاب، وقيل: إنْ ذلك لِيستَنَّ به المسلمونَ ويتبعه به المؤمنون، وإنْ كانَ عن مُشَاورتهم غنياً، قال الحسنُ (٤) : ما تشاور قومٌ إلاَّ هُدُوا لأرْشَدِ امرِهم (٥).

---

(١) سلمة بن الاكوع ت ٧٤ هـ = ٦٩٣م : سلمة بن عمرو بن سنان الاكوع الاسلمي، صحابي، من الذين بايعوا تحت الشجرة، غزا مع النبي (ﷺ) سبع غزوات منها الحديبية وخيبر وحنين وكان شجاعاً بطلاً رامياً عداءً، وهو ممن غزا إفريقية في ايام عثمان. توفي بالمدينة. عن الأعلام ٣: ١١٣ والإصابة ٣: ١١٨ برقم: ٣٣٨٢.

(٢) البخاري : الجهاد والسير. حديث برقم: ٢٨٢٣.

(٣) سورة ال عمران: ٣: ١٥٩.

(٤) ربما كان يريد الحسن البصري ٢١ - ١١٠هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨م واسمه الحسن بن يسار ابوسعيد، تابعي، إمام البصرة وحبر الأمة في زمنه، وهو احد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة وشب في كنف عليّ بن ابي طالب، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية وسكن البصرة وعظمت هيبته في القلوب. عن الأعلام ٢: ٢٢٦.

(٥) الأحكام السلطانية : ٤٣ .

وعليه أنْ يَسْتَدْنيَ أهلَ الفضْلِ والدِّين والنصيحة من المسلمين و[س٣٨] يقرِّبَ من أهل الثغور وشبههم أهلَ البصائرِ والممارسة للحرب والمعرفة بالجهات والطُّرُقِ والأرضِ التي يقْصِدُها، ويُحسِنَ إليهم ويطيِّب نفوسَهم، ويعدهم بالثّواب على الصِّدقِ في كل حالٍ، ليأمنَ في ذلك مِنَ كَذِبِ المُخْبِرِ وغِشِّ النَّصيح، فإنَّهُ لا رأيَ لكذوبٍ ولا ثقة بمغلوب ولا نُصْحَ لموتور، ولا حُرْمة لمهجور.

ويستخبر أهلَ السِّيرِ في السِّير، فما خاف أنْ يُوقِع وَهْناً في عسكره كَتَمه وينظرُ في التخلّص منه، وما كان تقويةً لقلوبِ قومه، وبشارةً بمأموله أذاعه وأفشاه ونَشط ما استطاع وبشَّرَ النفوسَ بما يَشْعُرُ به من الظَّفَر ويخيِّل من أسباب النصر، ويقلِّل العدوَّ في أعين المسلمين ليكونوا أجرأ عليهم وأنشطَ في قتالهم، قال الله تعالى: ﴿ ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ﴾ (١) ويكون ذلك بسياسةٍ وتحذيرٍ من المكائد وتخويفٍ من الخِذْلان لئلا يغتَرَّ الناسُ باحتقار العدوِّ [فيقعَ التواكل من بعضِ الجيش على بعض، فيجد العدوَّ فيهم فُرصةً ولو كان قليلاً] (٢) .

نَعوذُ بالله من الخِذْلان، فإنَّ قلبَ الإنسانِ إذا دخَله الخوفُ شَغَلَهُ الحذَر، وإذا اتّسع له الأمن استلبته الغرّة (٣) .

وعليه أنْ يَعِدَ أهلَ البصيرةِ والبلاءِ بثوابِ اللهِ إنْ كانوا من أهلِ الآخرةِ، وبالجزاءِ والنَّفلِ إنْ كانوا من أهلِ الدُّنيا، وثوابُ الآخرة الجنّة

---

(١) سورة الأنفال ٨: ٤٢.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من م.

(٣) في س : العزة.

وثوابُ الدنيا الغنيمة، قال الله العظيم ﴿ ومَنْ يُرِدْ ثوابَ الدُّنيا نُؤْتِهِ منها، ومَنْ يُرِدْ ثوابَ الآخرةِ نؤتِهِ منها ﴾ (١) / [م ٢٠] .

وعليه / [س ٣٩] أنْ لا يُمايل مَنْ ناسَبَهُ أو صاحَبَهُ أو قاربَه أو وافَقَ رأيَهُ ومذهَبَهُ على مَنْ بَاينَه في شيءٍ من ذلك، فيكونُ ذلك داعيةً إلى تفريقِ الكلمةِ والتَّشاغُل بالتقاطعِ والمضاغنةِ والاختلاف، بل يُداري ويَرْفِق ويظهر التسويةَ في القُرْبِ والتكافؤ في الحُكْمِ، والتجافيَ عن التخصيص بالعتْب والذمّ. بل يَشْمَلُ فيما يُكْرَهُ بأن يقول: ينبغي أنْ لا يُفعل كذا، وفيما يجب: يجب أنْ يُفعل كذا، كان رسول الله ﷺ إذا كرِهَ بعضَ الأمورِ قام خطيباً ثم قال: ما بَالُ قومٍ يفعلون كذا ثمّ ينهى عموماً أو يأمرُ عموماً. وقد فَعَلَ ذلك عمرُ رضي الله عنه وهو حسنٌ في النّظَر (٢) .

وقد أغضى رسول الله ﷺ عن المنافقين وهم أضدادٌ في الدّين وأعداء المسلمين، لكنّهم لمّا استتروا بالإسلام واتّسموا بصحبة خير الأنام، أجرى عليهم حكْمَ الظاهر (٣) ، حتى قال له بعض أصحابه: «دعني أقتل هذا المنافقَ -يعني عبدالله بن أبيّ ابن سلُول - فقال النبيّ ﷺ: أخافُ أنْ يقال: محمدٌ يقتلُ أصحابَه» (٤) فعلَّمَنا بذلك المداراةَ والصبرَ على الأذى واحتمالَ المكروه مخافةَ اختلافِ الظنون واقتحامِ الأهواء على السرّ المكنون. وفيه ﷺ الأسوةُ الحسنةُ، فكثّرَ بهم العددَ وشدّ بهم الشوكةَ، وكمّلَ بهم العُدّة، ووكَلَهم في ضمائرهم وسرائرهم إلى علاّم

(١) سورة آل عمران ٣: ١٤٥ والنقل عن الأحكام السلطانية: ٤٣.

(٢) انظر الأحكام السلطانية : ٣٧.

(٣) الأحكام السلطانية: ٣٧.

(٤) انظر الخبر بتفصيله في السيرة النبوية: ٢: ٧٦١.

الغيوب (١) ، ما لم يظهرْ منهم التخذيلُ عن الجهاد، ويبدو عليهم/ [س ٤٠] مَخيل الإفساد، فحينئذٍ يجبُ إخراجُهم إلى حيثُ تؤمنُ غائلتُهم كما تقدَّم، قال الله تعالى: ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحكم ﴾(٢) قيل: إنّ المرادَ بالريح: الدولةُ، وقيل: القوةُ، وضرب لها المثَلَ بالرِّيح لقوّتها (٣) ، وقيل: يُحتملُ أنْ يكونَ للنصر ريحٌ من قبل الله عزّوجلّ تهبّ بأمره حيثُ شاء.

وعليه أن يأخذَ جَيْشَه بما أوجبَ الله تعالى من حقوقِه وأمرَ به من حُدودِه، حتى لا يكونَ بينَهم تجاوزٌ في دين، ولا تحيُّفٌ في حقٍّ، فَمَنْ جاهدَ عن الدِّين [فهو] أحقُّ الناس بالتزامِ حدودِه والقيامِ بأحكامه والفَصْل بين حلاله وحرامه (٤) .

رويَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: انْهوا جُيوشَكم عن الفَسادِ فإنَّه ما أفسدَ جيشٌ قطّ إلاَّ سُلِّطَ عليهم الرِّجْلةُ، وانْهَوا جيوشكم عن الغُلُول، فما غَلَّ جيشٌ قطّ إلا قَذفَ الله الرعبَ في قلوبهم، وانْهَوا جيوشكم عن الزِّنى فما زنى جيشٌ قطّ إلا سُلِّط عليهم الموَتَان (٥) .

---

(١) الأحكام السلطانية: ٣٧.
(٢) سورة الأنفال ٨: ٤٦.
(٣) الأحكام السلطانية : ٣٧.
(٤) الأحكام السلطانية: ٤٤.
(٥) الحديث في الأحكام السلطانية ٤٤ بهذه الرواية.
روى حارث بن نبهان عن أبان بن عثمان عن النبي ﷺ انه قال: انهوا جيوشكم عن الفساد، فإنه ما فسد جيش قط إلا قذف الله في قلوبهم الرعب، وانهوا جيوشكم عن الغُلول فإنه ما غَلَّ جيش قط إلا سلط الله عليهم الرَّجلة، وانهوا جيوشكم عن الزنى، فإنه ما زنى جيش قط إلا سلط الله عليهم الموَتان. وانظر نهاية الأرب ٦: ١٥٨ والموطا، الجهاد: برقم ٨٧٠.

والرجْلةُ: موت الدوابِّ والخيل. **والموَتَان**: الوباءُ الذي يموتُ فيه عامَّةُ الناس.

وعليه أن ينهى جيشَه عن التَّشاغل بالتجارة والزراعة، فإنَّ ذلك يصرف هِمَمَهم عن مُصابرة العدوِّ وصِدْق النيَّة في الجهاد (١) .

رُوِيَ عن النبي ﷺ أنَّه قال: بُعثتُ مَرْحَمةً ومَرْغَمة، ولم أُبْعَثْ تاجراً ولا زَارعاً، وإنَّ شرَّ هذه الأمة التِجارُ والزّارعون إلاَّ مَنْ شحَّ على دينه (٢) [م٢١].

وغزا نبيٌّ [س ٤١] من الأنبياء عليهم السلام فقال: لا يَغْزُ معي رجلٌ بنى بناءً لم يكْمِلْهُ، ولا رجلٌ تزوّج امرأةً ولم يدخلْ بها، ولا رجلٌ زرَع زرعاً ولم يحْصُدْه (٣) .

وعليه النظرُ في حراسةِ جيشِه من غرّة العدوّ، بأن يستنفضَ المكامنَ والمراصدَ ويُرتِّب الطلائعَ على الموارِد والمقاصدِ ويتخيّرَ المنازل بحسب الأحوال في كلّ زمانٍ ومكان، ولا يغْفُلَ عن أوطإِ الأرض نُزلاً وأكثرِها مرعىً وماءً ومنافعَ، وأحْرَسِها أكْنَافاً وأطرافاً، ويحرس حراسةً يأمن بها عسكرُهُ في الأنفسِ والرِّحال، وتسكنُ إليه النفوسُ في حال الدَّعَةِ وأخْذِ

---

(١) الأحكام السلطانية : ٤٤.

(٢) الحديث بهذه الرواية في الأحكام السلطانية: ٤٤ وروايته في فيض القدير ٥: ٢٥٩٧ برقم: ٣١٥٤ «بعثت مرحمة وملحمة ولم أبعث تاجراً ولا زارعاً الا وإن شرار الأمة التجار والزارعون إلا مَنْ شح على دينه» عن ابن عباس. قال محققه: أخرجه ابو نعيم في الحلية ٤: ٧٢ والديلمي في مسند الفردوس ٢: ١٩١٨ عن ابن عباس. وضعفه الالباني في ضعيف الجامع ٢٣٤٠.

(٣) هذا الخبر في الأحكام السلطانية: ٤٤.

الأُهْبَة والتّهيئة لوقتِ المحاربة، فيكونُ ذلكَ أعونَ على المنازلةِ وأقوى على المراقبة.

وعليه إعدادُ ما يَحتاجُ إليه الجيشُ من زَادٍ وعَلُوفةٍ، يُفرِّقُ ذلك عليهم في وقتِ الحاجة إذا نَفِدَ زادُهم لتسْكُنَ نفوسُهم إليه ويثِقُوا بمادّةٍ يستغنون عن طلبها فيكونوا على المحاربةِ أوفرَ ولمنازلةِ العدوّ أقوى وأصبرَ.

وعليه أن يتعرّفَ أحوال عدوّه ويتَسمّعَ مع السّاعات وفي كلِّ الأحيانِ أخْبَارَهم حتّى يعرف أحوالَهم ويعلَمَ مقاصدَهم وأغراضَهم، ويجتهدَ في إذكاءِ العيونِ، وبثِّ الرّصَد، وبَعْثِ مَنْ يَثِقُ به في الاستعلام بعادة العدوّ، ويتحرّزَ من مكرهم وخُدَعهم، ويلتمسَ الغرّة في الهجوم عليهم إنْ رأى ذلك فرصةً وتبيّنَ له منهم غفلةً، فإنّ الحرب خُدْعةٌ، وأيسرُ الغَفْلة والتأنّي عند ذلك صَرْعةٌ / [س ٤٢].

وعليه أنْ يتعرّفَ أحوالَ الناسِ في عسكره، وهل يحتاجونَ إلى الخروج في غَارَةٍ أو مُعْتَلفة فَيندُبَ لذلك ويحوط الخارجين في البعوث بتأمير الموثوق بهِ في نجدتِهِ وسياستهِ ودُرْبَتِهِ وعِلْمِهِ بالجهات، فإنّ أكثرَ ما يُصابونَ في ذلك من الاسترسالِ وعدم الامتثال، وإنْ رأى المَنْعَ مِنْ ذلك لخوفٍ من غِرّةٍ أو جهلٍ بمكامنِ العدوّ نادى بالنّهي عن الخروج حتّى يُعيّنَ أميراً ويندبَ جماعةً تكونُ رِدْءاً للمُعْتلفة، ولا يكونُ الخروجُ لشيءٍ من ذلك إلاّ بإذنٍ وتحت نظر أميرٍ وجماعةٍ، لأنّ ركوبَ الخطر في إهمالِ ذلك عظيمٌ.

الباب السابع

في امتثال الغازي أمرَ إمامه وأمير عسكره وقائد جماعته

في امتثال الغازي أمرَ إمامه وأمير عسكره وقائد جماعته

يَجبُ على الغازي امتثالُ أمرِ إمامِهِ أو أميرِ عسكرِهِ أو قائدِ جَماعته، وأنْ لا يخالفَه في شيءٍ من أمره ما استطاع ممّا يُوافقُ سُنّةً في عمَلٍ أو تدبيرٍ في رتبةٍ أو حِيلَةٍ أوْ مكيدةٍ على عَدوٍّ أو نظرٍ في بعثِ طليعةٍ أو سَرِيّةٍ أو رائدٍ أو حراسةٍ لجانبٍ أو كمينٍ لغارةٍ أو تَجْريدِ جَريدة لشغْلِ جهةٍ أو جلْب عَيْرٍ أو قوتٍ أو غَنيمةٍ وأشباهِ ذلك من الوجوه التي للأميرِ النظرُ فيها، قال الله تعالى: ﴿ وأطيعُوا الله/ [م ٢٢] وأطيعُوا الرسولَ وأولي الأمرِ منكم ﴾ (١) فقيلَ في أولي الأمر: إنّهم الولاةُ الأمراءُ، قاله **أبو هريرة وابنُ عباس وغيرهما** (٢) . وقيل: هم أصحابُ السرايا.

وقال **زيدُ بنُ أسلم**: هم السلاطين.

وقال **جابرُ** (٣) / [س ٤٣] بنُ عبدِالله: هم أهلُ العلمِ والفقهِ والخيرِ

---

(١) سورة النساء ٤: ٥٩.

(٢) النقل عن الأحكام السلطانية ٤٨ وفيه: وفي أولي الأمر تأويلان: أحدهما أنهم الأمراء، وهذا قول ابن عباس رضوان الله عليه، والثاني أنهم العلماء، وهذا قول جابر بن عبدالله والحسن وعطاء.

(٣) جابر ١٦ ق. هـ - ٧٨ هـ = ٦٠٧ - ٦٩٧ م: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي، صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي (ﷺ). روى عنه جماعة من الصحابة، له ولأبيه صحبة. غزا تسع عشرة غزوة. وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم. الإصابة ١: ٢٢٢ برقم: ١٠٢٢ والأعلام ٢: ١٠٤.

والدِّين. وقاله **مجاهدٌ** (١) **وقتادةُ** (٢) **وأبو العالية** (٣) ، وقيل غيرُ ذلك.

والأكثرُ على أنَّهم الأمراء والسلاطين واختاره **أهل النظر** لقولِ رسول الله - ﷺ - سَيَليكم بعدي ولاةٌ، البَرُّ بِبرِّهِ والفَاجرُ بفجوره فاسمعوا وأطيعوا في كلِّ ما وافقَ الحقَّ، وصلّوا وراءهم، فإنْ أحسنوا فلكم ولهم، وإنْ أساؤوا فلكم وعليهم. رواه **أبو هريرة** (٤) .

وروي أنه - ﷺ - قال: على المرءِ المسلم الطاعةُ فيما أحبَّ وكرِهَ إلا أنْ يؤمرَ بمعصيةٍ فلا طاعةَ (٥) .

وأنَّه - ﷺ - قال: لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما استقامَ لهم هُداتُهم وولاتُهم.

فالهُداة: العلماء. والولاةُ: الأمراء.

---

(١) **مجاهد ٢١ - ١٠٤هـ = ٦٤٢ - ٧٢٢م** : مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم، تابعيٌّ، مفسِّر، من أهل مكة أخذ التفسير عن ابن عباس. تنقل في الأسفار واستقر في الكوفة. عن الأعلام ٥: ٢٧٨.

(٢) **قتادة ت ٢٣ هـ = ٦٤٤م** : قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الظفري الأوسي، صحابي، بدري من شجعانهم، كان من الرماة المشهورين. شهد المشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ)، وكانت معه يوم الفتح راية بني ظفر، وتوفي بالمدينة وهو ابن ٦٥ سنة. له سبعة أحاديث وهو أخو أبي سعيد الخدري. الأعلام ٥ : ١٨٩ والإصابة ٥: ٢٢٩ برقم: ٧٠٧٠.

(٣) **أبو العالية ت ٩٠ هـ أو ٩٣ أو ٩٦ هـ** : أبو العالية الرياحي مولاهم - اسمه رفيع بن مهران، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة الرسول، وقدم في خلافة أبي بكر. كان عالماً بالقرآن. الإصابة: ٧: ١٤١ برقم: ٨٢٩.

(٤) حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط وفيه: عبدالله بن محمد بن عروة. وهو ضعيف جداً.

(٥) الحديث في صحيح البخاري، الأحكام، حديث برقم: ٦٦١١ ورد بلفظ: ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وانظر: صحيح مسلم - الإمارة - برقم: ٣٤٢٣، والترمذي، الجهاد. برقم: ١٦٢٩، والنسائي، البيعة. برقم: ٤١٣٥، وأبو داود. الجهاد. برقم: ٢٢٥٧.

وفي حديث أبي ذرٍّ قال: أوصاني رسول الله - ﷺ - بثلاثٍ: أحدها أن أسمع وأطيع ولو لعبدٍ مجدَّعِ الأطراف (١) .

وقال - ﷺ - في حديث آخر: وإنْ أُمِّرَ عليكم عَبْدٌ حَبَشيٌّ فاسمعوا وأطيعوا. وفي روايةٍ: إلاّ أنْ يأمر بمعصيةٍ فلا سَمْعَ فيها ولا طَاعةَ (٢) .

وفي كتاب ابن الموّاز (٣) :

قلتُ: أيُغْزى بغير إذن الإمام؟

قالَ: أمّا الجيوشُ والعساكرُ فلا خروجَ لهم إلاّ بإذن الإمام وتوليته عليهم. وقد أُرْخِصَ لأهل الثغور ممّن يقرَبُ العدوُّ ويجدون الفرصةَ، ويبْعدُ عنهم إذنُ الإمام فمهّل مالك في ذلك، فأمّا سريةٌ تخرج من عسكرٍ فلا يجوز لهم ذلك. قال عبد الملك (٤) : وهم عاصون خرجوا ببدعةٍ ورغبوا عن

---

(١) في مسند أحمد ١٥: ٥٢٣ برقم: ٢١٣٢١ عن أبي ذر قال: أوصاني خليلي عليه السلام بثلاثة: اسمع وأطع ولو لعبدٍ مجدّع الأطراف. وإذا صنعت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر أهل بيتٍ من جيرانك فأصبهم منه بمعروف، وصلّ الصلاة لوقتها وإذا وجدت الإمام قد صلّى فقد أحرزت صلاتك وإلا فهي نافلة، وانظر رواية أخرى في المسند ١٥: ٥٤٩ برقم: ٢١٣٩٣.

(٢) الحديث في البخاري كتاب الأحكام ٤ ومسلم في كتاب الإمارة: ٣٦، ٣٧ والترمذي: جهاد ٢٨ وابن ماجة: جهاد ٣٩... وفي مسند أحمد ٤: ٦٩، ٧٠ و٥: ٣٨١ و٦: ٤١٢ - ٤١٣ جاء في مسند أحمد ٤: ٧٠ عن يحيى بن حصين عن أمه قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) يخطب في حجة الوداع يقول: يا أيها الناس، اتقوا الله واسمعوا وأطيعوا وإن أمّر عليكم عبد حبشيٌّ مجدّع ما أقام فيكم كتاب الله عز وجل.

(٣) ابن الموّاز ت ٢٨١ هـ = ٨٩٤م : محمد بن إبراهيم بن زياد الموّاز أبو عبدالله، فقيه مالكي، من أهل الإسكندرية، انتهت إليه رئاسة المذهب في عصره. من تصانيفه: الموّازية. لم تطبع عن الأعلام...

(٤) هو عبدالملك بن حبيب، ويرد ذكره في كتابنا باسم: ابن حبيب.. وقد تقدمت ترجمته.

سنّة رسـول الله – ﷺ – [س ٤٤] والأئمــة بعـده، ولا أرى أن يُنفّلوا، ولا يُنفّل إلاّ مَنْ أطاع، ويؤدّبون على قَدْر أحوالهم بما يراه الإمام.

وقد نهى النبيُّ – ﷺ – أصحابَهُ عن القتال وهم مستقبلو العدوّ، فقاتل رجلٌ، فأمر – ﷺ – مَنْ ينادي: لا تحلُّ الجنّةُ لعاصٍ (١).

وسُئِلَ مالكٌ في العدوّ ينزلُ بساحلِ المسلمين أيقاتلونهم بغَيْرِ إذْنِ الإمام؟

فقال: إنْ قرُب منهم استأذنوه، وإنْ بَعُد قاتلوهم ولا يتركوهم.

قال ابنُ حَبيب: سمعتُ أهلَ العلم يقولون: إذا نَهى الإمامُ عن القتال لامرٍ فيه مصلحةٌ فلا يحلُّ لأحدٍ أنْ يقاتلَ إلاّ أنْ يَغْشَاهم العدوُّ وتَدْهَمَهم منه قوةٌ، فلا بأسَ بقتالهم قبْلَ إذْنِه.

وروى أشهبُ (٢) عن مالكٍ في الجيش بأرض العدوّ يحتاج بعضهم.. فخرجت جماعة إلى قريةٍ وأخرى كذلك فربما قُتل بعضهم أو أُسر؟

قال: لا يَنْبغي أن يخرجوا إلا في كَنَفٍ ومَنَعةٍ وما جاؤوا به فلا ينبغي أن يبيعوه

قيل: فإنّا نعتلف ولا نستأذن الإمامَ.

---

(١) في شرح السير الكبير ١: ٦٢ برقم: ١٧٣. قوله «لا تحلّ الجنّة لعاصٍ» امر رسول الله (ﷺ) بأن ينادى به يوم خيبر حين نهاهم عن القتال فقيل: استشهد فلان. فقال عليه السلام: أبعدَ ما نهيتُ عن القتال؟ قالوا: نعم. فقال: لا تحلّ الجنة لعاصٍ.

(٢) اشـهب ١٤٥ – ٢٠٤ هـ = ٧٦٢ – ٨١٩ م: اشهب بن عبدالعزيز بن داود القيسي العامري الجعدي ابو عمرو، فقيه الديار المصرية في عصره، كان صاحب الإمام مالك. قال الشافعيّ: ما اخرجت مصر افقه من أشهب لولا طيش فيه. قيل: اسمه مسكين. واشهب لقب له. مات بمصر. تهذيب التهذيب ١: ٣٥٩ والأعلام ١: ٣٣٣.

قال: لو كان بإذنه كانَ أحبَّ إليّ إن استطعتم، ولكنَّ الناسَ أكثرُ من ذلك، فإنْ خرجتم ففي كثرةٍ وعدّةٍ (١) .

فلذلك كلّه يجب طاعةُ [م ٢٢] الأمير فيما يأمر به وينهى عنه وأنْ لا يُنازَع، قال الله تعالى: ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحُكم ﴾ (٢) وقد أمرَ **عمرو بن العاص** (٣) جيشَه في عهدِ رسولِ الله ﷺ أنْ لا يُوقدوا ناراً في ليلةٍ باردةٍ، فلمّا قدِموا شكَوا ذلك، فقال عمرو: كانَ في أصحابي قلّةٌ فكرهتُ أنْ يراهم [س ٤٥] العدوُّ. فأعجبَ ذلك النبيَّ ﷺ .

وإذا أمرهم الأميرُ بأمرٍ يُخاف فيه الهلكةُ وأجمعوا على أنه خطأ فلهم أنْ يسألوه عنه ويُناظروه عليه، فإمّا أنْ يَبينَ لهم صوابُهُ فيرجعوا إليه أو يبينَ له الزللُ فيرجع هو عنه.

وقد رجع الصحابة إلى **أبي بكرٍ الصدّيق** (٤) في قتالِ أهل الردّة

---

(١) انظر شرح السير الكبير ١: ١٧٤ برقم: ١٨٦ إلى ١٩٥.

(٢) سورة الأنفال ٨: ٤٦ وانظر أحكام الطاعة في شرح السير الكبير ١: ١٦٥ وما بعدها وفي الأحكام السلطانية: ٤٨.

(٣) **عمرو بن العاص** ٥٠ ق.هـ - ٤٣ هـ = ٥٧٤ - ٦٦٤ م: عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبدالله ، فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم، كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في هدنة الحديبية وولاه النبي (ﷺ) مرة جيش «ذات السلاسل» وأمدّه بأبي بكر وعمر، ثم استعمله على عُمان، ثم كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام في زمن عمر، وهو الذي افتتح قنسرين وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية وولاه عمر فلسطين ثم مصر فافتتحها وعزله عثمان. ولما كانت الفتنة بين عليّ ومعاوية كان عمرو مع معاوية، فولاه معاوية على مصر سنة ٣٨ هـ وأطلق له خراجها ست سنين فجمع أموالاً طائلة وتوفي بالفسطاط. الإصابة ٥: ٢ برقم: ٥١٧٧ والأعلام ٥: ٧٩.

(٤) **أبو بكر** ٥١ ق هـ - ١٣ هـ = ٥٧٣ - ٦٣٤م : أبو بكر الصديق، عبدالله بن عثمان (أبي قحافة) بن عامر القرشي، أول الخلفاء الراشدين وأول مَنْ آمن برسول الله (ﷺ) من الرجال=

وإنقاذ جيش أسامة (١) . وإذا اختلفوا فرأى بعضُهم رأي الأمير فليرجعْ إليه مَنْ خالفهم، وليتّهم رأيَ نفسه حتى يرى الأمرَ البيِّنَ.

وإذا نَادى مُنادي الأمير: يكون فلانٌ وجندُه في الميمنة، وفلانٌ وجُندُه في المَيْسَرة وكذلك في المقدّمة وفي السّاقة فلا يتعدَّ أمره، ومَنْ تعدّاه من غير عُذْرٍ فللإمام تأديبُه إذا رأى ذلك نظراً وَبِقَدْرِ ما يرى من حاله وبحسب زمانه ومكانه ودواعي الترغيب والترهيب (٢) .

وإذا كانَ رجلٌ في العسكر وسمعَ النداء: السلاحَ السلاحَ فَلْيَلْبَس سلاحَهُ ولا يذهبْ نحو الصوت ولكن إلى الأمير ليسمعَ أمرَه ونَهْيَه، إلاّ أن يخافَ العدوّ على الموضع الذي ضَرَبوا فيه فليقصد الموضع. وإنْ كان النداء ليلاً فلْيمضِ إلى مضرب الإمام.

وإذا نادى منادي الإمام: الصلاة جامعة، فلا يتخلّفْ أحدٌ إلاّ مَنْ يحفظ الرّحالَ: رجلٌ أو اثنان في كل رحْلٍ.

= ولد بمكة ونشأ سيداً من سادات قريش وغنياً وعالماً بالأنساب. بويع بالخلافة يوم وفاة النبي (ﷺ) سنة ١١هـ فحارب المرتدين وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق، وتوفي بالمدينة، عن الأعلام ٤: ١٠٢.

(١) أسامة ٧ ق. هـ - ٥٤ هـ = ٦١٥ - ٦٧٤م: أسامة بن زيد بن حارثة من كنانة عوف، أبو محمد، صحابي جليل، ولد بمكة ونشأ على الإسلام لأن أباه كان أول الناس إسلاماً، وكان رسول الله (ﷺ) يحبه حباً جماً، وينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن والحسين، وهاجر مع النبي (ﷺ) إلى المدينة، وأمّره رسول الله قبل أن يبلغ العشرين من عمره فكان مظفراً موفقاً، ولما توفي رسول الله (ﷺ) رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية، فسكن المزة وعاد بعد ذلك إلى المدينة فأقام إلى أن مات بالجرف. وفي تاريخ ابن عساكر أن رسول الله (ﷺ) استعمل أسامة على جيش فيه أبوبكر وعمر، الإصابة ١: ٢٩ برقم: ٨٩ والأعلام ١: ٢٩١.

(٢) انظر النص في شرح السير الكبير ١: ١٦٨ برقم: ١٧٢.

وإنْ نادى الزموا السَّاقةَ لزمها كلُّ امرئٍ إلا مستضعفٌ (١) .

وإنْ نادى منادي الإمام: مَنْ أرادَ العلفَ فليخرجْ تحت لواءِ فلان، فلا ينبغي أن يتعدّى ذلك ولا يفارقون اللواء مُفارقةً يغيبُ [س ٤٦] فيها بعضُهم عن بعضٍ (٢) .

وإذا بعثَ سريةً وقال: لا تخرج إلا ثلاثمئة فلا ينبغي أن يُتجاوزَ ذلك، فإنْ خرج أكثر فغنموا فللإمام منعُ الذين تعدّوا من سهامهم أدباً لهم إنْ ظهر له ذلك (٣) .

فهذا كلّه مما يجب علمُه على الخاصة والعامة.

---

(١) انظر الأحكام في شرح السير الكبير ١: ١٦٩ وما بعدها.

(٢) شرح السير الكبير ١: ١٧٧ وما بعدها.

(٣) شرح السير الكبير ١: ١٧٩ برقم: ١٩٧.

الباب الثامن

في حكم ولاة الثغور وذكر الصّوائف

في حكم ولاة الثغور وذكر الصّوائف

ينبغي للإمام أن يتخيّر للثّغور رجالاً من أهل الورَع والصّرامة، شُجْعانَ النفوس، وإنْ لم يكونوا يُحْسنون الفروسيّة، ذوي سياسةٍ وكِتْمانٍ لأسرارهم، وصَبْرٍ ومُدَاراةٍ، مُجدّين ليسَ لشيءٍ من الهزْلِ إليهم طريقٌ، ذوي أنَفَةٍ وَحِيَلٍ وقوّةٍ على الأسْفار والحركة، ما تلين إلى خُشونة العيش، عُلماءَ بأحكامِ الجهادِ والمصالحة وأحكامِ الفَيْءِ والخُمُس والمغانم والأنفال.

ويُجْري على والي كلّ ثغرٍ ما يقوم به وبأعوانه ودوابّه على التوسّع في ذلك. ويتفقّدُ تحصينَ الثّغور وبنيانَها وإدرار الأرزاق على الأدلاّء والجواسيس [م ٢٤] وصِلاتهم.

ويُكَثّر بالجُنْد في كلّ ثغرٍ من أهله وسكّانه، ويأخذهم بتعلّمِ العملِ بالسّلاح من السيف والرُّمْح والرَّمْي والفروسية والجَرْي رجّالةً، واستجادةَ الخيلِ واتخاذَها وتخفيفَ سروجها ولُجُمِها، وأنْ لا يكونَ فيها فِضّةٌ ولا ذهبٌ أصلاً، لكن بما لابدّ منه من الحديدِ لئلا يُثْقِلُها ذلك عند الجَرْي.

وليكنْ عندَ أميرِ كلّ ثَغْرٍ جُندٌ مندوبون مدالون في كلّ ستة أشهرٍ بغيرهم يقوى بهم على [س ٤٧] مَنْ تصعّبَ وتمنّعَ من إنفاذِ الحقّ عليه من أهل ثغْره، فقد كانَ مع رسول الله ﷺ المهاجرون الأوّلون والأوسُ والخزرجُ يتبارون في الطاعة، ويؤخذ الحقُّ من بعضهم لبعض. ويكون

لأولئك المندوبين منازلُ ينزلونها معدّةٌ لهم لئلا ينزلوا على أهلِ البلدة فيُثْقلوا عليهم، وتُزاحُ عِللهم في أرزاقهم لئلا يتعدّوا على مالِ أحدٍ ولا على طعامه ولا على ثماره ولا على ما شيته.

وليكن وكدُ الأمير أنْ لا يُغْفل منعَ مَنْ أراد إيقاعَ شرٍّ أو عصبيّةٍ بينَ الطّوائف المذكورة، بينَ الجُنْد البلديّ والجُنْد المندوب فيعاقبه ويخرجه عن البلد ولابدّ. ولا يميل بعصبيّةٍ إلى طائفةٍ دونَ أخرى، فهذه طريقةُ البقاء والسّلامة، وفي تعدّيها الدّمارُ الشّاملُ والهلاكُ العاجل.

ويُكَثِّرُ في كل ثغْرٍ الأدلاّءُ الثّقاتُ، ولا يكونوا إلا مسلمين ولابدّ.

ويُكَثِّرُ من الجواسيسِ، وإنْ أمكنَ أنْ لا يكونوا إلاّ كفاراً فهو أولى مثل تجار اليهود ومسافري النّصارى لأنّها مرتبةُ غدْرٍ لا عزَّ فيها فينبغي أنْ يُصانَ المسلمون عنها، ولكن يُجري عليهم أرزاقاً يَغْنَون بها عن التصرّفِ للمعاش في غير ذلك الطريق، ولا يُسْقِطُ عنهم الجزية، ويستظهر في معرفةِ صِدْقهم من كذبهم بأن يكونوا جماعةً كبيرة لا يعرفُ بعضُهم بعضاً، وهذا كلّه بخلاف الأدلاّء، لأنهم - نعني الأدلاّء - ينبغي أن يكونوا مُكَرّمين لأنّهم يُشَاوَرُونَ في العظائم، وينبغي أن تُجرى عليهم الأرزاق الواسعة، ويكون الجُنْدُ كله [س ٤٨] مُزاحَ العلل، متى دُعوا النّفير أسرعوا للوقت ولم يترددوا، ويعترض والي الثّغْرِ جُنْدَه إنْ أمكنَ في كلِّ جمعة، وإلاّ مرّتين في الشهر، ويعترض سلاحَهم وخيلَهم، فَمَنْ راه مُقصّراً في استجادة الفَرَسِ والسّلاحِ حَرَمَه عطاءه، فإنِ ازدجرَ وإلاّ أسقطَه وألحق غيرَه مكانه، ومَنْ راه مهتبلاً لفرسه وسلاحه أكرمه وأعانه على ذلك.

وينبغي أنْ يُطْرحَ من الجندِ كلُّ مِهذار وكلّ مُحَرّكٍ لأطماعهم وكلُّ مستزيدٍ لا يقنع وكلُّ جبّان.

وينبغي أنْ يَجْتَنِبُوا اللذاتِ جملةً وإنْ كانت مُبَاحة، وأمّا الفواحشُ فلا تُباحُ لأحدٍ أصلاً، لأنّه لا سبيلَ إلى الانتفاعِ في الحرب بكلّ مائلٍ إلى اللذّات والانخراق في الملابسِ والحلي، وواحدٌ من أهل البصائر والجد خيرٌ من ألفٍ من أهل البَطَّالة والصلّف، بل كلّما كَثُرَت هذه الطبقةُ الخسيسةُ كانوا أضرَّ على مَنْ استنصَر بهم لأنّهم مؤونةٌ بلا مَعُونةٍ مائلين إلى كلّ طمع.

ويجعلُ على كلّ ثمانيةٍ من الجُنْدِ ناظراً ويَعْقد له عُقْدةً، وعلى كلّ خمسة نظّار عريفاً ويعقدُ له بنداً [م ٢٥] وعلى كلٍّ خمسةِ عرفاء نقيباً ويعقدُ له لواءً، وعلى كلّ خمسةِ نقباء قائداً ويعقد له عَلَماً، وعلى كلّ خمسةِ قُوّادٍ أميراً ويعقد له رايةً إنْ كثر الجُنْدُ.

ويُرتّب لهم أرزاقاً معلومةً لكلّ طائفةٍ على قَدْر الكفاية لا يطمعُ أحدٌ منهم أن يُزادَ فيها فلسٌ فما فوقه، فمن أبلى منهم وأرادَ الأميرُ أو الإمامُ الإحسانَ إليه وصِلَهُ صلةً غير مرتبةٍ، لأنّه إن تعدّى [س ٤٩] هذا العملَ انفتحتْ له أبوابُ الطَّمَعِ التي لا يَقْدِرُ فاتحُها على غَلْقِها أبداً بل يؤدي ضماناً ولابدّ إلى الهَلَكة وهلاك الناحية التي هم فيها وهلاكهم.

وإنّما رتّبنا الرتبة التي ذكرنا لأنّ العددَ إذا كَثُرَ لم يَقْدرِ الأميرُ، فكيفَ الإمامُ، على مباشرتهم ولقائهم بنفسه، لكنْ يأمرُ الإمامُ أو الأميرُ الواسعُ النظر أمراءه، ويأمرُ كلُّ أميرٍ منهم قُوّاده، ويأمر كلّ قائدٍ منهم نُقَباءه، ويأمرُ كلُّ نقيبٍ منهم عرفاءَهُ، ويأمرُ كلُّ عريفٍ منهم نظّاره، ويأمُر كل ناظرٍ منهم فرسانَه ورجّالته، فَيتمّ كلُّ أمرٍ - وإن عَظُم - من ساعته.

وقد كانَ للمسلمينَ في أيّام رسول الله ﷺ عرفاءُ ونقباءُ ورؤساءُ

فيرفعون إليه عليه السلام أمورَ مَنْ إلى أيديهم، ويتولَّون جمعَهم إذا احتيجَ إليهم.

ولا يفتر والي الثغر في الغزو ومداولة جنده في ذلك، وكلُّ ما غنم خمَّسَهُ، فعزلَ الخمسَ ورفعه إلى الإمام ليضعَه حيث أمر الله تعالى في كتابه، ثمَّ يُنَفِّلُ مَنْ رأى تَنْفيلَه على حسبِ ما فَعَل رسول الله ﷺ لا يتعدَّى شيئاً صحَّ عنه عليه السَّلامُ في ذلك. ويقْسِمُ الغنيمةَ حَيثُ غُنمت، فَمَنْ وقع في سهمه شيءٌ دُفع إليه وكُلِّف حَمْلَه.

وليجتهدْ في افتتاحِ البِلاد، فكلُّ بلدٍ فتحه فَليقْسِمْهُ على مفْتتحيه، فإنْ رأى أنْ يَسْتَطيبَ نفوسهم ليتركوا الأرض للمسلمينَ فلا بأسَ بذلك، فَمَنْ طابت نفسُه عن سَهْمه فله أجره، ومَنْ أبى أعطاهُ حصتَّه من الأرضِ المفتتحةِ [س ٥٠] لا يحلّ غير ذلك أصلاً وإنْ كانَ في المالِ سَعَةٌ فليدخل الأمير معه دوابَّ للجرحى والمرضى.

وواجبٌ على الإمام أنْ لا يغفل **الصَّوائف** في كلّ عام، ففيها قَمْعُ العدوِّ وعزُّ الإسلام، وحَسْمُ طمعِ ولاةِ الثُّغور عن التغلّب والتعزّز الذي هو سببُ الدمار والبَوَار.

وأمرُ الصَّوائف كما ذكرنا في ولاة الثُّغرِ سواءً سواءً إلا أنّهم تسقطُ ولاية وُلاتها برجوعهم عنها.

وليدْخُلْ مع أمير الصَّائفة الأطباءُ وأهلُ صناعة الجير والبناؤون والنجاجرة لآلات القتال وفتح الحصون وتسهيل الطُّرق للعسكر والحدادون والسلاح من السيوف والتِّراس والمطَارد والقِسيّ والنّبْل وغير ذلك ممّا يُحتاج ويفتقر إليه.

الباب التاسع

في وصايا أمراء الجيوش

في وصايا أمراء الجيوش

كتبَ عمرُ بنُ عبدالعزيز (١) رضي الله عنه **إلى الجرّاح** (٢) :

إنَّه بَلَغَني أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ [م ٢٦] إذا بعثَ جَيْشاً أو سريَّةً قال: اغزوا باسمِ الله، وفي سبيل الله تقاتلون مَنْ كفر بالله، لا تغلُّوا ولا تغدروا ولا تمثِّلوا، وتقتلوا امرأةً ولا وليداً. فإذا بعثتَ جيشاً أو سريَّةً فمُرْهم بذلك (٣) .

ولمّا وجّه أبو بكر الصدِّيق (٤) رضي الله عنه **يزيدَ بنَ أبي سفيان** (٥) إلى الشَّام شيَّعَهُ راجلاً، فقالَ له يزيدُ: إمَّا أنْ تركبَ وإمَّا أن

---

(١) عمر بن عبدالعزيز (٦١ - ١٠١هـ = ٦٨١ - ٧٢٠م): ابن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبوحفص، الخليفة الصالح، ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد ثم استوزره سليمان بالشام، وولي الخلافة بعهدٍ من سليمان سنة ٩٩هـ فبويع في مسجد دمشق ولم تطل مدته إذ اقتصرت على سنتين ونصف. وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة. عن الأعلام ٥ : ٥٠.

(٢) الجراح بن عبدالله الحكمي: الأمير، أبو عقبة، ولي البصرة، وله ترجمة في تاريخ ابن عساكر، وكان من صلحاء الأمراء ومجاهديهم، توفي في حدود العشرين ومئة عن الوافي بالوفيات ج ١١.

(٣) الوصية في العقد الفريد ١ : ١٢٨.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) يزيد بن أبي سفيان ت ١٨هـ = ٦٣٩م: يزيد بن صخر (أبي سفيان) بن حرب، الأمويّ، أبوخالد، أمير صحابي، من رجالات بني أمية شجاعة وحزماً، أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبي (ﷺ) على صدقات بني فراس وكانوا أخواله، ثم استعمله أبوبكر على جيشٍ وسيّره إلى الشام، وخرج معه يشيّعه راجلاً، ولما استخلف عمر ولأه فلسطين، ثم ولي دمشق وخراجها وافتتح قيسارية، وهو أخو معاوية، له وقائع كثيرة وأثر محمود في فتوح البلاد الشامية. توفي بدمشق بالطاعون وهو على الولاية. الأعلام ٨: ١٨٤ وانظر الإصابة ٦: ٣٤١ برقم: ٩٢٦٦.

أنزلَ. فقال: ما أنت بنازلٍ ولا أنا براكبٍ. إنّي احتسبْتُ خُطايَ هذه في سبيل الله، ثم قال: إنّك [س ٥١] ستَجِدُ قوما حبَسوا أنفسَهم لله فذرْهم وما حَبَسوا أنفسَهم له، - يعني الرهبان - وستجد قوماً فحصوا عن أوساطِ رؤوسهم، فاضربْ ما فَحَصُوا عنه بالسّيف.

ثم قال له: إنّي أوصيك بعشرٍ:

لا تقتلَنَّ امرأةً ولا هَرِماً ولا وليداً ولا تقطعنَّ شجراً مثمراً ولا تَعْقِرنَّ شاةً ولا بعيراً إلاّ ما أكلتم ولا تَحْرِقنَّ نخلاً ولا تَخْرِبنَّ عامراً ولا تغلَّ ولا تَجْبُنْ (١) .

وقال أبو بكر رضي الله عنه لخالدِ بنِ الوليد (٢) وقَدْ وجَّهه لحربٍ (٣) :

سِرْ على بركةِ الله، وإذا دَخَلْتَ أرضَ العدوّ فكُنْ بعيداً من الحَمْلة فإنّي لا آمنُ عليك الجَوْلةَ، واستظهرْ بالزّاد، وسِرْ بالأدلاّء، ولا تقاتلْ بمجروحٍ

---

(١) وصية ابي بكر في العقد الفريد ١: ١٢٨، ١٢٩ وآخرها ولا تبخسْ بدلاً من ولا تجبنْ.

(٢) خالد بن الوليد (ت ٢١هـ = ٦٤٢م): ابن المغيرة المخزومي القرشي سيف الله، الفاتح الكبير، الصحابي، كان من أشراف قريش في الجاهلية، يلي أعنة الخيل، وشهد مع مشركيهم حروب الإسلام بل عمرة الحديبية، وأسلم قبل الفتح (فتح مكة) هو وعمرو بن العاص سنة ٧هـ، فسرَّ به رسول الله (ﷺ) وولاه الخيل، ولما ولي ابوبكر وجّهه لقتال مسيلمة، ومَنْ ارتد من أعراب نجد، ثم سيّره إلى العراق سنة ١٢هـ ففتح الحيرة وجانباً عظيماً منه، وحوّله إلى الشام وجعله أمير مَنْ فيها من الأمراء، ولما ولي عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام وولّى أبا عبيدة بن الجراح، فلم يثن ذلك من عزمه، واستمر يقاتل بين يدي أبي عبيدة إلى أن تمّ لهما الفتح سنة ١٤هـ فدعاه عمر ليوليه فأبى ومات بحمص في سورية. كان مظفراً خطيباً فصيحاً يشبه عمر بن الخطاب في خلقه وصفاته، قال أبوبكر: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد. روى له المحدثون ١٨ حديثاً وأخباره كثيرة. الأعلام ٢: ٣٠٠.

(٣) في العقد ١: ١٢٩: حين وجهه لقتال أهل الردة.

فإنَّ بعضَه ليسَ منه، واحترسْ من البَيَات فإنَّ في العرب غِرةً. وأقللْ من الكلام فإنّما لك ما وُعيَ عنك، واقْبَلْ من الناسِ عَلانيتَهم وكِلْهم إلى الله في سَرِيرتهم. واستودعك الله الذي لا تَضيعُ ودائعُه (١) .

فكتبَ خالدُ بنُ الوليد إلى مَرازِبةِ فارس مع ابن بُقَيْلةَ الغسّاني (٢) :

الحمدُ لله الذي فضَّ حُزْمتَكم، وفرّقَ جَمْعَكم وأوهى بأْسَكم، وسلَبَ مُلْكَكم وأذلَّ عِزَكم، فإذا أتاكم كتابي هذا فابْعَثُوا إليَّ بالرّهنِ واعتقدوا منّا الذِمّةَ، وأجيبوا إلى الجِزْية وإلاّ واللهِ الذي لا إلهَ إلاّ هو لأسيرنَّ إليكم بقومٍ يحبّونَ الموتَ كما تحبّونَ الحياةَ، ويرغبونَ في الآخرة كما ترغبون في الدنيا (٣) .

---

(١) ذكرت هذه الوصيّة في عيون الأخبار ١: ١٠٨، ١٠٩ على أنها مما أوصى به أبوبكر يزيد بن أبي سفيان حين وجهه إلى الشام، وزاد فيها – أي ابن قتيبة – بعد قوله: «ما وعي عنك» ما يلي:

وإذا أتاك كتابي فأنفذه فإنما أعمل على حسب إنفاذه، فإذا قدمت عليك وفود العجم فأنزلهم معظم عسكرك وأسبغ عليهم النفقة وامنع الناس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين، ولا تَلِجَنَّ في عقوبة فإن أدناها وجع ولا تسرعن إليها وأنت تكتفي بغيرها كما زاد بعد قوله «وكلهم لله في سريرتهم – سرائرهم» قوله: ولا تجَسّسْ عسكرك فتفضحه ولا تهمله فتفسده. وذكرت في العقد الفريد ١: ١٢٩ كما وردت في تحفة الأنفس.

(٢) ابن بُقَيلة الغساني ت ١٢هـ = ٦٣٣م : عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة الغساني، معمّر، من الدهاة، من أهل الحيرة (في العراق) له شعر وأخبار، يقال: إنه باني قصر الحيرة، عاش زمناً طويلاً في الجاهلية وأدرك الإسلام، وظل على النصرانية، واجتمع به خالد بن الوليد في الحيرة. ووقع اسمه في بعض المصادر (كالعقد) ابن نفيلة وهو خطأ من النساخ. ففي أمالي المرتضى: كان بقيلة يدعى ثعلبة أبا الحارث، وخرج في بردين أخضرين فقيل له: ما أنت إلا بقيلة. عن الأعلام ٤: ١٥٢.

(٣) نص رسالة خالد في العقد الفريد ١: ١٢٩، ١٣٠.

وكان عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه يقولُ عندَ عَقْدِ الألويةِ:

بسم الله الرحمن الرحيم وبالله وعلى عَوْن/ [س ٥٢] الله امضُوا بتأييد الله والنصْر ولزوم الحَقِ والصبر، فقاتلوا في سبيل الله مَنْ كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحبُّ المعتدين، ولا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثّلوا عند القُدْرة، ولا تُسْرِفوا عند الظّهور، ولا تقتلوا امرأةً ولا هرِماً ولا وليداً، وتوقّوا قَتْلَهم إذا التقى الزحفان (١) وعند شنِّ الغارات (٢) .

وكتبَ عمرُ رضي الله عنه إلى **سعد بن أبي وقّاص** (٣) ومَنْ معه من الأجناد:

أما بعدُ، فإنّني امُرك ومَنْ مَعَك بتقوى الله على كلّ حال، فإنّ تقوى الله افضلُ العُدّةِ على العدوّ، وأقوى المكيدة في الحرب. وآمرُكَ ومَنْ مَعَك، أن تكونوا أشدّ احتراساً من المعاصي من احتراسِكم من عدوكم (٤) ، فإنّ ذُنوبَ الجيش أخوفُ عليهم من عدوِّهم، وإنّما يُنْصَر المسلمون على عدوِّهم

---

(١) زاد في عيون الأخبار ١: ١٠٧، ١٠٨ وعند حُمَّة النهضات - اي شدتها ومعظمها.

(٢) زاد في عيون الأخبار ١: ١٠٦: ولا تغلّوا عند الغنائم، ونزّهوا الجهاد عن عرض الدنيا وأبشروا بالرّباح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم.

ووصية عمر هذه في عيون الأخبار : ١٠٧، ١٠٨ والعقد الفريد ١: ١٢٨.

(٣) سعد بن ابي وقاص (٢٣ ق.هـ - ٥٥هـ = ٦٠٠ - ٦٧٥م): ابو إسحاق، الصحابي الأمير، القرشي الزهري، فاتح العراق ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وأول مَنْ رمى بسهم في سبيل الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ويقال له: فارس الإسلام. اسلم وهو ابن سبع عشرة سنة وشهد بدراً وافتتح القادسية، ولي الكوفة لعمر وأمره عثمان زمناً ثم عزله، فعاد إلى المدينة وفقد بصره، وتوفي بها. له في كتب الحديث ٢٧١ حديثاً انظر الأعلام ٣: ٨٧ وتهذيب التهذيب: ٣: ٤٨٣ والإصابة ٣: ٨٣ برقم: ٣٥٨٦.

(٤) في العقد ١: ١٣٠ منكم من عدوكم.

بمعصيةِ عدوِّهم لله (١) ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قـوّةٌ لأنّ عـددَنا ليسَ كعددهم ولا عُدَّتُنا كعدّتـهم، فإن استوينا في المعصية كانَ لهم/ [م ٢٧] الفضلُ علينا في القوة، وإنْ لم (٢) نُنْصَرْ عليهم بفضلنا لم نغلبْهم بقوتنا.

واعلموا أنّ عليكم في سَفَـرِكم حَفَظَةً من الله يعلمـون مـا تفـعلون فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيلِ الله، ولا تقولوا إنّ عـدوّنا شـرٌّ منّا فلن يُسلَّطوا (٣) علينا وإنْ أسـأنا، فـربَّ قـومٍ (٤) سلّط عليـهم شرٌّ منهم، كـما سُلِّطَ على بني إسرائيل لمّا عملوا بمعـاصي الله كَفَرةُ المجوسِ ﴿ فجاسوا خـلالَ الديارِ وكان وعداً مفعولا ﴾ (٥) . فَسَلُوا اللهَ العونَ على أنفسِكم كما تسألونه النصرَ على عدوِّكم، أسأل الله تعالى ذلك لنا/ [س٥٣] ولكم.

وترفّقْ بالمسلمين في مسيرهم، ولا تجشّمْهم سيراً يُتعبهم، ولا تقصّرْ بهم عن منزلٍ يَرْفُق بهم حتّى يبلغوا عدوَّهم والسيرُ لم يُنْقِصْ قـوّتَهم، فإنّهم سائرون إلى عدوٍّ مُقيم حامي الأنفس والكراع.

وأقمْ بمن معك في كل جمعةٍ يوماً وليلةً، يكنْ ذلك لهم راحةً، يُجِمُّون(٦) فيـها أنفسَهم ويرمـون أسلحتـهم وامتـعتهم، ونحِّ منازلهم عن قرى أهل

(١) في العقد ١: ١٢٠ وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله.
(٢) في العقد : وإن لا.
(٣) في العقد : فلن يسلّط.
(٤) في العقد : قد سلّط.
(٥) سورة الإسراء ٥/١٧.
(٦) يجمّون: يريحون وفي العقد: يحيون.

الصلح والذمّة فلا يدخلها من أصحابك إلا مَنْ تثق بدينه، ولا يَرْزَؤوا (١) واحداً من أهلها شيئاً فإنّ لهم حرمةً وذمةً ابتُليتُم بالوفاءِ بها كما ابتُلوا بالصَّبرِ عليها، فكما صبروا لكم فَفُوا لهم (٢) ، ولا تَسْتَنْصِرُوا على أهل الحربِ بظلم أهل الصلح، وإذا وطئت أدنى أرض العدو فأذْكِ العيونَ بينكَ وبينَهم ولا يَخْفَ عليك أمرُهم وليكنْ عندك من العرب أو من أهلِ الأرض مَنْ تطمئنَ إلى نُصْحِه وصدْقه، فإنَّ الكذوبَ لا يَنْفَعُكَ خَبَرُه وإنْ صدقَ في بعضه، والغاشّ عينٌ عليك وليس عيناً لك. ولْيَكُنْ منك عند دنوِّكَ من أرض العدوّ أن تكثر الطلائع وتبثّ السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم ومرافِقَهم (٣) ، وتتبع الطلائع عوراتهم.

وانْتَقِ للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك وتخيّر لهم سوابقَ الخيل، فإنْ لقُوا عدوّكَ (٤) كانَ أولَ مَنْ يلقاهم أهلُ القوّة (٥) ، واجعلْ أمرَ السرايا إلى أهلِ الاجتهادِ والصبر على الجلاد، ولا تخصّ بها أحداً بهوى فيضيع من رأيك وأمرك أكثرُ مما حابَيْتَ به أهلَ خاصّتك. ولا تبعثنَ طليعةً ولا سريّةً في وجهٍ/ [س ٥٤] تتخوّف فيه عليها (٦) ضيعةً ونِكايةً، فإذا عاينت العدوّ فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك، واجمعْ إليك مكيدتك وقوّتك، ثم لا تعاجلهم المناجزةَ ما لم يستكرهك قتالٌ، حتّى تبصر عورَة عدوّك ومقاتِلَهُ، وتعرف الأرض كلّها كمعرفة أهلها (٧) ،

(١) في العقد : ولا يرزأ أحدٌ من الرزء وهو المصيبة.

(٢) في العقد : فما صبروا لكم فتولّوهم خيراً.

(٣) في العقد : وموافقهم؟!

(٤) في العقد : عدواً.

(٥) في العقد : كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك.

(٦) في العقد : تتخوف عليها فيه غلبة أو ضيعة أو نكاية.

(٧) في العقد : كمعرفة أهلها بها.

فتصنع بعدوِّك كصنيعه بك (١) ، ثم اذْكِ احراسك على عسكرك وتحفَّظْ من البَيات جهدَك (٢) ، وكلُّ أسيرٍ أُتيتَ به ليس له عهدٌ فاضرب عنقَه (٣) لترهبَ بذلك عدوَّ الله وعدوَّك، واللهُ وليُّ أمرِك ومَنْ معك ووليّ النصر لكم على عدوكم وهو (٤) المستعان (٥) .

قال العتبي (٦) :

جاشت الرومُ وغَزَوا المسلمين براً وبحراً، فاستعمل **معاويةُ** (٧) على

---

(١) في العقد : فتصنع بعدوك كصنعه بك.

(٢) في العقد : وتيقظ من البيات.

(٣) في العقد : ولا تؤتى باسير ليس له عقد؟ إلا ضربت عنقه.

(٤) في العقد : والله المستعان.

(٥) نص كتاب عمر في العقد ١: ١٣٠، ١٣١، ١٣٢.

(٦) **العتبي** (ت ٢٢٨هـ = ٨٤٢م): محمد بن عبيد الله بن عمرو أبو عبدالرحمن الأموي، من بني عتبة بن ابي سفيان، أديب، كثير الأخبار، حسن الشعر من أهل البصرة، ووفاته فيها، له تصانيف منها: اشعار النساء أحببن ثم ابغضن والأخلاق واشعار الأعاريب والخيل قال ابن النديم: كان العتبي وابوه سيدين أديبين فصيحين. وقال ابن قتيبة: الأغلب عليه الأخبار وأكثر أخباره عن بني امية، وهو غير العتبي المؤرخ محمد بن عبدالجبار. عن الاعلام ٦: ٢٥٨، وقد نقل عنه صاحب العقد في مواضع عدة.

(٧) **معاوية** ٢٠ ق. هـ - ٦٠هـ = ٦٠٣ - ٦٨٠م: معاوية بن ابي سفيان (صخر بن حرب) القرشي الأموي، مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، كان حليماً فصيحاً وقوراً ولد بمكة وأسلم يوم الفتح (٨هـ) وكان يعرف القراءة والحساب فجعله رسول الله (ﷺ) في كتّابه. ولاّه ابوبكر قيادة جيشٍ تحت إمرة أخيه يزيد بن ابي سفيان فكان على مقدمته في فتح مدينة صيداء وعرقة وجبيل وبيروت وجعله عمر والياً على الأردن ثم ولاّه دمشق بعد موت يزيد بن ابي سفيان ثم جمع له عثمان الديار الشامية كلها وجعل ولاتها تابعين له.

بعد مقتل عثمان بن عفان اختلف معاوية مع علي بن ابي طالب، وقال أهل الشام بإمامة معاوية. وبويع خليفة للمسلمين بعد مقتل عليّ وسمّي ذلك العام (٤٠هـ) بعام الجماعة. دامت له الخلافة إلى أن بلغ الشيخوخة فعهد بها إلى ابنه يزيد ومات في دمشق. وتمت في أيامه فتوحات كثيرة. عن الأعلام ٧: ٢٦١ - الإصابة ٦: ١١٢ برقم: ٨٠٦٢.

الصائفة (١) عبدَالرحمن بنَ خالدِ بنِ الوليد (٢) فلمّا كتبَ له عهدَهُ قال: ما أنت صانعٌ بعهدي؟ قال: أتخذه إماماً لا أعصيه. قال: اردد إليَّ عهدي. ثمَّ بعثَ إلى سفيان/ [م ٢٨] بن عوفٍ الغامدي (٣) فكتب له عهده ثم قال: ما أنت صانعٌ بعهدي؟ قال: أتخذه إماماً ما أمَّ الحَزْمَ، فإذا خالفه خالفته. فقال معاويةُ: هذا الذي لا يكفكف بكَفَلهِ من عَجَلةٍ ولا يدفع بظهره من خوَر، ولا يضرب على الأمور ضرب الجمل الثقال (٤).

وأوصى عبدالملك بن مروان (٥) أميراً سيَّرهُ إلى أرض الرّوم فقال: أنت تاجرُ الله لعباده فكن كالمُقَارِضِ الكيِّسِ الذي إنْ وجد ربحاً أتجرَ

---

(١) الصائفة : الغزو في الصيف.

(٢) عبد الرحمن بن خالد (ت ٤٦ هـ = ٦٦٦م): ابن الوليد. كان يؤمر على غزو الروم أيام معاوية وشهد معه «صفين» وكان عظيم القدر عند أهل الشام، وذُكر أن ابن أثال الطبيب قد قتله بالسم بحمص. الإصابة ٥: ٦٨ برقم: ٦٢٠٣.

(٣) ورد اسمه في النسختين س و م : العامري وقد صوّبناه من الإصابة والأعلام وهو سفيان بن عوف الأسلمي أو الغامدي – كما ذكر في الإصابة – صحب النبي (ﷺ) وكان له باس ونجدة وسخاء. كان مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام حين افتتحت. ولّاه معاوية الصائفتين فظفر واشتهر، ثم سيّره بجيشٍ إلى بلاد الروم فأوغل فيها إلى أن بلغ أبواب القسطنطينية فتوفي في مكان يسمى الزنداق. نعاه معاوية إلى الأمصار والأجناد فبكى الناس عليه في كل مسجد. وذكره في الأعلام باسم سفيان بن عوف الأزدي الغامدي. الإصابة ٣: ١٠٦ برقم: ٣٣١٦ والأعلام ٣: ١٠٥.

(٤) الخبر في العقد الفريد ١: ١٣٢ والثقال: البطيء.

(٥) عبدالملك بن مروان (٢٦ – ٨٦هـ = ٦٤٦ – ٧٠٥م): عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد. من أعاظم الخلفاء ودهاتهم، نشأ في المدينة فقيهاً واسع العلم متعبداً ناسكاً، استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة. انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ فضبط أمورها، واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبدالله ابني الزبير. له مآثر كثيرة في الإسلام. وكان صاحب علم وحديث. الأعلام ٤: ١٦٥.

وإلاّ تحفّظ برأس المال، ولا تطلبِ الغنيمةَ حتى تحوز (١) السلامة وكنْ من احتيالكَ على عدوِّك أشدَّ حَذَراً من احتيال عدوِّك عليك (٢) .

وكان/ [س ٥٥] زيادٌ (٣) يقول لقوّاده:

تجنّبوا اثنتين لا تقاتلوا فيهما العدوَّ: الشتاءَ، وبُطونَ الأودية (٤) .

وأغزى **الوليد بنُ عبدِ الملك** (٥) جيشاً في الشتاء فغنموا وسَلِموا فقال **لعبّاد** (٦) : يا أبا حـــرب، أين رأيُ زيادٍ من رأينا؟ قال: يا أميرَ المؤمنين قد أخطأتَ وليس كلُّ عورةٍ تُصاب (٧) .

---

(١) في العقد : حتى تحرز.

(٢) الخبر في العقد : ١: ١٣٢.

(٣) **زياد** (١ - ٥٣ هـ = ٦٢٢ - ٦٧٣م): زياد ابن ابيه، أمير، من الدهاة القادة الفاتحين، الولاة، من أهل الطائف، ادرك النبي (ﷺ) ولم يره، وأسلم في عهد ابي بكر، وكان كاتباً للمغيرة بن شعبة ثم لأبي موسى الأشعري ايام إمرته على البصرة. ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس، ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية ان زياداً أخوه من أبيه (أبي سفيان) فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه والحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤هـ فكان عضده الأقوى وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق. فلم يزل في ولايته إلى ان توفي. وقام باعمالٍ جليلة. عن الأعلام ٣: ٥٣، والإصابة ٣: ٤٢ برقم: ٢٩٨١.

(٤) الخبر في العقد ١: ١٣٢.

(٥) **الوليد بن عبدالملك** ٤٨ - ٩٦هـ = ٦٦٨ - ٧١٥م: ابن مروان، ابو العباس، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٨٦هـ، فوجه القواد لفتح البلاد، وامتدت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند فتركستان فاطراف الصين شرقاً، وكان ولوعاً بالبناء والعمران وحفر الآبار وإصلاح الطرق، وهو اول مَنْ انشأ المستشفيات في الإسلام، وبنى المسجد الأقصى في القدس ومسجد دمشق الكبير المعروف بالجامع الأموي وكانت وفاته بدير مرّان من غوطة دمشق. ودفن بدمشق، عن الأعلام ٨: ١٢١.

(٦) **عباد ت** ١٠٠ هـ = ٧١٨م :عباد بن زياد ابن أبيه، أبو حرب، أمير، كانت إقامته بالبصرة، ولأه معاوية سجستان سنة ٥٣هـ، فغزا بلاد الهند، وكان في الشام أيام عبدالملك بن مروان. تهذيب التهذيب ٥: ٩٣ والأعلام ٣: ٢٥٧.

(٧) الخبر في العقد ١: ١٣٢.

وقال دريدُ بنُ الصمّة (١) لمالكِ بنِ عوفٍ النَصْري (٢) قائد هوازن يوم حُنين (٣) :

يا مالكُ، إنّكَ قد أصبحتَ رئيسَ قومك، وإنّ هذا يومٌ له ما بعده من الأيّام. مالي أسمعُ رغاءَ البعير ونُهاقَ الحمير وبُكاء الصغير (٤) ؟

قال: سُقْتُ مع الناسِ أبناءَهم ونساءَهم وأموالهم.

قال: ولمَ ذلك؟

قال: أردتُ أنْ أجعلَ خلفَ كلِّ رجلٍ أهْلَهُ وماله ليقاتلَ عنهم.

فأنقضَ به (٥) دريد ثم قال: راعي ضأنٍ والله، وهل يردُّ المنهزمَ شيءٌ؟!!

---

(١) دريد : ت ٨ هـ = ٦٣٠م: دريد بن الصمة الجشميّ البكري من هوازن، شجاع، من الأبطال الشعراء المعمرين في الجاهلية، كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو مئة غزوة لم يهزم في واحدة منها. وعاش حتى ذهب حاجباه عن عينيه، وأدرك الإسلام ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين (٨ هـ) وكانت هوازن خرجت لقتال المسلمين فاستصحبته معها تيمناً به وهو أعمى. فلما انهزمت جموعها أدركه ربيعة بن رفيع السلمي فقتله. وله أخبار كثيرة، والصِّمة لقب أبيه معاوية بن الحارث. الاعلام ٢: ٣٣٩ والأغاني ١٠: ٢ والسيرة النبوية ٢: ٨٨٤.

(٢) **مالك بن عوف ت ٢٠هـ = ٦٤٠م تقريباً** : مالك بن عوف بن سعد بن يربوع النصري، من هوازن، صحابي من أهل الطائف. كان رئيس المشركين يوم حنين. قاد هوازن كلها لحرب رسول الله (ﷺ)، وكان من الجرارين (ولم يكن الرجل يسمّى جراراً حتى يرأس ألفاً) ثم أسلم وشهد القادسية وفتح دمشق. وكان شاعراً رفيع القدر في قومه. استعمله النبي (ﷺ) عليهم. وكانت له دار في دمشق تعرف بدار بني نصر. عن الاعلام ٥: ٢٦٤.

(٣) يوم حنين سنة ٨هـ . انظر السيرة النبوية ٢: ٨٨٤.

(٤) في السيرة : ويُعار الشاء.

(٥) فأنقض به أي زجره من الإنقاض، وهو أن تلصق لسانك بالحنك الأعلى ثم تصوت في حافتيه من غير أن ترفع طرفه عن موضعه. أو هو التصويت بالوسطى والإبهام كأنك تدفع بهما شيئاً، وذلك حين تنكر على غيرك قولاً أو عملاً. عن حاشية العقد ١: ١٣٣.

إنها إنْ كانت لك لم ينفعْك إلا رجلٌ بسيفه ورُمْحِه، وإنْ كانت عليكَ فُضِحْتَ في أهلك ومالك، ويحك إنكَ لم تصنعْ بتقديم بيضة هَوازن (١) إلى نحورِ الخيل شيئاً، ارفَعْهم إلى مُمْتَنَعٍ بلادهم وعُلْيَا قومهم ثم الْقَ الصُّبَّاءَ (٢) على مُتونِ الخيل، فإنْ كانت لك لحقَكَ مَنْ وراءك، وإنْ كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك.

قال: لا واللهِ لا أفعل، إنك قد كَبِرْتَ وذهل عقلك.

قال دريد: هذا يومٌ لم أشْهَدْهُ ولم يَفُتْني، ثمَّ أنشأ يقول:

يا ليتَني فيها جَذَعْ أخبُّ فيها وأضَعْ
أقودُ وَطْفَاءَ الزَّمعْ كأنَّها شَاةٌ صَدَعْ (٣)

وكانَ قُتَيْبةُ بن مُسْلم (٤) يقول/ [س ٥٦] لأصحابه:

---

(١) بيضة هوازن: جماعتهم.

(٢) الصبّاء جمع صابىء، يريد المسلمين. كانوا يسمونهم بهذا الاسم لأنهم عندهم صبؤوا عن دينهم، أي خرجوا من دين الجاهلية إلى الإسلام. عن حاشية العقد ١: ١٣٣.

(٣) الخبر والشعر في السيرة النبوية ٢: ٨٨٥. والجذع: الصغير السن بلا تجربة أخبّ وأضع من الخبب والوضع وهما ضربان من السير. ووطفاء الزمع: الفرس طويلة الشعر. والشاة: الوعل. والصَّدَع: ليس بالعظيم ولا الحقير.

(٤) قتيبة بن مسلم ٤٩ - ٩٦هـ = ٦٦٩ - ٧١٥م: قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي، أبو حفص، أمير، فاتح، من مفاخر العرب، كان أبوه كبير القدر عند يزيد بن معاوية، ونشأ هو في الدولة المروانية، فولي الري في أيام عبدالملك وخراسان في أيام ابنه الوليد، ووثب لغزو ما وراء النهر فتوغل فيها وافتتح كثيراً من المدائن كخوارزم وسجستان وسمرقند وغزا أطراف الصين، وضرب عليها الجزية.. واشتهرت فتوحاته فاستمرت ولايته ثلاث عشرة سنة وهو عظيم المكانة مرهوب الجانب، ولما استخلف سليمان وكان يكره قتيبة، فأراد قتيبة الاستقلال بما في يده، وجاهر بنزع الطاعة، واختلف عليه قادة جيشه فقتله وكيع بن حسان التميمي بفرغانة، وكان مع بطولته دمث الأخلاق، داهية، طويل الروية، راوية للشعر، عن الأعلام ٥: ١٨٩.

إذا غزوتُم فأطيلوا الأظفار وقصّروا الشُّعورَ، والحظوا الناس شَزْراً، وكلّموهم رَمْزاً واطْعَنُوهم وخْزًا (١) .

وكان سعيد بن زيد (٢) يقول لبنيه:

قصّروا الأعنّة، واشحذُوا الأسنّة، تأكلُوا القريب ويرهبْكم العدوّ (٣) .

وقال عيسى بنُ موسى (٤) : لما وجّهني المنصورُ (٥) إلى المدينةِ

---

(١) انظر الخبر في عيون الأخبار ١: ١٤١ والعقد ١: ١٣٤.

(٢) سعيد بن زيد ٢٢ ق. هـ - ٥١ هـ = ٦٠٠ - ٦٧١م: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، أبو الأعور، صحابي، من خيارهم، هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها إلا بدراً، وكان غائباً في مهمة أرسله بها النبي (ﷺ)، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان من ذوي الرأي والبسالة. وشهد اليرموك وحصار دمشق، وولاه أبوعبيدة دمشق. مولده بمكة ووفاته بالمدينة. الإصابة ٣: ٩٦ برقم: ٣٢٥٤ والأعلام ٣: ٩٤.

(٣) الخبر في العقد ١: ١٣٤.

(٤) عيسى بن موسى ١٠٢ - ١٦٧هـ = ٧٢١ - ٧٨٣م: عيسى بن موسى بن محمد العباسي، أبوموسى، أمير من الولاة القادة، وهو ابن أخي السفاح، كان يقال له «شيخ الدولة»، ولد ونشأ في الحميمة، وكان من فحول أهله وذوي النجدة والرأي منهم، وله شعر جيد، ولاه عمه الكوفة وسوادها سنة ١٣٢هـ وجعله وليّ عهد المنصور، فاستنزله المنصور عن ولاية عهده سنة ١٤٧ وعزله عن الكوفة وأرضاه بمال وفير وجعل له ولاية عهد ابنه المهدي. فلما ولي المهدي خلعه سنة ١٦٠هـ بعد تهديد ووعيد وكان ولي العهد لا يخلع ما لم يخلع نفسه ويشهد الناس عليه. فأقام بالكوفة إلى أن توفي. عن الأعلام ٥: ١٠٩.

(٥) المنصور أبو جعفر ٩٥ - ١٥٨هـ = ٧١٤ - ٧٧٥ : عبدالله بن محمد بن علي بن العباس، ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عُني بالعلوم من ملوك العرب، كان عارفاً بالفقه والأدب، مقدماً في الفلسفة والفلك محباً للعلماء، ولد في الحميمة من أرض الشراة قرب معان. وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ وهو باني مدينة بغداد، أمر بتخطيطها سنة ١٤٥هـ، كان بعيداً عن اللهو والعبث، كثير الجد والتفكير، وهو والد الخلفاء العباسيين. وقد قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه. توفي ببئر ميمون من أرض مكة محرماً بالحج. عن الأعلام ٤: ١١٧.

لجاريةِ بني عبدِالله بنِ الحسن (١) جعلَ يوصيني ويكثر فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين إلى متى توصيني؟

إني أنَا السَّيفُ الحُسَامُ الهندي　　أكلــتُ جَفْني وفـريْتُ غِمدي

فكـلُّ مـا تطالــبُ عِنْدي عنــدي (٢)

---

(١) عبدالله بن الحسن ٧٠ - ١٤٥هـ = ٦٩٠ - ٧٦٢م: عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد، تابعي، من أهل المدينة، قال الطبري: كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف، وكانت له منزلة عند عمر بن عبدالعزيز، ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين على السفاح وهو بالأنبار، فأعطاه ألف ألف درهم، وعاد إلى المدينة، ثم حبسه المنصور عدة سنوات من أجل ابنيه محمد وإبراهيم ونقله إلى الكوفة فمات سجيناً فيها كما حققه الخطيب البغدادي. عن الأعلام ٤: ٧٨.

(٢) الخبر مع الرجز في العقد الفريد ١: ١٣٤ وفيه إني أنا ذاك. وانظر أيضاً العقد ٥: ٨٧.

الباب العاشر

فـــي التحريض
علـــى الجهـــاد

في التحريض على الجهاد / [م ٢٩]

ينبغي للإمام أن يحضَّ الناسَ ويحرّضهم على الجهاد، فقد أمر الله تعالى بذلك نبيَّه - ﷺ - فقال عزّ من قائل: ﴿يا أيّها النبيّ حرّض المؤمنين على القتال﴾ (١) وكان النبيُّ - ﷺ - يحرّضُ ويقولُ **يومَ بدرٍ**: والذي نفسي بيدِه لايقاتلُهم اليوم رجلٌ فيُقتلُ صابراً مُحتَسِباً مُقْبلاً غيرَ مُدْبرٍ إلاّ أدخله الله الجنّة (٢) .

ورويَ أنه - ﷺ - قال: لا يتقدّمْ أحدُكُم إلى شيءٍ حتّى أكون أنا دونَه، فدنا المشركون، فقال - ﷺ - قوموا إلى جنةٍ عرضها السماواتُ والأرض. فقال **عُمير بن الحُمَام** (٣) من بني سلمة وبيدهِ تَمَراتٌ يأكلهنّ: بخٍ بخٍ، ما بقيَ بيني وبين أنْ أدخلَ الجنّةَ إلاّ أنْ يقتلني هؤلاءِ القوم/ [س٥٧] فقذف بالتّمرَاتِ مِنْ يدهِ وأخذ السيفَ وقاتلَ حتّى قُتِلَ وهو يقول:

ركْضاً إلى اللهِ بغَيْر زَادِ ... إلا التُّقى وعملِ المعادِ
والصبرِ في اللهِ على الجهادِ ... فكلُّ زادٍ عُرْضَةُ النَّفادِ
غيرَ التّقى والبرِّ والرشادِ (٤)

---

(١) سورة الأنفال ٨ : ٦٥.

(٢) الخبر في السيرة النبوية ١: ٤٥٩ «أخبار وقعة بدر» وفي الأحكام السلطانية ٤١.

(٣) عمير بن الحُمام بن الجموح بن زيد الأنصاري السلمي، ذكر فيمن شهد بدراً انظر أخباره في الإصابة ٥: ٣١ برقم: ٦٠٢٥ والسيرة النبوية ١: ٤٥٩ - ٥٢٧.

(٤) الخبر مع الرجز في الأحكام السلطانية: ٤١ والإصابة ٥: ٣١.

والتحريض من أفعال البرّ، وأعمال الخير، وأسباب الثبوت عند اللقاء، ومن بابِ التعاونِ على البرّ والتّقوى، وكان يقال: مُحرِّضٌ واحدٌ خيرٌ من مئةِ مقاتلٍ.

وروِيَ أنَّ **عمرَ بنَ الخطاب** رضي الله عنه أعطى الخطباءَ والشعراء أعطياتِهم وأمرهم أنْ يلحقُوا بجيوش المسلمين بالشّام ليُحرّضوا ويحضّوا.

ويجوز للإمام أنْ يعرّض للشهادة من الرّاغبينَ فيها مَنْ يعلم أنّه إنْ قُتِلَ في المعركة أثار أحدَ أمرين:

١- إمّا تحريضاً للمسلمين على القتال حميّةً له.

٢- وإمّا تخذيلاً للمشركين بالجرأة عليهم في نصر الدين.

ومما ذُكر من التحريض ماروِيَ أنّ **عليَّ بن أبي طالبٍ** رضي الله عنه سُمِعَ يُحرّضُ الناسَ وهو يقولُ: عبادَ الله، اتّقوا الله وغضُّوا الأبصارَ واخفضوا الأصوات وأقلُّوا الكلام ووطّنوا أنفسكم على المُنَازلةِ والمبارزة والمُعانقة والمكادمة واثبُتُوا، ﴿ واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ (١) ﴿ ولا تنازَعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصّابرين ﴾ (٢) ، اللهمّ ألهِمْهم الصبرَ وأنْزِلْ عليهم النصرَ/ [س٥٨] وأعظمْ لهم الأجرَ.

وسُمِعَ في حربٍ يقول لأصحابه:

أمَا تخافُونَ مَقْتَ الله، حتّى متى؟! ثمّ انفتل إلى القِبْلةِ فرفَعَ يديه فقال:

---

(١) سورة الأنفال ٨ : ٤٥.

(٢) سورة الأنفال ٨ : ٤٦.

يا اللهُ، يا رحمنُ، يا واحدُ، يا إلهَ محمّدٍ، اللهمّ إليك نُقلت الأقدام ورُفعت الأيدي، ومُدَّتْ الأعناق وشخصت الأبصار وطُلبت الحوائج، نشكو إليك غَيْبَةَ نبيِّنا وكثرةَ عدوِّنا وتَشْتِيتَ أهْوَائنا. ربّنا افتحْ بيننا وبين قومنا بالحق وأنتَ خيرُ الفاتحين. ثمّ قال لهم: سِيروا على بَرَكةِ الله، ثم نادى: لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ كلمة التقوى.

وسمُعَ أيضاً وهو يقول:

انّ الله قد دلّكم على تجارةٍ تنجيكم من عذابٍ أليم، إيمانٍ بالله ورسوله وجهادٍ في سبيله، وجعلَ ثوابَ ذلك/ [م٣٠] مغْفِرةَ الذّنوب ومساكن طيبةً في جنّات عدْنٍ، ورضوانٌ من الله أكبرُ، ذلك هو الفوز العظيم. وأخْبَركم بالذي يجبُ في ذلك فقال تعالى: ﴿ إنّ الله يحبّ الذين يقاتلونَ في سبيله صفّاً كأنّهم بنيانٌ مرصوص ﴾ (١) فسوّوا صفوفكم - رحمكم الله - كالبنيان المرصوص، وقدّموا الدارعَ وأخّروا الحاسر، وعضّوا على الأضراس فإنّه أنبا للسيوفِ عن الهام، وأرْبطُ للجاش، وأسْكَنُ للقلوبِ، وأميتوا الأصواتَ، فإنّه أوّلُ الوقار، وراياتِكم فلا تميلوها ولا تُزيلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانِكم الحامين الذّمار الصبُّرِ عند نُزولِ الحقائق، وأهل الحفاظ الذين يحفّون براياتهم ويضربون أمامها قُدُماً، وليقاتلْ / [س٥٩] كلُّ رجلٍ منكم قِرْنَهُ، وليُواسِ أخاه بنفسه ولا يكلْ قِرْنَهُ إلى أخيه فيجتمع عليه قرنُه وقِرْنُ أخيه فيكتسبَ بذلك اللائمة ويأتي به الدناءة، وأنْ لا يكون هذا كهذا، وهذا يُقاتل اثنين وهذا ممسكٌ بيده قد خلّى قِرْنه عليه هارباً منه وقام ينظر إليه، مَنْ يفعلْ هذا يَمْقُتْه اللهُ فلا تعرضوا لمقْت الله فإنّما مردّكم إليه قال تعالى: ﴿ قلْ لن ينفعكم الفِرارُ إنْ فرَرْتُم من الموت أو

---

(١) سورة الصف ٦١ : ١٠، ١٣.

القتل وإذاً لا تمتّعون إلا قليلا ﴾ (١) والله لَئِنْ فررْتُمْ من سيف العاجلة لا تَسْلمون من سَيْف الآجلة، فاسْتَعينوا بالصَدقِ عند اللّقاء، والصَبرِ عند البلاء، فإنّ بعد الصبر ينزل النصر.

وحرض **أبو الهيثم الأنصاري** (٢) وكان من اصحاب رسول الله - ﷺ - عَقَبياً بدرّياً، فجعل يسوّي الصفوفَ ويقول: يا معاشرَ المسلمين، إنّه ليس بين الفتح العاجل، والجنة في الآجل إلا ساعةٌ من نهار، فأرسفوا اقدامكم وسوّوا صفوفكم وأعيروا جماجمكم، واستعينوا بالله واصبروا إنّ الله مع الصابرين وإنّ الأرض لله يورثُها من يشاء مِنْ عبادهِ والعاقبةُ للمتّقين.

وحرّض اخر فقال:

يا أيها الناس، غُضّوا الأبصار، وعضّوا على النواجذ، ثم استقبلوا القوم بهامِكم، وشدّوا شدّة قوم موتورين قد وطّنوا أنفسهم على الموت، وطيّبوا عبادَ الله بدمائكم دون دينكم، فإنّ الفرارَ فيه سلب العزّ وذلُّ الحياة/ [س٦٠] والمماتِ، وعارٌ في الدنيا والآخرة.

ثم اختصّ بالقولِ عصابةً من قومهِ فقال:

عُضِضتُمْ بُصمّ الجندلِ، ما أرضيتم ربّكم ولا نصحتم له في عدوّكم.

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ : ١٦.

(٢) **ابو الهيثم الانصاري ت ٢٠ هـ = ٦٤١م**: مالك بن التَّيهان الأنصاري الأوسي ابو الهيثم، صحابي، كان يكره الاصنام في الجاهلية، ويقول بالتوحيد هو واسعد بن زرارة، وكانا اول من أسلم من الانصار بمكة، وهو احد النقباء الاثني عشر. شهد بدراً واحداً والمشاهد كلها. وتوفي في خلافة عمر. وقيل: شهد صفين مع علي. وقتل بها سنة ٣٧هـ. وكان شاعراً، وله قصيدة في رثاء النبي (ﷺ)، الإصابة ٦: ٢٠ برقم: ٧٥٩٥ والاعلام ٥: ٢٥٨.

وكيف ذلك وانتم أبناءُ الحرب، وأصحابُ الطّعن والضّرب الذين لم يكونوا يُسْبَقُون بثأرهم، ولا تُطلُّ دماؤهم، فاتّقوا الله واصدقوا عدوكم، إنّ الله مع الصادقين. فعملَ ذلك الكلامُ فيهم وشدّوا شدّةَ رجلٍ واحد، وضاربوا أعداءهم حتّى أزالوهم عَنْ مواقعهم.

ويروى أنّ النُّعمان بنْ مُقرّن (١) كانَ الأميرَ في غَزاةِ نَهاوند حينَ برزَ إليه جُموعُ الكفرِ، وتعبّأ الفريقان وتهيؤوا وتأهّبوا أُهبةً لم يُرَ مثلُها، ووافق ذلك يومَ جمعة، فجعل النعمانُ يحرّض الناسَ ويعدهم وينشّطهم ويذكرهم ويتثاقلُ عن مناشبةِ الحرب، ويثبط عنها، فَرُميَ المسلمون بالنُّشّاب/ [م٣١] وكَثُرتْ فيهم الجراحات وهو يلوي الناسَ، فعذَلَهُ المغيرةُ بن شعبة (٢) ونَدَبه إلى مناشبةِ الحرْب، والإذنِ للمسلمين في المزاحفة فقال النُّعمان: ربّما أشهدكَ اللهُ مثلَها مع النبيّ - ﷺ - شهدته إذا لم يقاتلْ أوّلَ النهار انتظر حتّى تهبَّ الأرواح وتحضر الصلَوات وقد دنا الزّوال

---

(١) النعمان بن مقرّن ت ٢١ هـ = ٦٤٢ م: النعمان بن مقرن بن عائذ المزني، ابو عمرو، صحابي فاتح، من الأمراء القادة الشجعان، كان معه لواء مزينة يوم فتح مكة، سكن البصرة، ثم تحول عنها إلى الكوفة، ووجهه سعد بن ابي وقاص بامر عمر إلى محاربة الهرمزان، فزحف بجيش الكوفة إلى الأهواز وهزم الهرمزان وتقدم إلى تُستَر فشهد وقائعها وعاد إلى المدينة بشيراً بفتح القادسية، ثم ولاه عمر غزو اصفهان ففتحها وهاجم نهاوند فاستشهد فيها، ونعاه عمر إلى الناس في مسجد المدينة. وكانت وقعة نهاوند سنة عشرين للهجرة. انظر البلدان وفتوحها وأحكامها للبلاذري ٣٤٩ وما بعدها، الاعلام ٨: ٤٢.

(٢) المغيرة بن شعبة ٢٠ق . هـ - ٥٠ هـ = ٦٠٣ - ٦٧٠م: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي ابو عبدالله، احد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم، صحابي، يقال له: مغيرة الراي، ولد في الطائف وذهب إلى الإسكندرية، (في الجاهلية) وعاد إلى الحجاز، أسلم سنة ٥هـ وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام وذهبت عينه باليرموك، وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها، وولاّه عمر البصرة ففتح عدة بلاد ثم عزله ثم ولاّه الكوفة، وأقرّه عثمان ثم عزله، ولما حدثت الفتنة بين عليّ ومعاوية اعتزلها المغيرة. ثم ولاّه معاوية الكوفة وبقي فيها إلى ان مات. عن الاعلام.

وهذا يومُ الجمعة، ثم كلّم الناسَ وحرضهم فمن قوله بعد حَمْدِ الله والثناء عليه والصلاة على النبي - ﷺ -: (١)

أيها الناسُ، انتم حزبُ اللهِ وأنصارُ دينه وأتباعُ نبيّهِ محمدٍ - ﷺ - [س٦١] وحَملةُ كتابه والقائمون بحدوده، وأهلُ الصّلاة والصيام وذادةُ الإيمان والإسلام، شرّفكم اللهُ بنبيّهِ المصطفى، واختارَ لكم دينه المرتضى، ووهبكم العقول الراجحةَ والنيّاتِ الصادقةَ، والقلوبَ الثابتةَ. وإنما برزتم إلى حزْبِ الشـيطان وأهل الضّلالة والبُهْتَان، وذادة الأصنام والأوثان، دَعاهم رسولُ الله - ﷺ - إلى الهدى والنّور فجانبوه، وصرخ بهم الشيطانُ إلى الردى والغرور فاتّبعوه بآراءٍ ساقطة وعقولٍ خاسرة، وقلوبٍ طائرة، وقد برزتُم إليهم وبرزوا إليكم، وإنّ الله ناظرٌ إليكم ومطّلعٌ عليكم، فاستحيوا منه انْ يكونَ حزبُ الشيطان وذادةُ الأصنام والأوثان، أجدَّ على الباطل والبُهْتَان، وأصبرَ على النّزالِ والطّعان من حزبِ الرحمنِ وذادة الإسلامِ والإيمان، وحَمَلَةِ السُّنَن والقرآن، وإنّما يتربّصون بكم إحدى الحُسْنيين، ونحن نتربّص بهم أنْ يصيبهم اللهُ بعذابٍ من عنده أو بأيدينا.

يا معشر المسلمين، إنْ تكونوا تألمونَ فإنّهم يألمون كما تألمون، وتَرْجُونَ من الله مالا يَرْجُونَ، إنّي مكبّرٌ لكم ثلاث تكبيرات، فإذا كبّرتُ **الأولى** فليصلِحْ كلُّ واحدٍ منكم من شأنه ويشدَّ على نَفْسه وفرسه.

وإذا كبّرتُ **الثانية** فلينظرْ كلُّ رجلٍ منكم موقع سهمه وموضع عدوّه ومكانَ فُرْصتهِ. وإذا كبّرتُ **الثالثة** فاحملوا على اسم الله واصبروا إنّ الله مع الصابرين/ [س٦٢].

---

(١) انظر مجمل هذه الأقوال والأخبار في كتاب : البلدان للبلاذري ٣٤٩ وما بعدها والعقد ١: ٩٨.

ورويَ أنّه قال:

إنّي هازٌّ لكم الرايةَ ثلاثاً... ثم ذكر مارتّبه، ففعل الناس ذلك وطلبوا الصفَّ الأوّلَ، ثم حملوا عند الثالثة على العدوّ فتطاعنوا وتجالدوا من الزّوالِ إلى ثُلُثِ الليل، فهزمَ اللّهُ العدوَّ وأخذتْهُمُ السيوفُ وذهبوا على وجوههم، وصدّهم المسلمونَ عن جِسْرٍ كانَ هنالك راموا العبورَ عليه فتردّى منهم كثير، وقُتل منهم أممٌ وأصابَ المسلمونَ غنائمَ كثيرةً (١) ، قيل: إنه قُسم للرجل ولفرسهِ ثلاثةٌ وثلاثون ألفاً، وللراجل أحدَ عشرَ ألفاً. قال ابن نافع: وبذلك مَضَتِ السُنّةُ (٢) .

ورويَ أنّ النُعمانَ قال عندما ذكر هزّ الراية وقوله: فإنّي حاملٌ فاحملوا وإنْ قُتلَ أحدٌ فلا يلْوِينّ أحدٌ على أحدٍ، وإنْ قُتلتُ أنا فلا تلووا، وإنّي داعٍ إلى الله بدعوةٍ، فعزمتُ على كلّ امرىءٍ مسلم لمّا أمّنَ عليها. ثم قال: اللهمَّ ارزقِ النعمانَ اليومَ شهادةً تنصر المسلمين، فأمّنَ القومُ وفعل ما ذكر فكان أوّل صريعٍ رحمه الله (٣) .

وممّا كان يُحَرَّضُ به قديماً من الكلام المختصر البليغ قولهم:

يا خيل الله اركبي وأبشري بالجنّة. وفيه من المعنى الجسيمِ والحظِّ/ [م٣٢] العظيم الإضافة إلى الله تعالى تشريفاً وتكريماً، وتحت ذلك النسبة إلى نصرْ دين الله، قال الله تعالى: ﴿ إنْ تنصروا الله

---

(١) انظر العقد ١: ٩٨.

(٢) جاء في كتاب الخيل لأبي عبيدة: ١٢ بسنده قال: قسم رسول الله (ﷺ) خيبر فجعل للفرس سهمين ولفارسه سهماً. فكان للرجل وفرسه ثلاثة أسهم وهناك أحاديث أخرى في الموضع نفسه. وانظر نهاية الأرب ٩: ٣٧٦ والسيرة النبوية ٢: ٨١٠ ذكر مقاسم خيبر.

(٣) البلدان: ٣٥٠.

ينصرْكم ويثبّتْ أقدامكم ﴾ (١) وفيه اليقين بالبشارة بالجنّة. كان رسول الله - ﷺ - يقول في تحريضه: قوموا إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض.

قال **عبدالله بن قيس** (٢)/ [س٦٣]: كنا في غزاةٍ فلقينا العدوّ وقيل: ياخيلَ الله اركبي وأبشري بالجنة. فركب الناسُ وركبتُ، وإذا بفتىً أمامي يعاتب نفسه يقول:

يا نفس ألمْ أشهدْ مشهدَ كذا وكذا فقلت لي: أهلك عيالك، فأطعتكِ ورجعت، واللهِ لأعْرِضنَّك اليوم على الله قَبِلَكِ أوردَّك.

فقلتُ: لأرمقنَّ هذا الفتى حتّى أنظر ما يصنع. فلحقْنا العدوُّ فجعلَ يحملُ على المشركين فيكون في أوّل الناس، فإذا حمل المشركون على المسلمين كان في حماتهم، فلم يزل كذلك حتّى رأيتُه صريعاً، فعددْتُ فيه وفي فرسه ستين ضربةً أو طعنةً رحمه الله.

ومن كلام بعض المحرّضين:

أيّها الناسُ، قد جدّتْ بكم الحربُ فجدّوا، وشمّرت عن ساقها فشدّوا،

---

(١) سورة محمد ٤٧ : ٧.

(٢) عبدالله بن قيس ت ٥٣ هـ = ٦٧٢م : عبدالله بن قيس الحارثي، حليف بني فزارة، أمير البحر في صدر الإسلام، كان مقيماً في الشام وأراد معاوية غزو قبرس فولاّه قيادة الغزاة سنة ٢٧هـ فتقدم يريدها فالتقى بعبدالله بن سعد قادماً من مصر لغزوها، فصالحهما أهلها على سبعة آلاف دينار يؤدونها كل سنة، وبقي عبدالله على البحر، فغزا خمسين غزاة صيفاً وشتاءً ، لم يغرق من جيشه أحد ولم ينكب. وقتله الروم وهو يطوف في أحد المرافئ، متخفياً، دلتهم عليه امرأة كانت تتسول فأعطاها فعرفته فراسة. عن الإصابة ٣: ٩٤ برقم: ٦٣٣٥ والأعلام ٤: ١١٤ وهناك آخر باسم عبدالله بن قيس الهمداني الحمصي. له ذكر في الفتوح وكان يوم اليرموك. الإصابة ٥: ٩٤ برقم: ٦٣٣٦.

واعدّتْ لكم مكايدها فاستعدّوا، واخلصوا نيّاتكم واسرارَ ضمائركم، وغيّروا غيرة الرجال في حِمى ذماركم، وكونوا على عدوكم يداً ﴿ إنّهم إنْ يظهروا عليكم يرجموكم او يُعيدوكم في ملّتهم ولن تُفلحوا إذاً أبدا ﴾ (١) فاصبروا إنّ الله مع الصابرين، واعلموا أنّ الله مع المتّقين، واتقوا الله يا عباد الله جُهْدَكم، ولا يكثُرنَّ في ثوابه زهدكم، واجيبوا دعوتَه فقد دعاكم، وجاهدوا في سبيله يعطكم رضاكم، وانصُروا الإسلام يرفعِ الله لكم الأعلام، وقد وعدكُمْ النصر، وذَخَرَ لكم الاجر، وجعلكم رِدْءاً للمسلمين وظَهيراً على أعداء الله الكافرين، ﴿ ولا تهِنوا ولا تحزنوا وانتم الأعْلَوْنَ إنْ كنتم مؤمنين ﴾(٢) واحمدوا الله الذي خصكم بهذه الفضيلة/ [س٦٤] واثركم بهذه الموهبة الجليلة، فتوكّلوا عليه، واستعينوا بتقواه وطاعته واضرعوا إليه في أنْ يؤيّدكم بنصرهِ وكفايته، فهو سبحانه يصرف السوءَ عن عبادهِ المؤمنين، ويجعل دائرة السوء على القوم الكافرين، قال عليّ ابنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه:

جزى اللهُ قوماً قاتلوا في لقائهم
لدى الرّوعِ قوماً ما أعفَّ وأكرما
وأطيبَ أخْباراً وأفضلَ شيمةً
إذا كان أصواتُ الرجالِ تَغَمْغُما (٣)

(١) سورة الكهف ١٨ : ٢٠.
(٢) سورة ال عمران ٣: ١٣٩.
(٣) البيتان من قصيدة منسوبة للإمام علي وهي في ديوانه ١٢٧ وأولها :
لنا الراية الحمراء يخفق ظلها إذا قيل قدّمها حُضَيْنُ تقدما
ورقم القصيدة ٢٧٨ ورواية البيتين فيها مع العلم ان ثانيهما هنا ورد قبل الأول:
وأحزم صبراً حين يُدعى إلى الوغى إذا كان أصوات الكماة تغمغما
جزى الله قوماً قاتلوا في لقائهم لدى البأس خيراً ما أعف وأكرما

ومما ينبغي للمحرّض أن يستعمله في ذلك الكلامُ الفصيحُ القريبُ من فَهْم عامّة زمانه وأهل مكانه، ويستطيبُه الجمهور مع موافقة الألفاظ الشرعية التي ترغّب في الآخرة وتزهّد في الدنيا، وتقوّي القلوبَ وتشدّ النفوس، وتُنبّه على قُوّة اليقين، وتحضُّ على الدرجة العُليا، وتبيّنُ فَضْلَ الشهادة، وتُوقظُ الهممَ، وتَغْرِسُ الشجاعةَ في القلب، وتُثمر الأنفةَ من العار، وتعلّم الحياءَ من الله تعالى، وتعلّم انه حاضرٌ لا يغيب، وشاهدٌ لا يغفل، وَرقيبٌ على كل نفسٍ، وناظرٌ لكلِّ فِعْلٍ/ [م٣٣] وربما استعمل البليغ في تضاعيف كلامه نظرُ الجليل سبحانه إلى الفئتين واطلاعَهُ على الفريقين، ومباهاته الملائكة بأهل الثبات والصبر، وجُوده على الصابرين بالنصر، ويذكر ما في الفرار من المقْتِ العاجل والآجل وما في الثبات من العزّ الثابت غير الزائل، وحنو البهائم على أولادها، والطير على أفراخها، وأنّ الذبَّ عن الأطفال/ [س٦٥] والعيال من افعالِ كرامِ الرّجالِ، وأنّ المسلمَ الوفَّ عطوفٌ حامي الذمار كريم الجوار، وأنّ اهل الدين الواحد كالجسد الواحد، والحرُّ لا يُسلِّمُ اولياءه كما لا يفارق اعضاءه، وكذلك يعظّم الإسلام وأهله، ويقبّحُ فرعَ الكفر وأصْلَه، ويذكر عزّة المسلم عند الحفيظة والحقيقة، وذلّة الكافر إذا تخلّل فريقه، قال الله تعالى ﴿ بقوم يحبّهم وَيحبّونه ﴾ (١) ﴿ أشداء على الكفّار رحماء بينهم ﴾ (٢) وقال سبحانه: ﴿ أذلةٌ على المؤمنين أعزّة على الكافرين ﴾ (٣) ومن الشعر اللائق بذلك قول **الجحّاف بن حكيم** (٤) :

---

(١) سورة المائدة ٥: ٥٤.

(٢) سورة الفتح ٤٨ : ٢٩.

(٣) سورة المائدة ٥: ٥٤.

(٤) **الجحّاف بن حكيم ت نحو ٩٠ هـ = ٧٠٩م** : الجحّاف بن حكيم السلّميّ، فاتك، ثائر، شاعر، كان معاصراً لعبدالملك بن مروان، وغزا تغلب بقومه فقتل منهم كثيرين، فاستجاروا بعبدالملك فاهدر دم الجحاف، فهرب إلى الروم فاقام سبع سنين. ومات عبدالملك فأمنه الوليد فرجع. عن الأعلام ٢: ١١٣.

نُعَرِّضُ للطِّعــــانِ بكلِّ ثغــــرٍ   خــــدوداً لا تعــــرِّض للَّطام
شـهدْنَ مـع النبيِّ مـسـوَّماتٍ   حُنَيناً وهـي دامـيــة الحـــوام
ووقــعــة راهطٍ شــهــدت وحلَّت   سـنابكهنَّ بالبلدِ الحـــرامِ (١)

فيذكر المشاهد وكرمَ المعاهد التي يعطف عليها ويحنّ إليها، وكما يُقال:

وضربةُ السيف في عزٍّ مصاولةً
الذُّ مـن ضَرَبٍ (٢) للحرِّ فـــــي ذلِّ

وممّا ينبغي أن يكون عليه المحرِّض: الاعتزاز بالله والإخلاصُ في أمرِ الله، والشدّةُ على أعداء الله، ولاسيّما إنْ قام في أهل كرمٍ ودين وحفيظةٍ ويقين، قال الله تعالى: ﴿ كلّ نفسٍ ذائقة الموت، وإنمّا توفّونَ أجوركم يوم القيامة، فمن زُحْزِحَ عن النّار وأدْخِلَ الجنّة فقد فاز وما الحياةُ الدنيا إلاّ متاعُ الغرور ﴾ (٣) وقال النبيّ - ﷺ -/ [س٦٦] : والذي نفسي بيده إنّ

---

(١) الأبيات في السيرة النبوية ٢: ٨٧٩ وفيها:
وقال الجحاف بن حكيم السلميّ :
شهدْنَ مع النبي مسـومـاتٍ   حنيناً وهي دامية الكــلام
وغزوة خالدٍ شهدت وجرت   سنابكهن بالبلــد التهـام
نعرض للطعان إذا التقينا   وجوهاً لا تُعرَض للّطــام
ولست بخالع عني ثيابــي   إذا هز الكماة ولا أرامــي
ولكني يجول المهرُ تحتــي   إلى العلوات بالعضب الحسام
والأبيات في الحماسة منسوبة للجحاف ولغيره، انظر شرح المرزوقي ١: ١٣٢١ برقم: ٢١ ونسبت للحريش بن هلال.
(٢) الضّرَب : العسل.
(٣) سورة آل عمران ٣: ١٨٥.

نفساً لن تموتَ حتّى تَستكْمِلَ رِزْقها وأجلَها فاتّقوا الله وأجْمِلُوا في الطَّلَب (١) . فهذا قَسمٌ مبرورٌ وتجَارةٌ مع اللهِ لَنْ تبور.

وأنشد بعضُهم قول لَقيط الإياديّ (٢) :

يا أيّهـــا الـراكبُ المُزْجي مطيّتَهُ   إلى الجـزيرة مـرتاداً ومنتـجـعـا(٣)

---

(١) الحديث في سنن ابن ماجة: كتاب التجارات ٢: ٢١٤٤ ص ٧٢٥ ولفظه: قال رسول الله (ﷺ): أيها الناس، اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها. فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل. ودعوا ما حرم.

(٢) لقيط بن يعمر الإيادي ت ٢٥٠ ق. هـ تقريباً = ٣٨٠م شاعر جاهلي فحل، من أهل الحيرة، كان يحسن الفارسية واتصل بكسرى سابور ذي الأكتاف، فكان من كتابه والمطلعين على أسرار دولته، ومن مقدمي تراجمته، والقصيدة العينية المذكور قسم منها كبير في كتابنا هي من غرر شعره، بل إن أبا الفرج الأصفهاني قال: ليس يُعرف له شعرٌ إلا هذه القصيدة وقطع من الشعر لطاف متفرقة، وكان لقيط قد وجّه بالقصيدة العينية إلى قومه بني إياد ينذرهم بأن كسرى وجه جيشاً لغزوهم، وسقطت القصيدة في يدٍ أوصلتها إلى كسرى فسخط على لقيط وقطع لسانه ثم قتله، وانظر خبر قبيلة إياد مع كسرى في الأغاني ٣٩٣/٢٢ وانظر الأعلام ٢٤٤/٥ أما القصيدة العينية فقد رواها ابن الشجري في مختاراته كما أوردها المرزوقي في أماليه وذكر قسماً منها أبو الفرج في الأغاني. وسنعتمد في المقارنة رواية المرزوقي. أمالي المرزوقي: ٢٤٢ والقصيدة في ديوانه بتحقيق د. محمد التونجي دار صادر. بيروت ١٩٩٨م. وانظر في أخباره أيضاً: رغبة الأمل ٥: ٩٩ الشعر والشعراء: ١٥١ – ١٥٤ ط. الحلبي. المؤتلف والمختلف: ١٧٥ وذكر أبو الفرج أن لقيطاً جعل عنوان الكتاب :

كتاب في الصحيفةِ من لقيطٍ   إلى مَنْ بالجزيرة من إياد
بأن الليث كسرى قد أتاكم   فلا يشغلكم سَوْق النِّقاد

والنقاد : الغنم الصغار

(٣) المزجي : الذي يسوق مطيته، والارتياد والنجعة: طلب الكلا وهذا البيت هو البيت التاسع من القصيدة وروايته عند المرزوقي :

بل أيها الراكبُ المزجي على عجلٍ   نحو الجزيرة مرتاداً ومنتجعاً

وقبله : =

ابــلــغْ إيــاداً وَعَمْراً فــي سَراتِهــمُ ... اني ارى الرايَ إنْ لم أَعْصَ قدْ نَصَعا (١)

يا لهفَ نفــسيَ إن كــانت امــوركمُ ... شتّى، واصــبحَ امــرُ الناسِ مُجْتَمِعا (٢)

إنّي اراكم وارضــاً تُعْجَبــونَ بهــا ... مِثْلَ السفينة تغشى الوعْثَ والطَّبَعا (٣)

= ١- يا دار عَمْرة من مُحْتَلِّها الجَرَعا ... هاجَتْ ليَ الهمَّ والأحـزانَ والوجَعَا

٢- تامت فؤادي بذاتِ الجِزْع خَرْعبةٌ ... مــرّت تريد بذات العَذْبة البِيَعَا

٣- بمقْلتي خـاذلٍ ادمـاء طاع لها ... نَبْتُ الرياض تُزجّي وسْطه ذَرَعــا

٤- وواضحٍ اشنبِ الانياب ذي أشرٍ ... كـالاقـحـوان إذا مـا نَوْرُه لمعـا

٥- جرّت لما بيننا حِل الشموس فلا ... يأسـاً مُبيناً ارى منها ولا طمعـا

٦- فـمـا ازال على شحطٍ يؤرقني ... طيفٌ تعمّد رحْلي حيثُما وضعـا

٧- إني بعـيني إذْ امّتْ حـمـولُهمُ ... بطنَ السلوطح لا ينظرن مَنْ تبعـا

٨- طوراً اراهم وطوراً لا أبيّنهم ... إذا تواضع خِدْر سـاعــةً لمعــا

والجرع والاجرع والجرعاء : الرملة لا تنبت.

وتامت: تيّمت، اي عبدت وذللت. والخرعبة: الشابة الحسنة القوام وذات الجزع: موضع، وهو ايضاً منعطف الوادي. وذات العذبة: موضع على ليلتين من البصرة فيه ماء طيبة.

الخاذل: هي الظبية المنفردة بولدها عن صواحبها. والادماء: البيضاء يعلو بياضها جدد بغبرة كلون الجبال. وطاع لها: اي لم يمتنع عليها رعي النبت وتزجي: تسوق برفق ولين والذرَع: ولد البقرة الوحشية.

الواضح : الفم والشنب: رقة في الاسنان وعذوبة، والأشر: التحزيز الذي فيها، والاقحوان: من نبات الربيع له نور ابيض وهو البابونج والجمع أقاح.

الشموس من الدواب : التي تمنع ظهرها ان يركب. الشحط (بسكون الحاء وفتحها): البعد.

السلوطح : موضع بالجزيرة على الفرات او قريب منه.

قال محقق امالي المرزوقي: إن هذه الابيات السبعة الأولى سقطت من أصل امالي المرزوقي وإنه نقلها من مختارات ابن الشجري.

(١) رواية المرزوقي : ابلغ إياداً وخلل في سراتهم.

والتخليل : التخصيص. والسراة جمع سري وهو الشريف.

(٢) رواية المرزوقي :.. واحكم امر الناس فاجتمعا.

(٣) هذا البيت ليس في رواية المرزوقي ولا الاغاني.

الا تخـــافـــونَ قـــومـــاً لا ابالكمُ	امسوا إليكم كأمثال الدَّبا سرعا (١) [م٣٤]
فـي كـلّ يـوم يـسـنُّون الحرابَ لـكـم	لا يهـجـعـون إذا مـا غـافلٌ هجـعـا (٢)
خُزْرٌ عـــيـــونُهم كـــانّ لَحْظَهمُ	حـريقُ نارٍ ترى منه السُّنا قِطَعـا (٣)
لا الحـــرْثُ يشغَلُهم بل لا يرونَ لهم	مِنْ دونِ بَيْضتِكـــم ريّاً ولا شِبَعًا (٤)
وانـتـم تَحـــــرثُونَ الارضَ عـن سَفَهٍ	فـي كـلّ مُعْتَمَلٍ تَبْغُونَ مُزْدَرعـــا (٥)

---

(١) الدَّبا : اصغر ما يكون من الجراد والنمل. والسُّرَع - بفتح السين وكسرها - نقيض البطء.

(٢) هذا هو البيت السابع عشر في رواية المرزوقي وقبله:

ابـنـاء قـــومٍ تـأووكم عـلـى حَنَقٍ	لا يشـعـرون اضـرَّ الله ام نفـعـا
احـــرار فـــارس ابناء الملوك لهم	من الجـمـوع جـمـوعٌ تزدهي القلعَا
فـهـم سـراعٌ إليكم بين ملْتـقـطٍ	شوكاً وآخر يجني الصاب والسلَعا
لو انّ جـمـعـهـم رامـوا بهـدّته	شُمُّ الشماريخ من ثهلان لا نصدعا

وقوله: تأووا: اي تألبوا وتجمعوا.

وتزدهي: من ازدهيت فلاناً إذا تهاونت به. والقَلَع: السحاب العظيم.

والصاب: شجر مرّ له عصارة بيضاء كاللبن بالغة المرارة.

والسلع : شجر مرّ ينبت في اليمن وهو من الفصيلة العنبية. وكنّى بالصاب والسلع عن السلاح.

والهدّة: الصوت الشديد تسمعه من سقوط ركن أو حائط او ناحية جبل، وهي الجلبة. يريد كثرة عددهم.

والشماريخ : جمع شمراخ (بكسر الشين) وهي رؤوس الجبال. والصدع: الشق.

وثهلان : جبل ضخم بالعالية. وثهلان جبل لبني نمير بن عامر بن صعصعة بناحية الشريف به ماء ونخيل. ويضرب بثهلان المثل في العلو. معجم البلدان : ثهلان.

الشروح عن محقق أمالي المرزوقي وكذلك في سائر الأبيات.

(٣) خزرت العين : صغرت وضاقت خلقة، وتخازر: ضيّق عينيه ليحدد النظر.

(٤) البيضة هنا كناية عن عقر الدار ومحلة القوم.

(٥) في المرزوقي، وانتم تحرثون الارض عن عرض.

والمعتمل: موضع العمل. والمزدرع: موضع الزرع.

وَتَلْبَسُونَ ثيـــــابَ الامنِ ضَافِيـــــةً   لا تَفْزَعُونَ وهذا الليثُ قـــد جَمَعـــا (١)

مــــالـي أراكم نيــــامـــــاً في بُلَهْنَيةٍ   وقـد ترون شهـاب الحـرب قـد لَمَعـا (٢)

وقـــــــــد اظلَكُمُ مِنْ شـطر ثغرِكـمُ   هـمٌ لـهُ ظُلَمٌ تَغْشــــــــــاكُمُ قِطَعًا (٣)

صــونوا جــيـادكمُ واجلوا سـيـوفكمُ   وجـــــدّدوا لِلْقِسيِّ النَبْلِ والشَرَعَا (٤)

واشـــــروا بلادكمُ في حِرْزِ انفــسكم   وحرْزِ نسوتكم لا تهلكوا هلعا[س٦٧] (٥)

---

(١) هذا هو البيت الثاني بعد العشرين في المرزوقي وقبله:

وتُلْقحونَ حـيالَ الشَوْلِ آونةً   وتنتجون بذات القَلْعة الرُبَعَا

والإلقاح : إنزاء الفحل على الناقة، يقال: ناقة حائل ونوق حيال إذا ضربها الفحل ولم تحملْ. والشَوْل: جمع شائل وهي الناقة ترفع ذنبها للفحل تطلب اللقاح.

ذات القلعة او دار القَلْعة : المنزل إذا لم يكن مستوطناً. والقوم على قلعة: اي رحلة. ولعله اراد بالقلعة الموضع الذي في البادية او القرية التي دون حلوان العراق. ولعله اراد مرج القلعة الذي بينه وبين حلوان منزل وهو من حلوان إلى جهة همدان

«معجم البلدان : القلعة. ومرج القلعة».

وفي المرزوقي : وتلبسون ثياب الأمن ضاحيةً.

(٢) هذا هو البيت الخامس بعد العشرين برواية المرزوقي وقبله:

انتم فريقان هذا لا يقوم له   هَصْر الليوث وهذا هالك صَقَعا

وقد اظلكم من شطر ثغركم   هـولٌ له ظُلَمٌ تغشــــاكم قِطعا

وهصر الليوث: افتراسها، والصقع: الضرب ، وصقع به الأرض: صرعه.

وفي المرزوقي : وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا والبلهنية : الرخاء وسعة العيش

(٣) ورد هذا البيت قبل البيت السابق في رواية المرزوقي.

(٤) اجلوا سيوفكم: اصقلوها. من جلا الصيقل السيف جلواً وجلاءً إذا صقله والنبع: شجرٌ ينبت في قلة الجبل تتخذ منه القسيُّ والسهام، ويقال: فلان صليب النبع أي شديد المراس، وهو من نبعة كريمة: ماجد اصيل. والشرع - بكسر الشين وفتحها - جمع شرعة وهي وتر القوس والعود.

(٥) في المرزوقي : واشروا تلادكم.

واشروا من شرى يشري شراءً وشرى: ضد باع. والتلاد: المال القديم. والحِرْز المكان الذي يحفظ فيه. الهلع: الجزع وشدة الخوف.

هيـــهـــات لا مـــالَ من زرعٍ ولا إبلٍ يرجى لغـــابركم إنْ انفكم جُدعـــا (١)
لا تثـــمـــروا المالَ للاعـــداء إنّهمُ إنْ يظهروا يحتـووكم والبلادَ معا (٢)
يا قـــــوم إنّ لكم من إرث اولكم مجداً قد اشفقْتُ ان يودي وينقطعا (٣)
ومـــا يرُدّ عليكم عـــزُّ اولكم إنْ ضاع آخركم او ذلّ واتّضعا (٤)
يا قـوم بيضـتكم لا تُفجَعُنّ بها إنّي اخافُ عليها الأزلمَ الجذعا (٥)

---

(١) هذا البيت هو الخامس بعد الثلاثين برواية المرزوقي وقبله:

ولا يَدَعْ بعضكم بعضاً لنائبةٍ كما تركتم باعلى بيشةَ النَخَعا
اذكوا العيون وراء السرْح واحترسوا حتى ترى الخيلَ من تعدائها رُجُعا
فـإنْ غلبتم على ضنٍ بداركم فقد لقيتم بأمرِ حازمٍ فزعا
لا تُلهكم إبلٌ ليست لكم إبل إنّ العدوّ بعظمٍ منكمُ قَرِعا

وبيشة: قرية غنّاء في اليمن. والنّخع: قبيلة من الازد.

واذكوا العيون : ارسلوا الطلائع لكشف العدو. والسرح: شجر كبار لا تُرعى وإنما يستظلّ به

والتوراء: العَدْو. رجعا من الرجع وهو ترجيع الدابة يديها في السير.

والغابر: الآتي. وجدع الانف: قطعه وهذا كناية عن الإذلال.

(٢) في المرزوقي : والتلاد معا. والتلاد المال القديم.

ويحتووكم : يستولون عليكم.

(٣) هذا البيت هو الثامن بعد الثلاثين في المرزوقي وقبله:

والله ما انفكّت الاموالُ مذ ابدٍ لاهلها إن أصيبوا مرةً تبعا

ومعنى قوله: يودي: يذهب ويهلك.

(٤) الاتضاع هنا بمعنى الذلّ.

(٥) هذا هو البيت الحادي والاربعون عند المرزوقي وقبله:

ولا يغرنكم دنيـا ولا طمعٌ انْ تُنعشوا بزماعٍ ذلك الطمعا

والزماع هو المضاء في الامر والعزم عليه.

والبيضة : الحمى والحوزة. والازلم الجذع هو الدهر لانه جديد ابداً، ويريد به هنا كسرى.

=

يا قـــــــوم لا تـأمـنـوا إنْ كـنـتـمُ غُيُرَاً على نسـائكمُ كسـرى ومـا جـمـعـا (١)

---

(١) الغُير: جمع غيور وهو الذي يغار على زوجه وأهله وقد ورد بعد هذا البيت في المرزوقي خمسة عشر بيتاً هي: =

هو الجـلاء الذي تبـقى مـذلّتـه إن طار طائركم يومـاً وإنْ وقـعـا
هو الفـنـاء الذي يجـتث أصلكم فشمروا واستعدوا للحروب معا
وقلّدوا أمـركـم لـله دركـم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مُترفـاً إن رخـاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خـشـعـا
لا يطعمُ النوم إلا ريث يبـعـثـه هـمٌ يكاد أذاه يحطم الضلعـا
مُسَهّد النوم تعنيـه أمـوركمُ يرُوم منهـا إلى الأعـداء مطّلعـا
مـازال يحلب درّ الدهر أشطره يكون مـتّبـعـاً يومـاً ومـتّبِـعـا
وليس يشـغله مـالٌ يثـمّره عنكم ولا ولدٌ يبـغي له الرِّفَعـا
حتى استمرت على شزْرٍ مريرتُه مستحكَم السنّ لا قَحْماً ولا ضَرَعا
كـمـالكِ بن قنانٍ أو كـصـاحـبـه زيد القنا يوم لاقى الحارثين مـعـا
إذا عـابه عـائب يومـاً فـقـال له دمّثْ لنفسك قبل اليوم مضطجعا
فـسـاوروه فـألفـوه أخـا علَلٍ في الحرب يحتبل الرئبال والسبُعا
مـسـتنجـداً يتـحـدى الناس كلّهمُ لو قارع الناسَ عن أحسابهم قرعا
هذا كـتـابي إليكم والنذير لكم فَمَنْ رأى مثل ذا رأياً ومَنْ سـمـعـا
لقـد بذلت لكم نصـحـي بلا دَخَلٍ فاستيقظوا إن خير القول ما نفعا

ويجتث أصلكم: يقتلعه من الجذور. وشمروا: خفوا وانهضوا.

ولله دره: للتعجب أي لله عمله. ورحب الذراع: واسع القوة عند الشدائد ومضطلع أي قوي مجرّب.

الريث : الإبطاء والمعنى أنه لا ينام إلا بمقدار ما يدعى فيجيب.

ومسهد النوم صفة لقوله: رحب الذراع والسهاد الأرق.

والمطّلع : الموضع الذي تشرف منه.

وقوله: حلب الدهر أشطره أي مرت عليه ضروب من خيره وشره، وأصل ذلك أخلاف الناقة، لها خلفان قادمان وخلفان آخران، فكل خلفين شطر.

والرِّفع جمع رِفْعة وهي خلاف الضعة.

والشزر : فَتْلُك الحبل مما يلي اليسار وذلك أشدّ لفتله. والمريرة من إمرار الحبل: شدة فتله.

والقَحْم: الشيخ الهرم، والضَّرَع: الرجل الضعيف .

دمث الشيء: إذا مرسه حتى يلين. =

وأنشد بعض المتأخرين :

جاهدْ تصلْ للعيشِ من باب الردى ... واقبس بنار الحرب انوارَ الهدى
وإذا أردتَ لباسَ حلّة سندسٍ ... فالقَ الأعادي بالحسام مُجرّدا
فالحُورُ تستحيي إذا ما لم تشم ... خدُّ المهنّدِ بالنجيع مُورّدا
والربّ يضحكُ من شهيدٍ حاسرٍ ... لا يبتغي لبسَ الدلاصِ مُسرّدا
هو يخلع الجثمان في يوم الوغى ... كيف الدروع؟ لقد تعطّر واهتدى
يا مَنْ يريدُ على الإله وفادةً ... اجعلْ مطيتك الجهاد المجهدا
وصلِ المهنّدَ بالضّراب لتجتني ... صدراً برمّان النهود منهّدا
أو عانقِ السُمْرَ الطوالَ فبعدها ... بيضٌ تحاكيها الغصون تأوّدا
عجباً لأحوال الشهيد فإنّه ... في لمحةٍ من دهره بلغ المدى [م٣٥]
لا يُجتني ثمرَ الأسنّة والقنا ... إلا ويسقطُ عندها مثل الندى [س٦٨]

ومثل هذا القول كثيرٌ قديماً وحديثاً.

= ساوروه : واثبوه. والعَلّ : الشرب بعد الشرب تباعاً وهو هنا مجاز ومعناه انه لا يسأم الحرب.
يختبل أي يهلك ويصرع. والرئبال: الأسد والذئب الخبيث.
مستنجداً : اي مجترئاً.. يقال: استنجد على فلان: اجترأ عليه بعد ان كان يهابه.
والحسب : ما يعدّه المرء من مناقبه او شرف ابائه. وقارع معناها غالب.
الدَّخَل : الغش.
هذه الشروح مقتبسة من تعليقات محقق امالي المرزوقي.

الباب
الحادي عشر

فيما يجوز فعله في الغزو
وما لا يجوز فعله فيه

فيما يجوز فعله في الغزو وما لا يجوز فعله فيه

قال سحنون: أجمع العلماء على جواز القتال في الشهر الحرام وقال إنّ الكفّ عنه كان أولَ الإسلام حتى قتل ابن الحضرميّ (١) فأنزل الله تعالى ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه، قل: قتالٌ فيه كبير وصدٌ عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجدِ الحرام. وإخراجُ أهله منه أكبر عند الله والفتنةُ أكبرُ من القتل ﴾ (٢).

قال مالك: خرج النبيّ - ﷺ - عام الحديبية في الشهر الحرام، ولم أسمعْ أنّ أحداً قال: لا يقاتَلُ في الشهر الحرام (٣).

فإذا (٤) وصل عسكرُ المسلمينَ إلى بلاد العدوّ فالمشركون صنفان: صنفٌ بلغتْهُ الدعوةُ بالإسلام فامتنعوا وقاتلوا فيجوزُ قتالُهم وقَتْلُهم غِرّةً وبَيَاتاً ومُصَافَةً وعلى كلّ حال، وصنفٌ لم تبلغهم الدعوةُ، وقلّما يوجدون اليوم، إلاّ أن يكونوا وراء مَنْ يقاتلنا في أقاصي بلادِ الروم وما يبعد عن المسلمين، فهؤلاء لا يُقاتَلونَ حتّى يُدْعَوا إلى الإسلام وتُقامَ الحُجّةُ عليهم،

---

(١) ابن الحضرمي : المقصود به: مالك بن عباد وكان تاجراً فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله فثارت الثارات بين بكر وخزاعة إلى أن حجز بينهم الإسلام. انظر تفصيل ذلك في السيرة النبوية ٢: ٨٤٢ ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان.

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢١٧.

(٣) خرج رسول الله (ﷺ) في ذي القعدة إلى مكة معتمراً في آخر سنة ست للهجرة انظر السيرة النبوية ٢: ٧٧٦.

(٤) النقل عن الأحكام السلطانية للماوردي : ٣٧.

قال الله العظيم: ﴿ أُدْعُ إلى سبيلِ ربِّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسنُ ﴾ (١) فقيلَ في الحِكْمة: إنها أمور النبوّة وإلقاء المعجزات وإظهار الحجّة. وقيل: هي القرآن؛ وقيل في الموعظة الحسنة قولان:/ [س٦٩] .

أحدهما: بالقرآن في لينٍ من القول.

والثاني: ما فيه من الأمر والنهي (٢) .

وجادلهم بالتي هي أحسنُ: أن يُبيِّن لهم الحقّ وتُوضّح عليهم الحُجة.

فإنْ قَتَلَهم الأميرُ قبل ذلك غِرّةً وبَيَاتاً ضَمِنَ ديات نفوسهم، وكانَتْ على الأصحّ من مذهب الشافعيّ (٣) كديات المسلمين، وقيل: بل كديات الكفّار على اختلافها (٤) .

وقال **أبو حنيفة** (٥) : لا ديةَ على الأمير في قتْلهم ونفوسهم هدَر. فإن أعجلونا عن الدعوة قاتلناهم قبلها (٦) .

---

(١) سورة النحل : ١٦ : ١٢٥

(٢) الأحكام السلطانية : ٣٨.

(٣) **الشافعي** ١٥٠ - ٢٠٤هـ = ٧٦٧ - ٨٢٠م: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبدالله، أحد الأئمة الأربعة، وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين وقصد مصر سنة ١٩٩ وتوفي بها وقبره معروف الآن بالقاهرة. عن الأعلام ٦: ٢٦.

(٤) النقل من الأحكام السلطانية : ٣٨.

(٥) **أبو حنيفة** ٨٠ - ١٥٠هـ = ٦٩٩ - ٧٦٧م: النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة، ولد ونشأ بالكوفة، وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء وأريد على القضاء فرفض، فحبسه أبو جعفر المنصور إلى أن مات. كان أبو حنيفة قويّ الحجة ومن أحسن الناس منطقاً، كريماً في أخلاقه جواداً حسن المنطق والصورة. قال الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة.. الأعلام ٨ : ٣٦.

(٦) النقل عن الأحكام السلطانية : ٣٨.

وفي حديث ابن عون (١) عن نافع (٢) وقد كتب إليه يسأله عن دعاء المشركين فقال: إنّما كان ذلك في أوّل الإسلام، فحيث قلنا بالتوقف عنهم ودعائهم إلى الإسلام فأمكنوا من ذلك، فإن أجابوا كُفَّ عنهم، وإنْ أبَوا طُولبوا بالجزية، فإنْ أجابوا طُولبوا بالانتقال إلى حيث ينالهم سلطاننا والإقامة على حكمٍ يمكِّن قَهْرهم أو على مايراه الإمامُ مصلحةً، فإنْ أجابوا تُركوا على شرطهم وأُخذوا بالجِزْية، وإنْ أَبَوْا عن ذلك قُوتلوا كمن بَلَغَتْه الدعوة، غِرّةً وبياتاً وقتلاً وتغريقاً، وفي إضرام النار عليهم خلاف.

رويَ أنّ أبا بكرٍ الصّدّيق رضي الله عنه حرق قوماً من أهل/ [م ٣٦] الرّدة (٣) . وقيل لعلّ ذلك قبلَ أنْ يبلغه النهيُ. فإنْ كان فيهم أسارى من المسلمين لم يجز تحريقهم وترسل المجانيق والعرّادات على حصونهم وقلْعِهم في الحصار، وإن كانَ فيهم نساءٌ وصبيان - وقد أرسل النبيّ - ﷺ - على [س٧٠] أهل الطائف منجنيقاً -، وتُهدَمُ عليهم بيوتهم إن ظهر ذلك للإمام نظر (٤) .

---

(١) ابن عون: ت ١٥١ هـ : عبدالله بن عون بن أرطبان المزني مولاهم أبو عون الخزار البصري رأى أنس بن مالك. كان من سادات أهل زمانه عبادة وفضلاً وورعاً ونسكاً وصلابة في السنة. تهذيب التهذيب ٣: ٢١١ برقم: ٤٠٨٠.

(٢) نافع ت ٩٩هـ = ٧١٧م : نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل من قريش من كبار الرواة للحديث. تابعي ثقة من أهل المدينة. كان فصيحاً، عظيم النخوة، جهير المنطق، يفخم كلامه، وفيه تيه، وكان ممن عنه ويفتي بفتواه.. تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٠٤ والأعلام ٧: ٣٥٢.

(٣) الأحكام السلطانية : ٥٣.

(٤) الأحكام السلطانية : ٥٢ وقد ورد في السيرة النبوية ٢: ٦٨٣ أمر إجلاء بني النضير، قال ابن هشام: وذلك في شهر ربيع الأول، قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله (ﷺ) بقطع النخيل والتحريق فيها فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على مَنْ صنعه فما بال قطع النخيل والتحريق فيها؟ وإنما كان رسول الله (ﷺ) يعاقبهم على غدرهم وعلى نقضهم المواثيق. وهناك خلاف حول تاريخ هذا الحديث. انظر فتح الباري =

وإنْ تترّسوا بأساري مسلمين لم نقْصدِ الترسَ وإنْ خفنا منهم، لأنّ دمَ المسلمين لا يُباح بالخوف إلاّ أنْ يكونَ ذلكَ في صفّ القتال، ولو تركناهم لا نهزمَ المسلمون وعَظُم الشرّ وخيفَ استئصالُ قاعدةِ الإسلام أو جُمهورِ أهلِ القوّةِ من المسلمين، وجب علينا الدفعُ حينئذٍ ولم نراعِ الترسَ على ذلك (١) .

ويجب التحرّز من قتل مسلمٍ في أيديهم، فمن علم بأنّه مسلمٌ فقتله لزمه الدّيةُ والكفّارةُ، وإنْ لم يعلم انه مسلم لزمه الكفّارة وحدها (٢) .

وإنْ تترّسوا بنسائهم وأطفالهم توقّيَ قتلُ النساء والأطفال، وعُمِدَ إلى قتل المقاتلة، فإنْ لم يوصَلْ إليهم إلاّ بقتل نسائهم وأطفالهم جاز ذلك (٣) ، ولا يُستَعانُ بأحدٍ من المشركين ولا ببعضهم على بعض، قال رسول الله - ﷺ - إنّا لا نستعين بمشرك (٤) . وقيل: إنّ هذا في الصفّ والزّحفِ وشبه

= بشرح صحيح البخاري ط دار الفكر - بيروت ٧: ٣٢٩ - ٢٣٥ وفي السيرة ٢: ٩١٩ في ذكر غزوة الطائف ان رسول الله (ﷺ) نزل تحت سدرةٍ يقال لها: الصادرة، قريباً من مال رجلٍ من ثقيف فأرسل إليه رسول الله: إما ان تخرج وإما أن نخرب عليك حائطك. فابى ان يخرج فامر رسول الله (ﷺ) بإخرابه.

وجاء في شرح السير الكبير ٤: ١٥٥٤ قد بيّنا انه لا باس بتحريق حصونهم وتغريقها ماداموا ممتنعين فيها، سواء كان فيها قوم من المسلمين اسراء او مستامنين او لم يكونوا، والأولى لهم إذا كانوا يتمكنون من الظفر بهم بوجه آخر الا يُقدموا على التغريق والتحريق.

(١) الأحكام السلطانية : ٤١، ٤٢.

(٢) الأحكام السلطانية : ٤٢.

(٣) الأحكام السلطانية : ٤١ - ٤٢.

(٤) إنا لا نستعين بمشرك: جاء في سنن الترمذي ٤: ١٢٨ برقم: ١٥٥٨ عن عائشة أن رسول الله (ﷺ)خرج إلى بدر، حتى إذا كان بحرّة الوبر لحقه رجلٌ من المشركين يذكر منه جراة ونجدة فقال النبي (ﷺ): تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا، قال: ارجع فلن استعين بمشرك. =

ذلك مما يُخاف فيه غِشُّهم ولا يؤمَنُ خِذْلانُهم ومكرُهم، وأمّا في الخِدْمة والهدم ورمي المجانيق والصنعة فلا بأسَ بذلك. وقيل: لا بأسَ أن يقوم الإمام بمَنْ سَالَمهُ منهم على مَنْ لم يُسَالمه من الحربيين ويأمرهم بالنكاية. وكذلك بأهل الذمّة، ويجوز استئجارُهم إذا جوّزْنَا الاستعانةَ بهم، وكذلك يجوز استئجار المسلمين من القاعدين والمتطوعين، وللإمام أن يرغبهم ويُعينهم بالسلاح وشِبهه وبما رآه. ويجوز استئجار العبد بإذْن سيّدهِ/ [س٧١] ويُستعان بالأحرار البالغين وبالمراهقين إنْ كانَ فيهم مُنّة.

رويَ أنّ رسول الله - ﷺ - كان يعرض غِلمان الأنصار في كل عام، فمرّ به غلام فأجازه في البعث، وعُرض عليه من بعدُ سَمُرةُ بنُ جُنْدب الفزاري (١) فردّه لصِغَرِ سنّه. فقال سَمُرة: يا رسولَ الله، لقد أجَزْتَ غُلاماً ورَدَدْتَني ولو صارَعْتُه لصرعتُه. قال: فصارِعْه إذن. قال سَمُرةُ: فصارعتُه فصرعتُه فأجازني رسول الله - ﷺ - في البَعْث (٢) .

= وفي شرح السير الكبير ٤: ١٤٢٢ برقم: ٢٧٥١ ولا بأس بأن يستعين المسلمون بأهل الشرك على أهل الشرك إذا كان حكم الإسلام هو الظاهر عليهم.

وما ذلك إلا نظير الاستعانة بالكلاب على قتال المشركين. أما إذا كان المشركون أهل منعة ولا يقاتلون تحت راية الإسلام فإنه يكره الاستعانة بهم. وقد رد النبي (ﷺ) ابن أبيّ حين عرض عليه أن يخرج فيقاتل معه قال: لا، إنا لا نستعين بمشرك.. قال محمد بن الحسن: وعندنا، إذا رأى الإمام الصواب في ألا يستعين بالمشركين لخوف الفتنة فله أن يردّهم. شرح السير الكبير ٤: ١٤٢٣ برقم: ٢٧٥٣ وانظر الأحكام السلطانية : ٦٠.

(١) سمرة بن جندب ت ٦٠ هـ = ٦٧٩م: سمرة بن هلال الفزاري، من الشجعان القادة، نشأ في المدينة، ونزل البصرة، فكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة، ولما مات زياد أقرّه معاوية عاماً أو نحوه ثم عزله، وكان شديداً على الحرورية، وله رواية عن النبي (ﷺ). الإصابة ٢: ١٣٠ برقم: ٣٤٦٧ والأعلام ٤: ١٣٩.

(٢) في السيرة النبوية ٢: ٥٨٨ في غزوة أحد قال ابن هشام: وأجاز رسول الله (ﷺ) يومئذٍ =

ويُستعانُ بالعبيدِ إنْ أذنَ سادتُهم. رويَ أنّ عبداً قاتلَ مع رسول الله – ﷺ – فقال له رسول الله: أأذنَ لك سيّدُك؟ قال: لا، قال: لو قُتلتَ لدخلتَ النار. قال سيّدهُ: هو حُرٌّ يا رسول الله. فقال رسول الله – ﷺ – الآنَ فَقَاتِلْ (١).

ويجوز تحريقُ أرضِ العدوّ وزرْعهم وعَقْرُ دوابِّهم إنْ لم يمكن أنْ يملكها المسلمون، وكذلك قطع شجرهم وتخريب بلادهم، وفِعلُ كلّ ما يُنْكيهم إذا رأى الإمامُ في ذلك صلاحاً واستعجالاً بإسلامهم أو ليضْعفَهم به فيعينُ ذلك على الظَّفر بهم عنْوَةً أو صُلحاً، فإنْ لم يَرَ ذلك/ [م٣٧] نظراً للمسلمين تَركَه.

وقد قطع النبي – ﷺ – كرومَ الطائف فكانَ سبباً لإسلامهم وأمر في بني النضير (٢) بقطْع نوعٍ من نخلهم يقال له: الأصفر يُرى نوى التَمْرةِ منه من وراءِ لحائها، وكانت النخلةُ أحبُّ إليهم من الوصيف فحزنوا له. ولَمّا كانَ ذلك عَظُم في صدور المسلمين فقالوا: يا رسول الله، هل لنا فيما قطعنا من أجْرٍ وعلينا فيما تركنا من وِزْرٍ؟؟

= سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج أخا بني حارثة وهما ابنا خمس عشرة سنة. وكان قد ردّهما فقيل له: يا رسول الله، إنّ رافعاً رامٍ فأجازه. فلما أجاز رافعاً قيل له: يا رسول الله، فإن سمرة يصرع رافعاً فأجازه.

(١) جاء في شرح السير الكبير ٤: ١٤٥٥ برقم: ٢٨٢٤ والعبد لا يغزو بغير إذن مولاه إذا لم يكن النفير عاماً، لأن خدمة المولى وطاعته فرض عليه بعينه. وعند النفير العام لا بأس بأن يخرج إلى ذلك المكان بغير إذن مولاه لأنه يدفع بخروجه عن نفسه وعن مولاه وعن سائر المسلمين.

(٢) انظر شرح السير الكبير ٤: ١٤٦٧ والأحكام السلطانية ٥٢، ٥٣ والسيرة النبوية ٢: ٦٨٣ أمر إجلاء بني النضير.

فأنزل الله عزّ وجل/ [س٧٢] ﴿ ما قطعتُم من لِينةٍ أو تركتموهما قائمةً على أصولها فبإذن الله وليُخْزي الفاسقين ﴾ (١) ويكره تحريقُ النَّخْل وتَغْريقُها إلاّ أنْ يكثر انتفاع العدوّ بها ويؤثّر فيهم فَقْدُها فيجوز ذلك (٢) .

ويجوز تَغْويرُ مِياههم وقطعُها عنهم وإنْ كانَ فيهم نساءٌ وأطفالٌ لأنّه أقوى الأسبابِ في ضَعْفِهم والظَّفَرِ بهم. وإذا استسقى منهم عطشان كانَ الأميرُ مخيّراً بين سقْيِه أو منعِه كما هو بين قَتْله أو تركه إذا أسَرهُ، ومَنْ قُتلَ منهم وأراه عن الأبصار، وقد أمر النبيّ - ﷺ - بإلقاء قَتْلَى بدرٍ في القليب، وهي البئر غير المطويّة (٣) ، ولا يُحْرقُ بالنّار منهم حيٌّ ولا ميّت. رويَ أنّ رسول الله - ﷺ - قال: (لا تعذّبوا عبادَ الله بعذابِ الله) (٤) وتحريق الأموات لا فائدة فيه من ألمٍ ولا نكاية، وفي المثَل: (الشاة المذبوحة لا تألم للسلْخ) وقد نُهي عن المُثْلة (٥) والحرْقُ أشدُّ منها.

---

(١) سورة الحشر: ٥٩: ٥ جاء في الأحكام السلطانية بعد ذكر هذه الآية ص ٥٣ ما يلي:
وفي «لينة» أربعة أقوال: أحدها: أنها النخلة من أي الأصناف كانت.. وهذا قول مقاتل.
والثاني: أنها كرام النخل. وهذا قول سفيان.
والثالث: أنها الفسيلة لأنها ألين من النخلة.
والرابع: أنها جميع الأشجار للينها بالحياة.

(٢) الأحكام السلطانية : ٥٣ وشرح السير الكبير ٤: ١٤٦٧ برقم: ٢٨٥٥.

(٣) انظر خبر إلقاء قتلى المشركين في القليب في السيرة النبوية ١: ٤٦٨ في أخبار وقعة بدر.

(٤) الحديث في فيض القدير: ١٢: ٦٤٤٢ برقم: ٩٨٣٠: لا تعذبوا بعذاب الله. عن ابن عباس. قال محققه: أخرجه البخاري ٦: ٣٠١٧ وأبو داود ٤: ٤٣٥١ والترمذي ٤: ١٤٥٨ والنسائي ٧: ٤٠٧١ وابن ماجة ٢٥٣٥ والحاكم ٣: ٥٣٩ وورد في سنن أبي داود ٤: ١٢٦ برقم: ٤٣٥١: حدثنا أحمد ابن محمد بن حنبل، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا أيوب عن عكرمة أن علياً عليه السلام أحرق ناساً ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لم أكن لأحرقهم بالنار، إن رسول الله (ﷺ) قال: لا تعذبوا بعذاب الله. وكنت قاتلهم بقول رسول الله (ﷺ) فإن رسول الله (ﷺ) قال: مَنْ بدّل دينه فاقتلوه. فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال: ويح ابن عباس.

(٥) الشاة المذبوحة لا تألم السلخَ. ذكره الميداني في مجمع الأمثال ٢: ٢١١ في الأمثال المولدة =

ولا يجوزُ حملُ رؤوس الكفَّارِ من بلدٍ إلى بلد، ولا إلى الولاة، وقد كرهه أبو بكر (١) وقال: هذا فعل أهل العجــم وبه قال سحنون. وقيل: يجوز ذلك (٢) .

وفي كتاب الشرف (٣) أنَّ أوَّلَ رأسٍ عُلِّــق في الإســـلام رأس أبي عزَّة (٤) ، جُعل في رمح وحُمِلَ إلى المدينة، ويحتملُ أن يكون ذلك إلى نظر الإمام على ما يراه بحسب الحال.

= جاء في السيرة النبوية ٢: ٦١١ في أخبار غزوة أحد أن الرسول (ﷺ) نهى عن المُثْلة. وفيه عن سمرة بن جندب قال: ما قام رسول الله (ﷺ) في مقام قط ففارقه حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المُثْلة.

(١) جاء في شرح السير الكبير ١: ١١٠ برقم: ١٠٥ وذكر عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أنه قدم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه برأس يناق البطريق. فأنكر ذلك. فقيل له: يا خليفة رسول الله، إنهم يفعلون ذلك بنا فقال: فاستنان بفارس والروم؟!! لا يحملُ إليَّ رأس، إنما يكفي الكتاب والخبر.

(٢) قال السرخسي في شرح السير الكبير: ١١٠ وأكثر مشايخنا رحمهم الله على أنه إذا كان في ذلك كبت وغيظ للمشركين أو فراغ قلب للمسلمين بأن كان المقتول من قواد المشركين أو عظماء المبارزين فلا بأس بذلك.

واستدل على ذلك بأن عبدالله بن مسعود حمل رأس أبي جهل إلى الرسول (ﷺ) ولم ينكر عليه ذلك. وجاء محمد بن مسلمة إلى رسول الله (ﷺ) برأس كعب بن الأشرف فلم ينكر عليه ذلك. انظر شرح السير الكبير، الموضع السابق.

(٣) الشرف الوافي: هو عنوان الشرف الوافي في الفقه والتاريخ والنحو والعروض والقوافي لشرف الدين إسماعيل بن أبي بكر اليمني المعروف بابن المقري المتوفى عام ٨٣٧هـ وهو كتاب عجيب لا يغني وصفه عن مشاهدته. طبع بمؤسسة دار العلوم بالدوحة بقطر بلا تاريخ بمراجعة عبدالله إبراهيم الأنصاري بعنوان «الشرف الوافي» ثم صحح العنوان في الطبعة الثانية إلى «عنوان الشرف الوافي».

(٤) أبو عزة ت ٣هـ = ٦٢٥م : عمرو بن عبدالله بن عثمان الجمحي، شاعر جاهلي، من أهل مكة، أدرك الإسلام وأسر على الشرك يوم بدر، فأتي به إلى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله، لقد علمت، مالي من مال، وإني لذو حاجة وعيال، فامنن عليَّ ولك ألا أظاهر عليك أحداً. =

ولا يجوز قتلُ النساء والصبيان في حرْبٍ ولا غيرها مالم يقاتلوا، فإنْ قاتلوا قُتلوا مُقْبلين وتُركوا مدْبرين. ورويَ أن النبيَّ - ﷺ - نَهى عن قَتْلِ الوُصَفَاء والعُسَفاء. فالوصفاءُ: المماليك، والعُسَفَاء (١) / [س٧٣] الأجراء. فَإنْ شكَّ في بلوغ الصبيِّ كشفَ عن مؤتَزَرِه واعتبر نبات شَعْر العانة منه.

وقيل: لا يُقتَلُ إلا المُحْتَلِمُ ولا يُقْتَلُ الشيخُ الفاني ولا الرهبانُ أهلُ الصوامع والدّياراتِ خارج المدينة، إلاّ أنْ يكون منهم ذو رأيٍ وتدبير ويُخشَى منه أذيّةٌ فيُقْتَلُ، وقد يكون الرأيُ أنكى من القتال (٢) . وقدْ قُتِلَ دريدُ ابن الصِّمة في حرب هوازن يوم حنين وقد جاوز مئة سنة من عمره، ورسول الله - ﷺ - يراه ودريدٌ يقول حين قُتل (٣) :

= فامتن عليه فنظم قصيدة يمدحه بها (السيرة ١: ٤٨٧) ثم لما كان يوم أحد دعاه صفوان بن امية سيد بني جمح للخروج فقال: إن محمداً قد منَّ عليَّ وعاهدته ان لا اعين عليه، فلم يزل به يطمعه حتى خرج وسار في بني كنانة واشترك مع عمرو بن العاص (قبل إسلامه) في استنفار القبائل، ونظم شعراً يحرض به على قتال المسلمين، فلما كانت الوقعة (احد) اسره المسلمون، فقال: يا رسول الله، امتن عليَّ، فقال النبي (ﷺ): لا يُلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين. لا ترجع إلى مكة تمسح عارضيك وتقول: خدعت محمداً مرتين وأمر به عاصم بن ثابت فضرب عنقه.

السيرة النبوية ١: ٤٨٦، ٤٨٧ (غزوة بدر) و٢: ٦١٦، ٦٣٦ (غزوة احد) والاعلام ٥: ٨٠.

(١) في السيرة النبوية ٢: ٩٠٠، ٩٠١ في يوم حنين: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض اصحابنا ان رسول الله (ﷺ) مرَّ يومئذٍ بامراةٍ قد قتلها خالد بن الوليد والناس متقصفون عليها فقال: ما هذا؟ فقالوا: امراةٌ قتلها خالد بن الوليد.. فقال رسول الله (ﷺ) لبعض من معه: ادرك خالداً فقل له: إن رسول الله (ﷺ) ينهاك ان تقتل وليداً او امراةً او عسيفاً.

(٢) انظر تفصيل القول في ذلك في شرح السير الكبير ٤: ١٥٥٤ والأحكام السلطانية ٤١ وما بعدها.

(٣) انظر الخبر في السيرة النبوية ٢: ٨٩٦ (يوم حنين في سنة ثمانٍ بعد الفتح).

أمـــرتهمُ أمــري بمنعــرج اللّوى فلم يستبينوا النُّصحَ إلا ضُحى الغدِ
فلمّا عَصوني كنتُ فيهم وقد أرى غـوايتـهم، إنّي إذن غـيـرُ مـهـتـدِ

وقد قِيلَ: يُقْتلونَ على الجُمْلَةِ. وعلى القول بتركهم فيتركُ لهم من أموالِ معاشهم قدْر الكفاية، فإنْ كانتْ أكثرَ أُخذَ مازاد على الكفاية.

وفي المترهّبات من النّساء قولان:

أحدهما: أسْرُهنّ إذ الرهبانيّة/ [م٣٨] تختص بالرجال.

والثاني: تركُهنّ لانقطاعهنّ عن أهل الكفر.

ولا يُقتلُ المعْتُوهُ ولا الأعمى ولا الزّمِن، إلاّ أن يكونَ الأعمى والزّمِنُ من ذوي الرأي ويُخْشى منهما إذاية فيُقْتلان. وقيل: لا يقتلان على حال (١) .

ولا يقتلُ المسلمُ أباه الكافرَ إلاّ أنْ يضطره أو يخافَه على نفسه، وسيردُ ذلك وبعضُ ماوردَ فيه في باب المبارزة إنْ شاء الله (٢) .

ومَنْ قَتَلَ مَنْ لم يُبَحْ له قتلُه، فإنْ كانَ في دَارِ الحربِ قبلَ أنْ يصيرَ مَغْنماً فليسْتغْفِرِ الله ولا شيءَ عليه، وإنْ كانَ بعد أنْ صار مغنماً فعليه قيمتُه يجعلُه في المغْنم.

ولا يُمْنَعُ الجيشُ من التبسّط في أطعمة العدوّ وما داموا في الحرب لحاجتهم إلى ذلك من القوتِ واللحم والشعير للعلوفة وشبه ذلك (٣) .

---

(١) انظر شرح السير الكبير ٤: ١٤١٥ باب من يكره قتله من أهل الحرب من النساء وغيرهم.

(٢) انظر شرح السير الكبير ١: ١٠٦ باب قتل ذي الرحم المحرم. وسيأتي التعليق على هذا الموضع في باب المبارزة.

(٣) انظر شرح السير الكبير ٤: ١١٧٤ باب ما يأخذه الرجل في دار الحرب فيكون أهل العسكر فيه شركاء وما لا يكون. والأحكام السلطانية ٥٤.

ويجوز ذبحُ الأنعام للأكْلِ ومنَعهُ بعضُهم، والجواز أكثرُ وأشهرُ. فعلى الجواز ينتفعُ ذابحُها بجلودها إنْ احتاج إليها، فإنْ استغنى عنها ردّها إلى المغنم، ويجوز الأكلُ لمن معه طعام ولِمَنْ لا طعامَ له، ولكن بقدْر الحاجة، فإنْ فضَل منه شيءٌ بعد الرجوع إلى دار الإسلام وتفرّقِ الجيشِ تُصُدِّقَ به إنْ كان كثيراً، ويُنتَفَعُ به إنْ كان يسيراً (١) .

قال ابن حبيب: من السنّة أنْ لا يُقْسَم مَطْعمٌ ولا مشْرب، ومَنْ أصابه أحقُّ به إلاّ أن يُواسي فيه أو يكون فيه فضلٌ عن حاجته، وله أنْ يُنْفِقَ منه إلى مُنْصَرَفه، فما فَضَل تَصدّق به، ولا يُنْفِقُه في أهله إلا التّافه مثلَ يسيرٍ من قَديدٍ وكعكٍ والحُجّة في ذلك حديثُ الجِراب (٢) :

رويَ أنّ رجلاً غنمَ جراب شحمٍ في مُحاصَر خيبر فنازعه فيه صاحبُ المغانم. فقال الرجلُ: لا والله حتّى أذهبَ به إلى أصحابي. فقال النبي - ﷺ - خلِّ بينَ الرجلِ وبين جِرابه يذهب به إلى أصحابه (٣) .

وقال ابن القاسم (٤) في الرجل يغنمُ الطعام والودَك من منازل الرّوم فيقدم على أهله فيأكله في القرار:

---

(١) شرح السير الكبير ٤: ١١٨٤ برقم: ٢٢٠٥.

(٢) السيرة النبوية ٢: ٨٠٢ وسنورد الحديث بتمامه في التعليق التالي.

(٣) الخبر بتمامه كما ورد في السيرة النبوية ٢: ٨٠٢ (نبذ من ذكر وادي القرى) قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن عبدالله بن مغفل المُزَنيّ قال: أصبتُ من فَيْء خيبر جراب شحْم فاحتملتهُ على عاتقي إلى رحلي وأصحابي قال: فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها، فأخذ بناحيته (لعلها بناصيته) وقال: هلم هذا نقسمه بين المسلمين، قال: قلت: والله لا أعطيكه؛ قال: فجعل يجاذبني الجراب. قال: فرآنا رسول الله (ﷺ) ونحن نصنع ذلك. قال: فتبسم رسول الله (ﷺ) ضاحكاً ثم قال لصاحب المغانم: لا أبالك، خل بينه وبينه قال: فأرسله، فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي فأكلناه.

(٤) ابن القاسم ١٣٢ - ١٩١هـ = ٧٥٠ - ٨٠٦ م: عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة =

لا بأس بذلك، وكرها له بيعه، وقال محمد: يُتَصَدَّقُ منه حتّى يبقى اليسير فيأكله مع أهله.

وليس على الناس استئمار الإمام في كُلّ ما وجدَ من بقرٍ وغنمٍ، ولو نَهاهم السلطان عن إصابة/ [س٧٥] ذلك ثم اضطروا إليه لكانَ لهم أكلُه. ولو أخذَ الناس حاجتهم من ذلك وفضلت فَضْلةٌ فَضَمّها صاحبُ المغنم لكان للنّاس أكلُ ذلك إنْ احتاجوا إليه، أو مَنْ احتاجَ منهم، ولا بأس بأكل طعام العدوّ قبل الدعوة فيمن يُدْعى منهم. ولا بأسَ بما لُتّ من السّويق بسَمْنهم وعَسَلهم، فإذا لم يقدروا على البقر بالذّبح أو النّحر فلهم عَقْرها ويأكلون ماذكّوا مما لم يبلغ المقاتل، والمعرقبةُ أسلم في ذلك إن أمكنهم، ولا يجوز النهبةُ في ذلك ولا بأسَ بخبز الرّوم. ولا يؤكَلُ خُبزُ المجوس ولا ما ذكّاه المجوس، وما كان ليس فيه ذكاة من طعامهم فليس بحرام.

قال ابنُ حبيب: والعلَفُ كالطّعامِ في الإباحةِ، فمَنْ خرجَ بفَضْلةٍ منه إلى دارِ المسلمين فلا بأسَ به إنْ كانَ يسيراً وإن كان ماله باب تصدّق به. وقد تقدّم ذكرُ ما يقدُم به على أهله من الطعام/ [م٣٩] ومَنْ جهل فباع شيئاً ممّا ذُكر ردّ ثمنَه إلى المغْنَم. وردَ ذلك عن عمر رضي الله عنه، والمشتري أعذر فيه من البائع، وَلْيُعْلِمْ صاحب المغانم، قال ابن القاسم: وإنْ باعَ الغازي طعاماً من غير غازٍ بطعامٍ غيره أو بِعلَفٍ فلا بأس به.

= العتيقي المصري ابو عبدالله، ويعرف بابن القاسم، فقيه، جمع بين الزهد والعلم والفقه. تفقه بالإمام مالك ونظرائه، مولده ووفاته بمصر. له المدونة: طبعت في ستة عشر جزءاً وهي من اجل كتب المالكية رواها عن الإمام مالك. عن الأعلام ٥: ٣٢٣.

وفي أصلنا: ابن القاسم وسالم (أو وسلام) وقد حذفناها لأنه ينقل عن ابن القاسم وحده عادة.

قال: ولهم أنْ يُضَحّوا بغَنَم العدوّ ولا يتعدّى ذلك إلى غَيْرِهِ من الملبوس والمركوب، فإنْ دعتْ إلى ذلك ضرورةٌ كان مُسْتَرجعاً إلى المغْنَم مع بقائه، فإنْ هلك احْتُسِبَ منْ سَهْمِ آخذه من المغْنم، وكذلك السلاح. قال مالك: ينتفعُ بذلك كلّه إنْ احتاج إليه حتى يُقْفِلَ ثم يردّه إلى المغنم، قال ابن القاسم/ [س٧٦] وإنْ كانت الغنيمةُ قد قُسِمتْ فأرى أنْ يبيعَ ذلك ويتصدّق بثمنه. وللمغانمِ أحكامٌ ليس هذا مَوْضِعَها.

البـــاب
الثاني عشر

فيما يجب عمله
عند إرادة اللقاء

فيما يجب عمله عند إرادة اللقاء

يجبُ على الأمير تقديمُ الطلائع لحومة العدوّ، والروّادَ لاختيار المنازل قَبْلَ المنازلةِ كما فَعل النبيّ - ﷺ - وسلم ليلةَ يوم بدر حين نزل على أدنى ماء بدرٍ إلى المدينة فقال له الحُبابُ بن المنذر: (١) يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزلٌ أنزلكه اللهُ ليس لنا أنْ نتقدّمَهُ أو نتأخّر عنه؟ أم هو الرأيُ والحربُ والمكيدةُ؟

فقال عليه السلام: بل هو الحربُ والرأيُ والمكيدةُ.

فقال: إنّ هذا ليس بمنزلٍ فانهضْ بنا حتّى نأتيَ أدنى ماءٍ من القوم فَنَنْزِلَه ونُغَوِّرَ ما وراءه من القُلُب ثم نبنيَ عليه حوضاً فنملأهُ، فنشرب ولا يشربون.

فاستحسَنَهُ رسول الله - ﷺ - وفعله (٢) .

وكذلك إن استطاعَ أنْ يأخذَ علوَّ الأرض ودَمِثَها ويجتنبَ الوعْرَ عند المدافعةِ والسبخةَ، ويتخيرَ أوفقها لقوائم خيله وأقدام رجاله. وفي رسالة

(١) الحباب بن المنذر ت ٢٠ هـ = ٦٤٠م : الحُبَاب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي ثم السَّلَمِيّ، صحابي من الشجعان الشعراء، يقال له: ذو الرأي. وهو صاحب المشورة يوم بدر أخذ النبي (ﷺ) برأيه. وكانت له في الجاهلية آراء مشهورة، وهو الذي قال عند بيعة أبي بكر يوم السقيفة «أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجَّب» فذهبت مثلاً. مات في خلافة عمر وقد زاد على الخمسين.

السيرة النبوية ١: ٤٥٤ (أخبار وقعة بدر) الإصابة ١: ٣١٦ برقم: ١٥٤٧ - الأعلام ٢: ١٦٣.

(٢) انظر الخبر في السيرة النبوية ١: ٤٥٤ .

عمر رضي الله عنه المذكورة قبل في باب وصايا أمراء الجيوش ما يقوّي ذلك ويشهدُ له.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذكرَ غزوة بدرٍ قال: وباتَ رسولُ الله - ﷺ - يدعو ويقولُ:

اللهمّ إنْ تهلكْ هذه العصابة لا تُعْبَدُ في الأرض، فلمّا طلع الفجر قال: الصلاة عبادَ الله (١) . فأقْبَلْنَا من تحت الشّجر/ [س٧٧] والحَجَفِ، فحثّ أو حضّ على القتال.

وقال عبد الرحمن بن عوف (٢) : عبّأنا رسولُ الله - ﷺ - ليلةَ بدرٍ ليوم بَدْر.

وروي أنّ رسول الله - ﷺ - قال: إن بيّتم فليكنْ شعارُكم: «حم لا يُنْصرون» (٣) .

---

(١) السيرة النبوية ١: ٤٥٩ وكتاب الأذكار ١٨٧ عن البخاري ومسلم.

(٢) عبد الرحمن بن عوف ٤٤ ق. هـ - ٣٢ هـ = ٥٨٠ - ٦٥٢م: عبد الرحمن بن عوف بن عبدعوف بن عبدالحارث، أبو محمد الزهري القرشي، صحابي من اكابرهم وهو أحد العشرة المبشرين، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم وأحد السابقين إلى الإسلام. قيل: هو الثامن. شهد بدراً وأحداً وجرح يوم أحد (٢١) جراحة وأعتق في يوم واحدٍ ثلاثين عبداً، كان يحترف التجارة، فاجتمعت له ثروة كبيرة. أوصى بألف فرس وخمسين ألف دينار في سبيل الله. توفي بالمدينة - الإصابة ٤: ١٧٦ برقم ١٥٧١ والأعلام ٣:٣٢١.

(٣) في السيرة النبوية ٢: ٧٠٨ وكان شعار أصحاب رسول الله (ﷺ) يوم الخندق وبني قريظة: حم، لا يُنصرون. وفي شرح السير الكبير ١: ٧٤ عن عائشة رضي الله عنها قالت: جعل رسول الله (ﷺ) شعار المهاجرين: يا بني عبدالرحمن، والخزرج: يا بني عبدالله، والأوس: يا بني عبيد الله. وقال لهم رسول الله (ﷺ) ليلاً في حرب الأحزاب. إن بُيّتم الليلة فشعاركم: حَم. لا ينصرون. وهو قسم للتأكيد أن الأعداء لا ينصرون.

وعن صُهيب (١) أنّ رسـول الله - ﷺ - كان يحرّك شـفتيه بشيءٍ يوم حُنين بعد صلاة الفجر. فقالوا: يارسول الله، إنّك تحرّك شفتيكَ بشيءٍ؟ فقال: إنّ نبيّاً ممن كان قبلكم.. ثم قال كلمةً معناها: أعجبته كثرةُ أمّته فقال: لن يروم أحدٌ هؤلاء بشيءٍ. فأوحى الله إليه أنْ خيّرْ أمّتك بين إحدى ثلاث:

١- إمّا أنْ أسلّط عليهم عدواً من غيرهم فيستبيحهم.

٢- وإمّا أنّ أسلّط عليهم الجوع.

٣- وإمّا أنْ أرسل عليهم الموت.

فـقـالـوا: أمّا الجـوع والعـدوّ فـلا طاقـة لنا بهـمـا، ولكن الموت/ [م٤٠] فأرسله الله عليهم فمـاتَ في ليلةٍ واحدةٍ سبعون ألفاً، وأنا أقول: اللهمّ بك أحاول وبك أصُول وأقاتل (٢) .

---

(١) صـهـيب ٣٢ ق. هـ - ٣٨ هـ = ٥٩٢ - ٦٥٩م: صـهيب بن سنان بن مـالك من بني النمر بن قاسط صـحابي من أرمي العرب سهماً، وله بأس، وهو أحد السابقين إلى الإسلام، كان أبوه من أشراف الجاهليين ولأه كسرى على الأبلة «البصرة» وكانت منازل قومه في أرض الموصل على شط الفرات مما يلي الجزيرة والموصل وبها ولد صهيب، فأغارت الروم على ناحيتهم فسبوا صهيباً وهو صغير فنشأ بينهم فكان الكن، واشتراه منهم أحد بني كلب وقدم به مكة فابتاعه عبدالله بن جدعان التيمي، ثم أعتقه، فأقام بمكة يحترف التجارة إلى أن ظهر الإسلام فأسلم «ولم يسبقه إلا بضعة وثلاثون رجلاً» فلما أزمع المسلمون الهجرة إلى المدينة كان صهيب قد ربح مالاً وفيراً من تجارته، فمنعه مشركو قريش وقالوا: جئت صعلوكاً حقيراً فلما كثر مالك هممت بالرحيل؟! قال: أرأيتم إن تركت مالي تخلّون سبيلي؟ قالوا: نعم. فجعل لهم ماله أجمع. فبلغ النبي (ﷺ) ذلك فقال: ربح صهيب، ربح صهيب. وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها. وتوفي في المدينة وكان يعرف بصهيب الرومي - الإصابة ٢: ٢٥٤ برقم ٤٠٩٩ والأعلام ٣: ٢١٠.

(٢) مسند أحمد ٤: ٣٣٢.

[وعن النبي - ﷺ - كان إذا غزا قال: اللهمَّ أنتَ عضُدي ونصيري بك أحاول وبك أصاول وأقاتل] (١) .

وعلى الأمير ترتيب جيشه في مصافّ الحرب وتعديل صفوفه وتفقُّدُها من الخَلَلِ، قال الله العظيم مُخاطباً لنبيِّه الكريم: ﴿ وإذْ غَدوتَ من أهلِك تُبوّىء المؤمنين مقَاعدَ للقتال ﴾(٢) وقال تعالى ﴿ إنّ الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنّهم بنيانٌ مرصوص ﴾ (٣) فيضمُّ كلّ شكلٍ إلى شكله، وكذلك الجنسُ والنوع إلى جنسه ونوعه، ويستكفي كلُّ جهةٍ مَنْ يراه أهلاً لذلك وكفئاً من أهلِ البَسَالة والسياسة/ [س٧٨] ويُمِدُّ الجهةَ التي يخافُ أن يميل العدوُّ إليها بعددٍ يكون ردءاً وعَوْناً لها ويجعل ساقةً (٤) تحمي ظَهْرَ العسكر لئلا يختاله العدو من خلفه.

وفي حديث أبي هريرةَ لما حَضَر فتح مكة قال: جعل النبيُّ - ﷺ - خالدَ بن الوليد على المَجْنَبةِ اليُمْنى والزُّبَيرَ (٥)

---

(١) في الأذكار ١٨٨ وفيه كما في سنن ابي داود والترمذي والنسائي عن انس: بك احول وبك اصول وبك اقاتل وعضدي اي عوني، وأحول: احتال او امنع وادفع.

(٢) آل عمران ٣/١٢١.

(٣) سورة الصف ٦١ : ٤.

(٤) السّاقة : مؤخرة الجيش

(٥) الزبير بن العوام ٢٨ ق.هـ - ٣٦هـ = ٥٩٤ - ٦٥٦م: الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي القرشي، ابو عبدالله، الصحابي الشجاع، احد العشرة المبشرين، اسلم وله ١٢ سنة وشهد بدراً وأحداً وغيرهما. وكان على بعض الكراديس في اليرموك وشهد الجابية مع عمر بن الخطّاب. وجعله عمر فيمن يصلح للخلافة من بعده، وكان موسراً كثير المتاجر. قتله ابن جرموز غيلةً يوم الجمل بوادي السباع على سبعة فراسخ من البصرة. عن الأعلام ٣-٤٣ وتهذيب التهذيب ٣: ٣١٨ والمعارف ٢١٩.

على المَجْنَبةَ اليُسْرى، واستعمل أبا عبيدة (١) على السـاقـةِ في بطن الوادي (٢) .

وكذلك يجعل لكلّ طائفةٍ رايةً يرجعون إليها ويتعارفون بها ويدافعون عنها، ويعدّ مع كلّ رايةٍ جماعةً ممّن يثقُ بهِ مِنْ أهْل الشّجاعةِ والدّين. فالراياتُ هي أرواحُ العَساكر (٣) ، وبثباتها ثَباتُ أفئدةِ الجماهر، ولذلك أمرَ النبيّ - ﷺ - في غزوة مؤتة (٤) أمراً فقال: إنْ أصيب زيدٌ (٥) فعلى الناس جعفر (٦) فإنْ أصيبَ جعفر فعليهم عبدالله بنُ رواحة الأنصاريّ

---

(١) أبوعبيدة : عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال الفهري القرشيّ، الأمير القائد فاتح الديار الشامية، والصحابي، أحد العشرة المبشرين. قال ابن عساكر: داهيتا قريش: أبوبكر وأبوعبيدة وكان لقبه أمين الأمة. ولد بمكة وهو من السابقين إلى الإسلام، وشهد المشاهد كلها. توفي في طاعون عمواس ودفن في غور بيسان. - عن الأعلام.

(٢) السيرة النبوية ٢ : ٨٥٧.

(٣) شرح السير الكبير ١: ٧١، ٧٢ والفرق بين اللواء والراية هو أن اللواء لا يكون إلا واحداً في كل جيش، أما الراية فهي علم لأصحاب القتال وكل قوم يقاتلون عند رايتهم، وإذا تفرقوا في حال القتال يتمكنون من الرجوع إلى رايتهم.

(٤) غزوة مؤتة كانت في جمادى الأولى سنة ثمان.

(٥) زيد ٨ هـ = ٦٢٩م : زيد بن حارثة بن شراحيل (أو شرحبيل) الكلبي، صحابي، اختطف في الجاهلية صغيراً، واشترته خديجة بنت خويلد فوهبته إلى النبي (ﷺ) حين تزوّجها فتبناه النبي (ﷺ) قبل الإسلام وأعتقه وزوّجه بنت عمته، واستمر الناس يسمّونه زيد بن محمد حتى نزلت آية (ادعوهم لآبائهم) وهو من أقدم الصحابة إسلاماً، وكان النبي (ﷺ) لا يبعثه في سريةٍ إلا أمّره عليها، وكان يحبه ويقدمه وجعل له الإمارة في غزوة مؤتة فاستشهد فيها. الإصابة ٢: ٢٤ برقم ٢٨٨٤ والأعلام ٢: ٥٧.

(٦) جعفر ت ٨ هـ = ٦٢٩م: جعفر بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم، صحابي، من شجعانهم، يقال له: جعفر الطيار، وهو أخو علي بن أبي طالب وكان أسنّ من علي بعشر سنين، وهو من السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية ثم قدم على النبي (ﷺ) وهو بخيبر سنة ٧ هـ وحضر وقعة مؤتة بالبلقاء من أرض الشام فنزل عن فرسه وقاتل حتى قتل. الإصابة ١: ٢٤٨ برقم ١١٦٢ والأعلام ٢: ١٢٥.

فلمّا دنَوا من العدوّ ورأوا كثرته وقوّته قالوا: نكتبُ إلى رسول الله - ﷺ - بخبر العدوّ وعَدده فيأمرُنا ويمدّنا. فقال **عبدالله بن رواحة**: ياقوم، إنَّ التي تكرهون التي خرجتم تطلبون - يعني الشهادة - وما نقاتلُ الناسَ بعددٍ ولا قوّة، وما نقاتلُهم إلاّ بهذا الدينِ الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فهي إحدى الحُسنيين إمّا ظهور وإمّا شهادةٌ (١) .

فوافقه الجيشُ كلُّه على هذا الرأي ونهضوا، فلمّا لقُوا المشركين اقتتلوا فقُتِلَ الأميرُ الأوّلُ مُلاقياً بصدره الرماح والرايةُ في يده، فأخذها **جَعْفَرُ ابن أبي طالب** واقتحم عن فرسه وقيلَ عقرها، فقاتلَ على الرايةِ حتّى قُطعتْ يمينُه فأخذ الراية بيساره/ [س٧٩] فقطعتْ فاحتضَنها بصدره حتّى قُتِلَ عليها -رضي الله عنه - وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين سنة، فقال النبيّ - ﷺ - أعاره الله جناحين يطير بهما في الجنّة حيث شاء - فأخذ الرّايةَ بعده **عبدُالله بن رواحةَ** فقاتلَ حتّى قُتِلَ ثمّ أخذَ الرّايةَ **خالدُ بنُ الوليد** فانحازَ بالمسلمين.

وإنّما القَصْدُ من هذا الحديث ثباتُ الرايةِ والمحافظةُ عليها وكيفَ السنّةُ في أمرها، وأنّ الذي يتولّى إمساكَها يَجبُ أنْ يكونَ مَنْ له إقدامٌ وشجاعةٌ وعلمٌ بالحربِ ودينٌ لا يفلّه خَوَرُ مريرة ولا عَوَرٌ بصيرة، فحيث انتقلت الرايةُ انتقلتْ معها القلوب، وإنْ أدبرت تبعها نَفَسُ الجلْدِ/ [م٤١] والهيوبِ، وذلك الذي حمل **زَيْدَ بنَ الخطّاب** (٢) في حرب

---

(١) انظر أخبار غزوة مؤتة في السيرة النبوية ٢: ٨٢٨ وما بعدها.

(٢) **زيد بن الخطاب ت ١٢ هـ = ٦٣٣م**: زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى القرشيّ العدويّ، أبو عبدالرحمن، صحابيّ، من شجعان العرب في الجاهلية والإسلام، وهو أخو عمر ابن الخطاب، وكان أسنَّ من عمر، وأسلم قبله وشهد المشاهد ثم كانت راية المسلمين في يده يوم اليمامة فثبت إلى أن قتل وحزن عليه عمر حزناً شديداً - الإصابة ٣: ٢٧ برقم ٢٨٩١ والأعلام ٣: ٥٨.

اليمامة (١) وبيده رايةُ خالدِ بن الوليد أنْ يصيح بأعلى صوته وقد غَلبَ العدوُّ على الرجال: أمّا الرجالُ فلا رجال، وأما الرجالُ فلا رجال، اللهمَّ إنّي أبرأ إليكَ من فِرار أصحابي، ومما جاءَ به مُسيلمةُ الكذّاب (٢) . وتقدّم بالرّايةِ في نَحْرِ العدوِّ وهوَ يُضاربُ بسيفهِ حتى قُتلَ - رحمه الله - فأخذها سالم مولى أبي حذيفة (٣) فقال المسلمون: يا سالم إنّا نخاف أنْ نؤتى من قِبَلكَ فقال: بئسَ حاملُ القرآن انا إذن إنْ أتيتُم من قِبلي. ونادت الأنصارُ ثابتَ بنَ قيس (٤) وهو يحملُ رايتهم: يا ثابتُ الزمها فإنّما مِلاكُ القومِ الرايةُ. فتقدّمَ سالمٌ فحفرَ برجلَيه حتّى بلغ انصافَ ساقيه، وفَعَلَ ثابتٌ كذلك فكانَ النّاسُ يتفرّقونَ يَميناً وشِمَالاً وهُمَا قائمان حتّى قُتلا - رحمهما الله - وبَقِيت الرايةُ بعد سالم حتى رفعها يزيدُ

---

(١) انظر خبر اليمامة في كتاب البلدان وفتوحها وأحكامها للبلاذري : ١٠٣.

(٢) مسيلمة الكذاب ت ١٢ هـ = ٦٣٣م: مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، ابو ثمامة، متنبىء، من المعمّرين، ولد ونشأ في اليمامة في القرية المسماة اليوم بالجبيلة بقرب العيينة بوادي حنيفة في نجد، وتلقب في الجاهلية بالرحمن. لما وفد بنو حنيفة على الرسول اتى معهم مسيلمة ولم يقابل الرسول (ﷺ) بل بقي خارج مكة. ولما عاد راسل الرسول على ان يكون شريكه وكان ذلك في أواخر سنة ١٠هـ وتوفي الرسول. فلمّا انتظم الأمر لابي بكر انتدب له اعظم قواده خالد بن الوليد فقضى عليه واستشهد عدد كبير من المسلمين - عن الأعلام ٧: ٢٢٦.

(٣) سالم ت ١٢هـ = ٦٣٣م: سالم بن معقل، ابو عبدالله، مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، صحابي، من كبارهم وكبار قرائهم، فارسي الأصل، اعتقته ثبيتة زوج ابي حذيفة صغيراً، وتبناه ابو حذيفة وزوّجه ابنة اخ له، وهو من السابقين إلى الإسلام كان يؤم المهاجرين الأولين قبل الهجرة في مسجد قباء وفيهم أبوبكر وعمر، شهد بدراً وكان معه لواء المهاجرين يوم اليمامة فاستشهد وقد سبقه مولاه أبو حذيفة فأوصى أن يدفن بجانبه - الإصابة ٣: ٥٦ برقم: ٣٠٤٦ والأعلام ٣: ٧٣.

(٤) ثابت بن قيس ت ١٢هـ = ٦٣٣م : ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الانصاري، صحابي كان خطيب رسول الله (ﷺ) وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد وفي الحديث: نعم =

ابنُ قيس (١) وكانَ بدْرياً فحملها/ [س٨٠] حتى قُتل - رحمه الله - وفي هذه الحرب صَعِد **عمّار بن ياسر** (٢) على صخرةٍ وقد قُطعت أذنه، وكان ينادي بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أمنَ الجنّة تفرّون، أنا عمّار بن ياسر هلمّوا إلى فعل ذلك. حتى فتح الله على المسلمين.

فهكذا يتخيّر الرجال، وبمثل هؤلاء يُقتدى، ولِشبْههم في الإقدام والدّين تملّك الرايات التي إليها يُرجَعُ وعنها يُدْفع ولا يصلحُ لذلك إلا مَنْ باع نفسه من الله سبحانه وعاملَ ببذلها مولاه عزّ وجلّ فنعْمَ المولى ونعْمَ النصير.

وفي هذه الحرب فائدةٌ يجب ذكرها، وذلك أنّ **بني حنيفة** لمّا أقبلوا نحو عَسْكر **خالد** سلّوا سيوفهم وساروا بها مسلولةً من بُعْدٍ، فقال **خالد** لأصحابه: أبشروا فإنّهم ما سلّوا سيوفهم إلاّ ليَهيبُوا بها، وإنّه لجبنٌ منهم

= الرجل ثابت. ودخل عليه النبي (ﷺ) وهو عليل فقال: اذهب الباس ربَّ الناس عن ثابت بن قيس بن شماس. قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة ابي بكر. الإصابة ١: ٢٠٣ برقم: ٩٠٠ والاعلام ٣: ٩٨.

(١) **يزيد بن قيس** : ذكره ابن هشام في السيرة النبوية ٢: ٨١٢ في تسمية الداريين (بني عبدالدار) الذين أوصى لهم رسول الله (ﷺ) من خيبر. ولم اجد اسمه في البدريين- الإصابة ٦: ٣٤٦ برقم ٩٢٩٧.

(٢) **عمار بن ياسر** ٥٧ ق. هـ - ٣٧ هـ = ٥٦٧ - ٦٥٧م : عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني، ابو اليقظان، صحابي من الولاة الشجعان ذوي الرأي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به هاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وكان النبي (ﷺ) يلقبه بالطّب المطيّب، وهو اول مَنْ بنى مسجداً في الإسلام (مسجد قباء بالمدينة) ولاه عمر الكوفة، فاقام زمناً وعزله عنها، وشهد الجمل وصفين مع علي وقتل في صفين وعمره ٩٣ سنة. الإصابة ٤: ٢٧٣ برقم: ٥٦٩٩ والاعلام ٥: ٣٦.

وفَشَل. فقال له مَجّاعة بن مُرارة (١) وكان من أشراف بني حنيفةَ أسيراً عند خالدٍ: كلاّ والله، ولكنها الهندوانيةُ والغَداةُ باردةٌ، وما فعلوهُ إلاّ لتسخنَ متونُها بحرِّ الشّمس. فلمّا دَنوا من المسلمين نادوا: إنّا نعتذر إليكم من سلِّنا سيوفَنا، والله ما سَلَلْنَاها تهيّباً منكم ولا جُبْناً عنكم، ولكنها الهُنْدوانية والغداة باردة فخفنا تحطّمها فأردنا أن تَسْخنَ متونُها إلى أنْ نبلُغَكم (٢) .

ففي هذا تنبيهٌ على حفظِ السيوفِ وتعليمِ الجرأة على مواطن الخوف، قال المعري (٣) :

وإنْ ضربتَ بِسيفِ الهندِ في ومَدٍ
فَسيــفُ إفْرَنْجةَ المخبوُّ للشّبَمِ (٤)

---

(١) مجاعة بن مُرَارة (ت ٤٥ هـ = ٦٦٥م): من سادة بني حنيفة، صحابي، كان بليغاً حكيماً من رؤساء قومه في اليمامة، أقطعه النبي (ﷺ) أرضاً بها. وتزوّج خالد بن الوليد ابنته. وله شعر فيه حكمة. عن الأعلام ٥: ٢٧٧ - والإصابة ٦: ٤٢ برقم ٧٧١٦.

(٢) انظر الخبر في كتاب «البلدان وفتوحها وأحكامها» للبلاذري: ١٠٤ وهو بألفاظ مقاربة.

(٣) المعري (٣٦٣ - ٤٤٩هـ= ٩٧٣ - ١٠٥٧م): أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري، شاعر فيلسوف، ولد ومات في معرة النعمان (جنوبي حلب) كان نحيف الجسم، أصيب بالجدري صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره، قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، رحل إلى بغداد سنة ٣٩٨هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر. وهو من أهل بيت علم كبير في بلده. ولما مات وقف على قبرة (٨٤) شاعراً يرثونه. كان يملي كتبه على كاتبه علي بن عبدالله ابن أبي هاشم. لم يأكل اللحم مدة خمس وأربعين سنة. من كتبه ديوان سقط الزند وديوان لزوم ما لا يلزم ورسالة الغفران ورسالة الملائكة والصاهل والشاحج وغير ذلك. عن الأعلام ١: ١٥٧.

(٤) من مقطوعة للمعري في بيتين هذا ثانيهما وقبله:

أعدْ لكلّ زمانٍ ما يشاكله ... إنّ البراقع يستثْبتْنَ بالشّبَم.

والشبم هنا كل خيطين في البرقع تشده المرأة إلى قفاها. والشبم في البيت الثاني هو البرد لزوم ما لا يلزم ٢: ٤٥٢.

والومد: الحرّ. والشبم: البرد.

ورويَ أنّ رسولَ الله - ﷺ - / [س٨١] قال يوم بدر: إذا أكثبوكم فارموهم، ولا تسلّوا السيوف حتى يَغْشَوْكم (١) .

وفي حرب اليمامة أيضاً كانت الأنصار ترى أنّ دخولَ الأعراب بينها والحشْوِ منَ الناسِ يوهِنُهم بالفِرار وإدخالِ الخَلَلِ، إذْ لا يخاف الحَشْوُ من العار ما يخافه الصميمُ وأهلُ الأحساب ويقولون: إنّما نؤتى من قِبَلِ هذا الحشْو، حتّى نادوا أميرهم: أخلِصْنا أخْلِصْنا فأمرهم بذلك، فنادت كلّ فرقةٍ بأهلها: الأنصار بالأنصار، والمهاجرون بالمهاجرين وطيّء بطيّء وغيرهم/ [م ٤٢] ومنهم مَنْ نادى: يا أهل القرآن، وآخرون ينادون: يا أهل سورة البقرة... فتجيبُ كلُّ فرقةٍ أهلها، وتَقْصِدُ كلّ طائفةٍ رايتَها.

وعلى الأمير بعد تثقيف عسكره بتقديم الثقات من أهل الحزم والجَلَد والدّينِ على المقدّمة والميمنةِ والميْسَرةِ والقلْب والساقة خلْفه. وعليه أنْ يتفقّدَهم ويتفقّدَ الصفوفَ والجماعاتِ ويطوف عليهم ويقوّي نفوسَهم بما يعِدُ به من النصر والظّفر ويرغّب في الثواب العاجل والآجل، وقد كان رسول الله - ﷺ - يفعل ذلك، فيبثُّ الأميرُ في القوم من يذكّرهم ويهوّنُ أمرَ العدوّ عليهم ويقلّله لتقوى بذلك النفوس، ولا يغفلُ الحذَر لئلا يتراخى الناس بالاستهانةِ بل يخلط التأنيس بالتحذير والابتسام بالتعبيس حتى

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ١: ٤٥٨ وفيه: قال ابن إسحاق: ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله (ﷺ) أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم وقال: إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل، واكتنفكم أي كثروا عليكم.

تكون الاستهانة بالجزالة والاستكانة في البسالة. ويذكرُهم انّ العدوَّ ناسٌ مثلنا وخَلْقٌ لا يزيدون علينا، ونحن اولى بالحقّ والثبات والصبر والدّين دِيننا والحجةُ الواضحة بأيدينا.

الباب
الثالث عشر

في القتال والمزاحفة وما قيل في التحرف والانحياز

في القتال والمزاحفة
وما قيل في التحرّف والانحياز

قال الله تعالى ﴿ ولمّا برزوا لجالوتَ وجنوده قالوا ربّنا افرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ (١) فهزموهم بإذن الله. وقال جلّ ذكره ﴿ وما كان قولهم إلاّ أنْ قالوا ربّنا اغفرْ لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحُسْنَ ثواب الآخرة والله يحبّ المحسنين ﴾ (٢) ورويَ أنّ النبيّ - ﷺ - قال: ثنتان لا تُردّان: الدعاء عند الأذان، والدعاء عند البأس حين يلحم بعضُه بعضاً. وفي رواية: وتحت المطر (٣) .

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٥٠ . وجالوت المذكور كان محارباً قوياً في زمن الملك داود، تحدى جيش بني إسرائيل أن يرسلوا له أحد أبطالهم لمقاتلته، فتطوع داود لذلك، وكان كل سلاحه نبلاً وخمسة حجارة. ورغم ذلك تقدم واثقاً من أنه على الحق، ورمى الحجر الأول فأصاب جالوت في جبهته فقتله ثم قطع رأسه. وردت القصة في القرآن الكريم في سورة البقرة وجاء فيها أن داود هو الذي قتل جالوت. وكان طالوت ملك بني إسرائيل قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويشاطره نعمته ويشركه في أمره فوفى له. ثم آل الملك إلى داود عليه السلام مع ما منحه الله من النبوة العظيمة. ولهذا قال تعالى: وآتاه الله الملك والحكمة «البقرة ٢/٢٥١»، أي الملك الذي كان بيد طالوت. والحكمة أي النبوة. - عن الموسوعة العربية العالمية ٨: ١٣٢.

(٢) سورة آل عمران ٣/١٤٧، ١٤٨.

(٣) الحديث في فيض القدير ٦: ٢٨٥٥ برقم: ٣٥٦٥ عن سهل بن سعد. قال محققه أخرجه أبوداود في سننه ٣: ٢٥٤٠ وابن حبان في صحيحه ١٧٦٤ وأخرجه الحاكم في المستدرك ١: ١٩٨ والبيهقي في سننه ٣: ٣٦٠ والدارمي في سننه ١: ١٢٠٠ وابن خزيمة في صحيحه ١: ٤١٩ عن سهل بن سعد. قال الحاكم: تفرد به موسى بن يعقوب ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع ١: ٣٠٧٩، والرواية بزيادة «وتحت المطر» في فيض القدير ٦: ٢٨٥٥ برقم ٣٥٦٦ وانظركتاب الأذكار للنووي: ١٨٨.

وقال – ﷺ – لا تَمنَّوا لقاء العدوّ واسألوا الله العافية، فإذا ألفيتموهم فاثبتوا واذكروا الله. ورويَ فاصبروا واعلموا أنّ الجنة تحت ظلال السيوف. فإذا صاحوا فعليكم بالصَّمْت والسكينة ولاتنازعوا فتفشلوا، فإذا أتوكم فاثبتوا وأكثروا ذكرَ الله وعليكم بالأرض وقولوا: اللهّم أنتَ ربُّنا وربُّهم، ونواصينا ونواصيهم بيدك وإنما يغلبهم لنا أنت، فاهزمهم لنا، وإذا غَشُوكم غضوا أبصاركم واحملوا على بركة الله (١) .

قال سحنون: ويكره الخفّةُ والطيشُ عند الفزعِ في العسكر، وينبغي التثبّتُ والسكّينةُ وتركُ العَجَلة حتّى يتيسّرَ الأمرُ. ورُويَ نحوه عن النبي – ﷺ – (٢)

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قالَ: اتّقوا الله وغضّوا الأبصار وأقلّوا الكلام وأميتوا الأصوات، فإنّه أولى بالوقار، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب/ [م٤٣] ريحكم، واصبروا إنّ الله مع الصابرين (٣) .

---

(١) انظر الأذكار للنووي ١٨٨ وكتاب الجهاد ١٣٩ برقم ١٠ وذكر أنه في البخاري ومسلم وانظر عيون الأخبار ١: ١٢٣. أما قوله «الجنة تحت ظلال السيوف» فقد ورد وحده في فيض القدير برقم ٣٦٤٢ عن أبي موسى (صحيح) وذكر محققه أنه في مسند أحمد ٤: ٣٩٦، ٤١٠، ٤١١ والحاكم في المستدرك ٢: ٧٠ والقضاعي في مسند الشهاب ١: ٨١ وابن عدي في الكامل ٢: ١٤٧ والديلمي في مسند الفردوس ٢: ٢٤٣٢ عن أبي موسى وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم.. وانظر كتاب الجهاد لابن ابي عاصم ١٣٨ برقم ٩ والحديث في البخاري ومسلم.. وهو في كتاب أمثال الحديث للرامهرمزي ص ١١٨ برقم ٨١ وقال: وهذا حث منه على الجهاد، ومعناه أن حامل سيفه في سبيل الله مطيعاً لله به يصل إلى الجنة.

(٢) في مسند أحمد ٥: ٢٠٢ عن كريب مولى عبدالله بن عباس عن أسامة بن زيد قال: كنت ردْف رسول الله (ﷺ) عشية عرفة، فلما وقعت الشمس دفع رسول الله (ﷺ) فلما سمع حطمة الناس خلفه قال: رويداً أيها الناس عليكم السكينة فإن البر ليس بالإيضاع.. وانظر إعراب الحديث ٥٨ برقم ١٥.

(٣) انظر كلاماً بهذا المعنى في العقد ١: ٩٧ وعيون الأخبار ١: ١٠٨ وجاء في شرح السير =

قال سحنون: يُكْرَهُ رفع الصوت عند اللقاء، وأمّا إنْ كانَ تحريضاً وإحياءً لقلوب المسلمين ونفعاً لهم فلا بأس به.

وقال النعمان بن مُقَرِّن: شهدتُ مع النبيّ - ﷺ - فكان إذا لم يقاتلْ أول النهار أخّر القتالَ حتّى تزول الشمس وتهبّ الرياح. وقد تقدّم هذا. ومن سماع ابن القاسم قال: قلتُ لمالكٍ: هل بلغَك أنّ النبيّ - ﷺ - كان يتخيّر قتال العدوّ بعد الزوال؟

قال: ما بلغني ذلك وما كان قتاله أهلَ خيبر إلاّ في أوّل النهار حين خرجوا بمساحيهم ومكاتيلهم وكذلك يوم أُحد.

ويُعلّم الرجلُ الباسل الشجاعُ بما يتشهّرُ به في الصفوف ويتميّز به في الجيوش، مثل ركوب الأبلق والأدهم في الشُقْر والشُهْب، وركوب الأشقر والأشهب في الدُهْم، ومنع ذلك أبو حنيفة. قال القاضي أبوالحسن الماوردي (١) : وليس لمنْع ذلك وجه (٢) .

= الكبير ١: ٨٩ برقم ٨١ ولا يُستَحبّ رفع الصوت في الحرب من غير أن يكون ذلك مكروهاً من وجه الدين، ولكنه فشل، فإن كان فيه تحريض ومنفعة للمسلمين لا بأس به.

(١) الماوردي ٣٦٤ - ٤٥٠هـ = ٩٧٤ - ١٠٥٨م: علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي، أقضى قضاة عصره من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد وولي القضاء في بلدان كثيرة ثم جُعل «أقضى القضاة» في أيام القائم بأمر الله العباسي، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال.. وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء. نسبته إلى بيع ماء الورد ووفاته ببغداد.

طبقات الشافعية الكبرى ٣: ٣٠٣ والأعلام ٤: ٣٢٧.

(٢) النقل عن الأحكام السلطانية : ٣٨.

ورويَ أن رسـول الله - ﷺ - قـال يوم بدرٍ: تسوّموا فإنّ الملائكة قد تسوّمت (١) . «والسمةُ: العلامةُ»

وكان **أبو دجانة** (٢) الأنصاريّ له عِصابةٌ حمراءُ إذا عصبها في الحرب علم الناسُ أنّه سيقاتلُ فيُبْلي وذلك بمحْضرِ النبي - ﷺ - ولا بأس بلباس الحرير للرجال عند اللقاء، أجازَهُ **مالكٌ** وغيرُ واحدٍ من صاحبٍ وتابعٍ وذلك لإرهاب العدوّ ومباهاته

وروي أن النبي - ﷺ - أعطى **الزّبيرَ** ساعدي ديباج ليقاتل بهما، ولبسَه **أنس بن مالك** في قتال فارس، قال **ابن القاسم**: ولا بأسَ أن يُتّخذ منه رايةٌ في أرض العدوّ (٣) .

---

(١) الحديث في الأحكام السلطانية ٣٨ وفي نهاية الأرب نقلاً عن نهاية ابن الأثير «سوّموا فإن الملائكة قد سوّمت» اي اعملوا لكم علامة يعرف بها بعضكم بعضاً - انظر نهاية الأرب ٦: ١٥٥.

(٢) ابو دجانة ت ١١هـ = ٦٣٢م: سماك بن خرشة الخزرجي البياضي الأنصاري المعروف بأبي دجانة، صحابي، كان شجاعاً بطلاً له اثار جميلة في الإسلام، شهد بدراً، وثبت يوم أحد، وأصيب بجراحات كثيرة واستشهد باليمامة. كانت له مشية عجيبة في الخيلاء يضرب بها المثل، نظر إليه النبي (ﷺ) في معركة وهو يتبختر بين الصفين فقال: هذه مشية يبغضها الله تعالى إلا في هذا المكان وكان يقال له ذو المشهرة وهي درع يلبسها في الحرب وذو السيفين لقتاله يوم أحد بسيفه وسيف رسول الله.. - الإصابة ٧: ٥٧ برقم ٣٧١ والاعلام ٣: ١٣٨، ١٣٩. وانظر اخباره في السيرة النبوية ٢: ٥٨٩ (غزوة أحد) والأحكام السلطانية : ٤٠.

(٣) جاء في شرح السير الكبير ٤: ١٤٢٥ برقم ٢٧٥٥ ان ابا حنيفة كره الديباج والحرير المصمت في الحرب، ولم ير ابو يوسف ومحمد رحمهما الله بذلك باساً في الحرب محتجاً بحديث ابي هريرة: «لا بأس بلبس الحرير والديباج في الحرب» فبظاهره اخذ وقال ابو حنيفة: تاويله المُلْحَم وهو ما يكون سداه غير حرير ولحمته حرير وهذا لا بأس بلبسه في الحرب وإن كان يكره لبسه في غير الحرب، فاما ما يكون سداه حريراً ولحمته غير حرير فلا بأس بلبسه في الحرب وغير الحرب، وعليه ايضاً يحمل حديث الزبير انّ له يلمق الديباج يلبسه في دار =

قال ابن حبيب: واستحبّ أهل العلم تسويم الخيل عند اللقاء لقوله سبحانه ﴿ يُمْدِدْكم ربكم بخمسة آلافٍ من الملائكة مُسَوّمين ﴾(١) أي مُعْلَمين. قال مجاهد: كانت خيلهم مُعْلَمةً في أذنابها بالصّوف الأبيض. وقال غَيْرُه: سيما الملائكة العمائم وسيما خيلهم الصوف الأبيض. وقيلَ: إنّ خيلَهم يوم بدر كانت بُلْقاً (٢) .

قال ابن إسحاق: لمّا قدِمَ المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب (٣) من غزوة بدر قال له أبو لهب (٤) : هلُم إليّ فعندك لعمري الخبرُ فجلسَ إليه فقال: يا بن أخي كيف كانَ أمرُ الله (٥) ؟ .

قال: والله ما هو إلاّ أنْ لقينا القومَ فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيفَ

= الحرب (اليلمق: القباء المحشو) فأما إذا كان حريراً مصمتاً فذلك مكروه على ما روي أن الوليد بن أبي هشام كتب إلى ابن مُحيريز يسأله عن يلامق الحرير والديباج في الحرب، فكتب إليه أن كن أشدّ ما كنت في الحرب كراهية لما نهى رسول الله (ﷺ) عند التعرض للشهادة.

(١) سورة آل عمران ٣: ١٢٥.

(٢) انظر السيرة النبوية ١: ٤٦٤ (أخبار وقعة بدر).

(٣) المغيرة بن الحارث ت ٢٠ هـ = ٦٤١م : المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، أبو سفيان الهاشمي القرشي، أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية والإسلام، وهو أخو رسول الله (ﷺ) من الرضاع، كان يألفه في صباهما، ولما أظهر النبي الدعوة إلى الإسلام عاداه المغيرة وهجاه وهجا أصحابه. أسلم عام الفتح وشهد فتح مكة ووقعة حنين وأبلى بلاءً حسناً. ورضي عنه النبي وصار يقال له: أسد الله وأسد الرسول. مات بالمدينة وصلّى عليه عمر. عن الأعلام.

(٤) أبو لهب ٢هـ - ٦٢٤م : عبدالعزى بن عبدالمطلب بن هاشم. من قريش، عم رسول الله (ﷺ) وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية، ومن أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام. كان غنياً عتياً، كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه، فآذى أنصاره وحرض عليهم، وقاتلهم، ونزل القرآن بذمه. كان أحمر الوجه مشرقاً فلقّب في الجاهلية بأبي لهب. مات بعد وقعة بدر بأيام ولم يشهدها. عن الأعلام ٤: ١٢.

(٥) في السيرة النبوية ٢: ٤٧٦ كيف كان أمر الناس؟ وانظرالخبر ثمة.

شاؤوا، ويأسروننا كيف شاؤوا، ولَقِينا رجالٌ بيضٌ على خيلٍ بلْقٍ بينَ السمـــاء والارض، واللهِ ما تليق شيئاً ولا يقـــوم لهــا شيءٌ. وكـان **أبو رافع** (١) مولى رسول الله - ﷺ - جالساً إلى طُنُبِ الخِباء، فرفع الطُّنبَ وقال: تلك واللهِ الملائكة.

وعن **محمد بن السائب** (٢) قال: لمّا كانت ليلةُ العقبةِ او ليلة بدر قال رسول الله - ﷺ - لِمَنْ معه: كيف تقاتلون؟

فقام **عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح** (٣) فاخذ الفَرسَ وأخذ النّبْلَ فقال: أيْ رسول الله، إذا كان القومُ قريباً من المئتي ذراعٍ أو نَحْو ذلك كان الرميُ بالقسيِّ، وإذا دنا القومُ حتّى تنالنا وتنالَهم الرماحُ كانت المداعمة بالرماح حتى تقصف، فإذا تقصفت وضعناها واخذ السيف فتقلّده واستلّه وقال/ [م٤٤] وكانت المجادلة بالسيوف.

قال: فقال رسول الله - ﷺ - بهذا انزلت الحرب، مَنْ قاتلَ فلْيقاتل قتالَ عاصم.

وقد تقدّم ذكر قتال العدوّ إذا تَرّسوا الأسارى والنساء والأطفال، فانظره هناك.

---

(١) **ابو رافع**: لرسول الله (ﷺ) موليان يعرف كل منهما بابي رافع، فأحدهما قبطي، اختلف في اسمه ولم يشهد بدراً. اما ابو رافع الآخر فقد كان عبداً لابي احيحة سعيد بن العاص بن امية فقد أسلم وهاجر. الإصابة ٧: ٦٥، ٦٦ برقم ٣٨٩ ورقم ٣٩٤.

(٢) في الأصل: الحسن بن السائب وهو غلط والصواب ما أثبتناه. والمقصود به محمد بن السائب الكلبي.

(٣) **عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح** : صحابي جليل، ابلى بلاء حسناً، أبو سليمان، من السابقين الأولين، شهد بدراً وأحداً مع رسول الله (ﷺ) واستشهد يوم الرجيع، ورثاه حسان ابن ثابت. الإصابة ٤: ٣ برقم ٤٣٤٠ والأعلام ٣: ٢٤٨ والسيرة النبوية ٢: ٦٦٦ وما بعدها أخبار يوم الرجيع ويومها أطلق على عاصم: حميَ الدَّبر.

ولا يجوزُ الانصراف من صفّ القتال إنْ كانَ فيه انكسار، وإنْ لم يكنْ فيجوزُ أن يكون متحرِّفاً لقتالٍ في استراحةٍ أو مكيدة، ومتحيِّزاً إلى فئة يتقوّى بها ويتظافر معها، قال الله تعالى: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا إذا لقيتُم الذين كفروا زحفاً فلا تولّوهم الأدبار، ومَنْ يولِّهم يومئذٍ دُبُرَهُ إلاّ مُتَحرِّفاً لقتالٍ أو متحيزاً إلى فئةٍ فقد باء بغضبٍ من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير ﴾(١) **الزحف**: الدنوّ، **والمزاحفةُ**: التداني والمعنى – والله أعلم – الأمر بأنْ لا يفرّ المؤمنون من الكفّار إذا تدانى بعضُهم من بعضٍ عند القتال.

وقيل: المعنى أن لا فرار عند المواقعة وأنْ لانفارَ عند المشاقة وقيل: إنّ هذا على العموم، وقيل: إنّه على الخصوص، وتولية الأدبار كناية عن الهزيمة. والمتحرِّف والمتحيِّز قريب في المعنى. وذلك القصدُ إلى جهةٍ يغلب على الظنّ المعونة فيها والتقوّي بها.

وقال **الضحاك** (٢) : المتحرِّف: المتقدّم من أصحابه ليظفر بعورة العدوّ. والمتحيِّز: الراجع إلى أميره وأصحابه. وقيل: إنّما التحرّف والتحيّز في مراوغة الحَرْب، فإنّها طلب وهرب وكرّ وفرّ. والله أعلم.

ومعنى: باء بغضبٍ من الله: رجع به وحمله. وأمّا التحيّز إلى فئة فسواء قربت الفئة أو بعدت.

---

(١) سورة الأنفال ٨: ١٥، ١٦.

(٢) الضحاك ت ١٨٠ هـ = ٧٩٦م: ربما كان يريد به الضحاك بن عثمان بن عبدالله الأسدي الحزامي المدني القرشي، علاّمة قريش بأخبار العرب وأيامها وأشعارها في المدينة. كان من أكبر أصحاب مالك بن أنس.

رويَ أنَّ عمَر رضي الله عنه قال لأهل القادسية حين انهزموا: أنا فئةٌ لكلِّ مسلم (١) ، ولم ير ذلك مالك رحمه الله. فلا يجوز الانهزام من المثْلين فما دون ذلك، وقد كان الله تعالى فرض في أوّل الإسلام قتال عشرةٍ من الكفرةِ فقال سبحانه: ﴿ يا أيّها النبيَّ حرّض المؤمنين على القتال، إنْ يكنْ منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإنْ يكنْ منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا ﴾ (٢) ثمّ خفّف ذلك لقوّة الإسلام وكثرة أهله، وفرض على كلّ رجل قتال رجلين بقوله تعالى: ﴿ الآنَ خففَ الله عنكم وعلمَ أنَّ فيكم ضَعْفاً، فإنْ تكن منكم مئة صابرةٌ يغلبوا مئتين وإنْ يكنْ منكم ألفٌ يغلبوا ألفين بإذن الله، والله مع الصابرين ﴾ (٣) فَحَرُم الانهزام من المثلين فأقلّ وهو مذهبُ مالك وأصحابه، وأنّ الفرارَ من الكبائر ونَحْوه.

وعن ابن عبّاس أنّ الآيةَ محكمةٌ وحكمُها باقٍ إلى اليوم وعن الحسن وقتادة والضحاك أنها مخصوصة بأهل بدرٍ والله أعلم. ويجوز إذا زادوا على ذلك ولم يجدوا إلى المصابرة سبيلاً.

رويَ أنَّهُ لما رجعَ جيشُ مؤتة تلقّاهم رسولُ الله - ﷺ - فجعل المسلمون يَحْثُون التراب عليهم ويقولون: يا فُرّار ورسول الله - ﷺ - يقول: ليسوا بالفُرّار ولكنّهم الكُرّار إنْ شاء الله (٤) .

---

(١) الأحكام السلطانية: ٤٥ ونهاية الأرب ٦: ١٦٠.

(٢) الأنفال ٨: ٦٥.

(٣) الأنفال ٨: ٦٦.

(٤) انظر الخبر في السيرة النبوية ٢: ٨٣٦ وورد بعد هذا الكلام في السيرة قوله (ﷺ) : أنا فيئكم والصواب: أنا فئةٌ لكم إذ لا معنى للفيء في هذا السياق. وعنه اقتبس عمر بن الخطاب قوله المذكور أعلاه. ومعناه: أنه لا يجوز للمقاتل أن يترك القتال ويولّي إلا لاستراحةٍ أو لمكيدة ثم يعود إلى القتال وإما أن يتحيز إلى فئة أخرى يجتمع معها على قتالهم سواء قربت الفئة أو بعدت. وانظر الكلام في ذلك في الأحكام السلطانية ٤٥ ونهاية الأرب ٦: ١٦٠.

واختُلفَ في المعتبر بالمثليّة: هل النظر إلى صورة العدد إذ هو ظاهر الآية وبه قال ابن القاسم وجمهور أصحاب/ [م٤٥] مالك. أو النظر إلى القوّة والجلَد إذْ هو المقصودُ وعليه المعوَّلُ في المدافعة. رواه ابن الماجشون (١) . وهذا إنْ عُلمت القوة والجلَدُ، فإنْ جُهلَ ذلك اعْتُبرَ العددُ بلا خلافٍ واختُلف فيمَنْ عجزَ عن مصابرة اثنين وأشرف على القتل إنْ ثبتَ، هل يجوز انهزامه؟ فقالت طائفةٌ: لا يجوز وإنْ قُتلَ للنصّ على ذلك. وقالت طائفةٌ: يجوز ناوياً التحرّف والتحيّز على قول عمر: أنا فئةٌ لكل مسلم، فيسلم من القتْل. ومن تأثّم خلاف النصّ فلن يعجز عن النيّة إن عجزَ عن المصابرة.

وقال أبو حنيفة: النصُّ منسوخٌ والاعتبارُ به التفضيل، وعليه أنْ يقاتلَ ما أمكنه وينهزمَ إذا عجزَ عن المصابرة وخاف القتل. وفي هذا المذهب على هذا القول أنّ الانهزامَ لا يكونُ إلاّ بعد القتال لقوله: يقاتل ما أمكنهُ وينهزم إذا عجز عن المصابرة فلا ينهزم على ذلك ولا يجوز له إلاّ بعد القتال وإلاّ فلا وبذلك يتبيّن العجز.

ثم النظر في الانهزام يحتمل وجوهاً:

منها انّه لا يقطع بالنجاة في انهزامه ولا يظنّ به السلامة فلا يجوز إذ لعلّه يُقْتَلُ مُدْبراً ولا ينجيه الفرار

ومنها انه قد يكون مع جماعةٍ يَجْني عليها بفراره الخلَلَ والفشَلَ إنْ فرَّ عنها وحدَه فيكون سبباً لقتلهم، فإنّ الجماعة بعضها ببعضٍ ولذلك

---

(١) ابن الماجشون ٢١٢ - ٨٢٧م : عبدالملك بن عبدالعزيز بن عبدالله التيمي بالولاء، ابو مروان، ابن الماجشون فقيه مالكي فصيح، دارت عليه الفتيا في زمانه وعلى ابيه قبله، اضرّ في اخر عمره وكان مولعاً بسماع الغناء في إقامته وارتحاله. عن الأعلام ٤: ١٦٠.

قال الله تعالى: ﴿ كأنهم بنيان مرصوص ﴾ (١) وقال النبيّ – ﷺ – «يدُ الله على الجماعة ما ائتلفتْ قلوبُهم» (٢) فَمَنْ فرّ عرّض الباقين للقتل وذلك لا يحلّ.

ومنها أنْ تفرَّ الجماعةُ بأسرها للعجز عن المصابرة، فإنْ طَمِعُوا في النجاة جاز على وجه التحيّز والامتناع وإنْ لم يطمعوا في النجاة لم يجز الفِرار (٣) .

وأمّا إنْ انحاز بالجمع قائده أو أميره أو رئيسٌ يُجْتَمعُ إليه فذلك جائزٌ كما فعلَ خالدُ بن الوليد يوم مؤتة لمّا قُتلَ الأمراء قبله فلم يعنّفْه النبيّ – ﷺ – لأنّ فعل ذلك على وجه النظر والحكم لغلبة الظنّ بالسلامة والله أعلم (٤) .

وأمّا ما يفعله أهل الفشل والخوَر والخِذْلان في هذا الزمن من الانهزام عند رؤية العدوّ قلّ أو كثُر قبلَ التلبّس بالقتال ومدافعة الأبطال وتعريض الضّعفاء لِمَا قد جَرَتْ به العادةُ الرّذْلةُ من القَتل والأسْر فهذا ما

---

(١) سورة الصف ٦١: ٤.

(٢) ورد الحديث في شرح السير الكبير: يد الله مع الجماعة فمن شذّ شذّ في النار. شرح السير الكبير ١: ٣٣.

(٣) انظر هذه الأحكام في نهاية الأرب ٦: ١٦٠ وما بعدها والأحكام السلطانية ٤٥. وفي شرح السير الكبير ١: ١٢٣ – ١٢٥.

(٤) يوم مؤتة استشهد أولاً زيد بن حارثة ثم استشهد جعفر بن أبي طالب ثم استشهد عبد الله بن رواحة «ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجلٍ منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم، وحاشى بهم، ثم انحاز وانحيز عنه، حتى انصرف بالناس». انظر السيرة النبوية ٢: ٨٣٣ (ذكر غزوة مؤتة).

لا يجوز لمسلم بوجهٍ، وفيه مَعَرَّةُ الحال وسوء مظنَّة المآل والله يعصمُ مما يَصمُ. ولم يرَ مالكٌ - رحمه الله - ما جاء عن عمر رضي الله عنه من التحيّز إليه في قوله: أنا فئةٌ لكلِّ مسلمٍ وقال: الأحبّ أنْ لا يتحرّفوا إلى فئتهم إلاّ عن خَوْف الهلكة وقاله عبد الملك.

قال ابن المواز: وإنما الانحيازُ إلى أولى جيشه الأعظم الذي دخل معه، وربّما كانت سَرِيَّةٌ دونَ سريَّةٍ فتنحاز المقدمة إلى التي خلفها ثم ينحازوا عن أكثرَ من مِثليهم إلى فئتهم حتّى يبلغَ الانحيازُ إلى الجيش الأعظم وواليهم الأكبر.

وأمّا الانحيازُ عن المثلين وفي الغلبة طمعٌ فلا يجوز، ولا يمكن لأمير الجيش ما يكون للسرايا من الانحراف والتولّي، ولهم الثبوتُ لأكثرَ من المثلين بأضعافٍ كثيرة.

قيل لمالك: فإنْ علموا أنهم مقْتُولون إنْ ثبتوا؟ قال: أحبُّ إليَّ/ [م٤٦] أن ينصرفوا إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً، وإنْ لم يجدوا فلهم أن يقاتلوا حتّى يُقْتلوا، فمن احتسب نفسَه على الله فهو الشهيد، ومَنْ ثبتَ حتى قُتلَ وهو يجدُ مُنْصرَفاً وقد علم أنّه إنْ ثبتَ قُتلَ فَيُرْجى له أفضلُ الشهادة وإنّما هي لِمَنْ أيقَنَ بالموت قبلَ أن يموت فاحتسب نفسه وآثرَ لقاء الله، كما فعل الرجلُ الذي كانت بيده تَمراتٌ يأكلهنّ فقال: ما بيني وبين الجنّة إلا هذه التَمرات، فرمى بها من يده وقاتَلَ حتى قُتِلَ (١) .

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ - ثلاثةٌ يحبّهم الله حباً

(١) هو عمير بن الحمام في غزوة بدر. انظر السيرة النبوية ١: ٤٥٩.

شديداً.. الحديث، وفيه: ورجلٌ في فئةٍ في سبيل الله فانهزموا فصبرَ واستقبلَ العدوَّ بنحره وقال: اللهمَّ أنّي قد اخترْتكَ اليوم. فيقول الله تعالى للملائكة: ماذا يريد عبدي - وهو أعلمُ - انهزمَ أصحابه وبقي، فيقولون: ربَّنا يرجو رحمَتك ويخشى عذابك. فيقول: ما كنتُ لأعذّبَه وقد جادَ لي بنفسه، أُشهدكم أنّي قد غَفَرْتُ له ذنوبه وأبحتُه الجنة بحذافرِها، ينزل حيث شاء منها (١).

وأمّا مَنْ حملَ وحدَه على الجيش فقال **أشهب عن مالك**: أخاف أنْ يكون ألقى بيده إلى التّهلكة. وليس ذلك سوى مَنْ كانَ في الجيش الكثيف فيَحْمِلُ وحدَه مضطراً فهذا خفيف والآخر غيرُ مضطرٍ. وأمّا مَنْ يحملُ يريدُ السُّمْعةَ والتحدُّثَ في الشجاعة فلا، والشهيدُ مَنْ احتسبَ نفسه على الله.

وفي كتاب **ابن حبيب**: لا بأس أنْ يحملَ الرجلُ وحده على الكتيبة والجيش إذا كان ذلك لله، وكانت فيه شجاعةٌ ونجدةٌ وقوّة.

ومثل ذلك قال **ابن القاسم**: أنْ يحملَ على عشرة الاف إذا كانت غلبته قوةً وليس ذلك من الإلقاء إلى التّهْلكة، وإنما نَزَلَتْ ﴿ ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التّهْلكة ﴾(٢) في ترْك الإنْفَاق في الجهاد. قال ابو ايوب

---

(١) في فيض القدير ثلاثة احاديث بهذا المعنى عن أبي ذر ٦: ٢٨٤٥ برقم: ٣٥٤٩ وهو صحيح وعن ابي ذر ٦: ٢٨٤٦ برقم: ٣٥٥١ وعن ابن مسعود ٦: ٢٨٤٧ برقم: ٣٥٥٢.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٩٥، جاء في زاد المسير ١: ٢٠٢، ٢٠٣: هذه الآية نزلت على سبب فيه قولان: احدهما: ان النبي (ﷺ) لما أمر بالتجهيز إلى مكة قال ناس من الاعراب: يا رسول الله بماذا نتجهز فوالله ما لنا زاد ولا مال. والثاني ان الانصار كانوا ينفقون ويتصدقون فاصابتهم سنة فامسكوا فنزلت. وفي المراد بالتهلكة ههنا اربعة اقوال: =

الأنصاري:(١) نـزلـتْ حين أردْنـا أن نقـيم في أمـوالنـا ونُصْلحـهـا وندعَ الجـهاد بـعدمـا نصـرَ اللهُ نبيَّه وظهر الإسـلام فـأنزل الله تعالى: ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ (٢) .

وقال أشهب في قومٍ نفروا في طلب العدو، فأدركهم واحدٌ من المسلمين أن يحـمِلَ عليـهم إنْ احـتسبَ نفسه ولم يُردِ الفـخـرَ فـذلك حـسنٌ وإلاَّ فلينحرف إلى أصحـابه وقـال عن مالك: مَنْ لقيَ العدوَّ عـشـرةً أو أكـثـر أيقاتِلُهم أو ينصرفُ إلى عسكره إذا أمكنه (٣) ؟

قـال: ذلك واسـعٌ، وأحبُّ إليَّ أن ينصـرفَ إنْ لم تكنْ فـيـه قـوةٌ على قتالهم.

قال محمدٌ: ومَنْ أحاط به العدوُّ وهو وحـدَه ويُدْعى إلى الأسْرِ فله أنْ يقاتلَ وله أن يَستْأسِر.

قال ابن القاسم: ولا يحلُّ للنَّاسِ إنْ فرَّ إمامُهم أنْ يفرّوا من مثلي

= أحدها : أنها ترك النفقة في سبيل الله.
والثاني : أنها ترك القعود عن الغزو شغلاً بالمال.
والثالث: أنها القنوط من رحمة الله.
والرابع : أنها عذاب الله.

(١) أبو أيوب ت ٥٢ هـ = ٦٧٢م: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة من بني النجار، صحابي، شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد، وكان شجاعاً صابراً تقياً محباً للغزو والجهاد، عاش إلى أيام بني أمية وكان يسكن المدينة، فرحل إلى الشام، ولما غزا يزيد القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية صحبه أبو أيوب غازياً فحضر الوقائع، ومرض، فأوصى أن يوغل به في أرض العدو. فلما توفي دفن في أصل حصن القسطنطينية. عن الأعلام.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٩٥

(٣) جاء في شرح السير الكبير ٤: ١٥١٢ برقم: ٢٩٦٢ ولو أن مسلماً حمل على ألف رجلٍ وحده فإن كان يطمع أن يظفر بهم أو ينكأ فيهم فلا بأس بذلك لأنه يقصد بفعله النيلَ من العدو.

عدوّهم. قال: ومَنْ فرَّ من الزّحف عن المِثْلين لم تُقْبَلْ شهادتُه إلاّ أنْ يتوب فتظهر توبتُه. وفي كتاب ابن سحنون قال عقبة بن عامر: الفرار الأعظمُ من الزّحف إذا التقت الفئتان. وقال أهل العراق: لا يفرّ اثنا عشر ألفاً من العدوّ وإنْ كثُر لقول النبيّ - ﷺ - لن تُغلبَ اثنا عشر ألفاً من قِلّةٍ/[م٤٧] (١) .

وقال سحنون: لا أعرف هذا، وقد كان المسلمون يوم اليرموك ثلاثين ألفاً والعدوُّ مئةُ ألفٍ. فرأى أبو عُبيدة وخالدٌ القتالَ، وقال غيرهما: ننحاز إلى فئةٍ ونشاور أميرَ المؤمنين. ثم عزم أبو عبيدة على القتال.

وروى ابنُ وهب عن ربيعة (٢) : وسُئلَ عن أهل مدينةٍ حاصرها العدوّ فَضعُفوا عن القتال وليس عندهم ما يكفيهم، أيخرجون فيُقاتلون أم يصبرون حتّى يموتوا جوعاً أو يُقْتلوا؟ قال: بل يخرجون أحبُّ إليّ.

وقال في كتاب ابن سحنون: وإنْ بلغ بهم الجوعُ والعطش مبلغاً لا قوّة لهم به على القتال، فإن طمعوا في الأسْرِ نجاةً ومعاذةً وقد عُرِف ذلك من العدوّ في غيرهم فليخرجوا إليهم، وإنْ كان القتلُ فليصبروا للموت جوعاً وعطشاً. وقيل: هذا إذا غلب على الظنّ أن إحدى المِيتتين أخفُّ وأهونُ

---

(١) شرح السير الكبير ١: ١٢٤ برقم ١٢٤ وانظر قوله (ﷺ) : لن نغلب اليوم من قلة، في السيرة النبوية ٢: ٨٩٠ (يوم حنين).

(٢) ربيعة ت ١٣٦ هـ = ٧٥٣ م: ربيعة بن فروخ التيمي بالولاء المدني، أبو عثمان، إمام حافظ فقيه مجتهد، كان بصيراً بالرأي فعرف بـ «ربيعة الرأي» وكان من الأجواد وبه تفقه الإمام مالك. وكان ربيعة صاحب الفتوى بالمدينة - تهذيب التهذيب ٣: ٢٥٨ والأعلام ٣: ١٧.

طُلبتْ. كأهل مركبٍ قاتَلهم العدوُ فأضرمَ النارَ عليهم فلهم الفرارُ من الحَرْقِ إلى الغرق لأنه أخفُ موتاً والله أعلم (١) .

ويجوزَ عَقْرُ خيل العدوّ إذا قاتلوا عليها، ومنع من ذلك بعضُهم، وقد عَقَرَ حنظلةُ بنُ الراهبِ (٢) يوم أحد فرسَ أبي سُفيانَ بن حربٍ واستعلى عليه ليقتلهُ فبدر إليه ابن شعوب (٣) وهو يقول:

لأحْمِينَّ صاحبي ونفسي ... بطعنةٍ مثل شِعاع الشمسِ

ثم طعن حنظلةَ فقتلَهُ واستنقذ أبا سفيان فخلص وهو يقول:

ومازالَ مُهْري مَزْجرَ الكلبِ منهمُ ... لَدُنْ غُدْوةٍ حتّى دنَتْ لغروبِ
أقاتلُهم طراً وأدعو بغالبٍ ... وأدفعهم عني برُكْنٍ صليبِ
ولو شئتُ نَجّتني حصانٌ طمرّةٌ ... ولم تجْعل النعْماء لابن شَعوبِ

فجاوبه ابنُ شَعوب حين لم يشكره فقال:

ولولا دفاعي يابن حربٍ ومشهدي ... لألفيتَ يوم النَعْف غيرَ مجيبِ
ولولا مكرُ المهر بالنَّعْف قرقَرتْ ... ضباعٌ عليه أو ضراء كليب (٤)

---

(١) انظر تفصيل القول في ذلك في كتاب شرح السير الكبير ٤: ١٥٠٩ برقم: ٢٩٥٥ وما بعدها.

(٢) حنظلة بن الراهب هو حنظلة بن أبي عامر، أنصاري من الأوس ويعرف بغسيل الملائكة كان أبوه في الجاهلية يعرف بالراهب واسمه عمرو أو عبد عمرو ولم يسلم وأسلم حنظلة وحسن إسلامه واستشهد في أحد. عن الإصابة ٢: ٤٤ برقم: ١٨٥٩ والسيرة النبوية ٢: ٥٩٥.

(٣) ابن شعوب هو شداد بن الأسود كان من أبطال المشركين يوم أحد وقد دافع عن أبي سفيان ابن حرب وكان على وشك أن يقتل على يد حنظلة بن الراهب في أحد. انظر الخبر في السيرة ٢: ٥٩٥، ٥٩٦.

(٤) انظر الخبر مع الشعر في السيرة النبوية ٢: ٥٩٥، ٥٩٦.

وأما إذا أراد المسلم عَقْر فرس نفسِهِ فلا يجوز له مادامَ فيه قوّةٌ ورجاء لما في الفـرسِ من المُنَّة والقـوّة لفـارسِهِ في الدفـاع به والكرّ والفـرّ إلاّ أنْ يعلمَ أنّه قد أُحيط به ولا منجى له عليه، ويخاف أن يتقوّى به العدوّ، فيجوز له ذلك كمـا فـعل جـعفـر بن أبي طالب رضـي الله عنـه فـي غَزَاةِ مؤتةَ حيث اقتحمَ عن فرسه فَعقَرها وقـاتلَ على الراية حتّى قُتل (١) . وهـو أوّل مَنْ عَقَر فـرسَه في الإسـلام. وكـان أحفظ لدينه من أنْ يفـعلَ مـا يمـنعُ منه الشرع ولم ينكر ذلك عليه أحدٌ.

---

(١) الخبر بلفظه في السيرة النبوية ٢: ٨٣٢ (ذكر غزوة مؤتة).

الباب
الرابع عشر

في مصابرة العدوّ ومواقَفَتهِ عند اللقاء

في مصابرة العدوّ ومواقفته عند اللقاء [م ٤٨]

على الأمير ومَنْ معه من حقوقِ الله تعالى مصابرةُ العدوّ وإنْ تطاولتْ بهم المدّةُ ما كانت لهم القوةُ، قال الله العظيم ﴿ يا أيّها الذين آمنوا اصبروا وصَابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تُفْلحون ﴾(١) وفي ذلك أقوال:

أحدهما: اصبروا على طاعة الله وصابروا عدوَّ الله، ورابطوا في سبيل الله.

والثاني: اصبروا على دينكم، وصابروا الوعدَ الذي وعدتُكم، ورابطوا عدوّي وعدوّكم.

والثالث: اصبروا على الجهاد وصابروا العدوّ ورابطوا بملازمة الثَّغْر.

وقد ذكرنا تفسير الصبرِ والرباط وما معناهما في اللغة. وقال تعالى ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا إذا لَقِيتُمْ فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلّكم تُفْلحون وأطيعوا الله ورسولَه ولا تنازعوا فَتَفْشَلوا وتَذهب ريحُكم واصبروا إنّ الله مع الصابرين ﴾ (٢) وحقيقةُ الصبر هي الصبرُ على إمضاء الحقائق وإنْ شقّتْ، واحتمال المكاره في ذات الله وإنْ جلّتْ، والثّباتُ في جميع الشدّة من غير جزع ولاخور إلا رِضىً وتسليماً.

---

(١) سورة آل عمران ٣: ٢٠٠.

(٢) سورة الأنفال ٨: ٤٥، ٤٦.

قال بعض حكماء الفُرْسِ: كما أنّ الحديد يعشق المغنطيس فكذلك الظَّفَرُ يعشق الصبرَ فاصبرْ تظفرْ.

وقال نهشل بن حَرِّيّ (١) :

ويوم كــأنَّ المصطلينَ بحرِّهِ وإنْ لم تكنْ نارٌ قيامٌ على الجمر

صبرْنا له حتّى تبوخَ وإنّما تفرّج أيامُ الكريهة بالصبرِ (٢)

«معنى يبوخ يخبو»

ولنذكرْ هنا بعضَ أهل الثبات والعزيمة ومَنْ يُقتدى بهم من أهل الشّيَمِ الكريمة، فمصابرَةُ العدوّ آكدُ حقوق الجهاد وأعزُّ طرق الإعداد بالله والاعتماد.

رويَ أنّ خالدَ بن الوليد قال: انقطعتْ في يدي يوم مؤتةَ تسعةُ أسياف وبضعة عشرَ رمحاً، فما بقي في يدي إلاّ صفيحةٌ يمانيةٌ صبرت في يدي.

وقاتلَ قتادةُ بنُ النعمان يوم أحدٍ حتى أصيبتْ عينهُ فسالت حَدقتُه فردّها النبيّ - ﷺ - وقال: اللهمّ اكسُهُ جمالاً. فكانت أحسنَ عينيه وأصحهما (٣) .

---

(١) نهشل بن حَرِّيّ ت ٤٥ هـ = ٦٦٥م : نهشل بن حرّي بن ضمرة الدارمي، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية وعاش في الإسلام، وكان من خير بيوت بني دارم، أسلم ولم ير النبي (ﷺ) وصحب علياً في حروبه وكان معه في وقعة صفين. وبقي إلى أيام معاوية وكان أبوه حريّ شاعراً وجدّه ضمرة بن ضمرة كان شاعراً. عن الأعلام ٨: ٤٩.

(٢) البيتان في عيون الأخبار ١: ٢٥ والعقد ١: ١٠٧ والحماسة ١٨٩ بشرح المرزوقي.

(٣) خبر قتادة في السيرة ٢: ٦٠٠، ٦٠١ (أخبار غزوة أحد).

وروي أنّ رسول الله - ﷺ - قال يوم احد: مَنْ يأتيني بخبر سعد بن الربيع (١) الأنصاريّ؟ فقال رجلٌ: أنا.

فذهبَ بين القتلى، فقال له سعد: ما شأنُك؟

فقال الرجلُ: بعثني رسول الله - ﷺ - لآتيه بخبرك.

قال: فاذهبْ فاقرهِ السلامَ مني وأخبره أني قد طُعنتُ اثنتي عشرةَ طعنةً وأني قد أنفذت مقاتلي، وأخبر قومي أنّهم لا عُذْرَ لهم عند الله إنْ قُتِلَ رسولُ الله - ﷺ - وواحدٌ منهم حيٌ (٢).

وقيل إنّ الرجلَ (٣) كان أبيٌ بنَ كعب (٤) وانه قال له: اقرأ على قومي السلامَ وقل لهم: يقولُ لكم سَعْد: اللهَ اللهَ وما عاهدتُم عليه رسولَ الله - ﷺ - ليلة العقبة فوالله مالكم عندَ الله عُذرٌ إنْ خلصَ إلى نبيكم وفيكم عينٌ تطرف. قال: فلم أبرحْ حتى مات (٥).

---

(١) سعد بن الربيع ت ٣ هـ = ٦٢٥م: سعد بن الربيع بن عمرو من بني الحارث بن الخزرج، صحابي من كبارهم. كان أحد النقباء يوم العقبة، وشهد موقعة بدر واستشهد يوم أحد. الإصابة ٣: ٧٧ برقم: ٣١٤٧.

(٢) انظر الخبر في السيرة النبوية ٢: ٦١٠ (غزوة أحد).

(٣) ذكر محقق السيرة نقلاً عن مغازي الواقدي أن الرجل هو محمد بن مسلمة ويقال: أبيّ بن كعب. السيرة ٢: ٦٠٩ وعنه: مغازي الواقدي ١: ٢٩٢.

(٤) أبيّ بن كعب ت ٢٢هـ = ٦٤٢م: أبي بن كعب بن قيس من بني النجار من الخزرج، صحابي جليل شهد العقبة وبدراً، كتب لرسول الله (ﷺ)، وزعم الزركلي في الأعلام ان أبيّاً كان حبراً من أحبار اليهود قبل الإسلام، ولعله اختلط عليه ابي بن كعب بشخص اخر اسمه «كعب الأحبار» ولم يكن ابي من اليهود. اختلف في سنة وفاته وقيل: إنه مات في خلافة عمر سنة ٢٢ هـ وقيل بعد ذلك. المعارف ٢٦١ وسير أعلام النبلاء ١: ٢٨٠ وتهذيب التهذيب ١: ١٨٨، والاعلام ١: ٨٢.

(٥) السيرة النبوية ٢: ٦١٠ (غزوة أحد).

ورويَ أن **عِكْرِمةَ** (١) ترجلَ يوم **اليرموك** لمّا اشتدَّ الأمرُ وعظمتْ المحنةُ فقاتل قتالاً شديداً حتّى قُتِلَ، فَوُجِدَ فيه/ [م٤٩] بضعٌ وسبعون بينَ طعنةٍ وضربةٍ ورميةٍ.

ورويَ أنَّ **زَيْدَ بنَ سَهْل** (٢) وهو **أبو طلحة الأنصاريّ** كان من فرسان الصحابة ومن الرّماة وكان يقول:

أنا أبو طلحةَ واسمـي زيدُ وكلَّ يومٍ في سلاحي صَيْدُ

وقتل يوم **حُنَين** عشرين كافراً وأخذَ أسْلابَهم وكان يَحْبُو بين يدي النبي - ﷺ - ويقول: نفسي لنفسه الفدا ووجهي لوجهه الوقا، ثم نثر كنانته بين يدي النبي - ﷺ - وقال عليه السلام: صوتُ **أبي طلحة** في الجيش خيرٌ من فئةٍ. ورويَ: من مئةٍ (٣) وكان **هاشمُ بنُ عتبةَ بنِ أبي وقّاص** (٤) من الأبطال البُهْم الفُضلاء الأخيار ويُعرَفُ **بالمرْقال** لأنّه كان

---

(١) **عكرمة ١٣ هـ = ٦٣٤م**: عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام، كان هو وأبوه من أشد الناس عداوة للنبي (ﷺ) . وأسلم عكرمة بعد فتح مكة، وحسن إسلامه فشهد الوقائع وولي الأعمال لأبي بكر واستشهد في اليرموك وعمره (٦٢) سنة وجاء في الحديث: لا تؤذوا الأحياء بسبب الموتى. قال المبرد: فنهى عن سب أبي جهل من أجل عكرمة. الإصابة ٤: ٢٥٨ برقم: ٥٦٣٢ والأعلام ٤: ٢٤٤.

(٢) **أبو طلحة الأنصاري ٣٦ ق.هـ - ٣٤ هـ = ٥٨٥ - ٦٥٤م**: زيد بن سهل بن الأسود النجاري الأنصاري، صحابي، من الشجعان، الرماة المعدودين في الجاهلية والإسلام مولده في المدينة، ولما ظهر الإسلام كان من كبار أنصاره، فشهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد، وكان جهير الصوت. وكان ردف رسول الله (ﷺ) يوم خيبر وتوفي في المدينة، وقيل ركب البحر غازياً فمات فيه. الإصابة ٣: ٢٨ برقم ٢٨٩٩ والأعلام ٣: ٥٩.

(٣) الحديث في الجامع الصغير ٢: ١٢٣ عن أنس. وعن جابر: لصوت أبي طلحة بالجيش خير من ألف رجل والحديث أيضاً في فيض القدير ١٠: ٤٩٨٤ برقم ٧٢٤٦ وأحال محققه إلى مسند أحمد ٣: ١١٢ والمستدرك ٣: ٣٥٢ وفي فيض القدير برقم ٧٢٤٧: لصوت أبي طلحة بالجيش خير من ألف رجل، عن جابر.

(٤) **هاشم بن عتبة = المرقال** : هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، صحابي، خطيب من الفرسان =

يُرْقِلُ في الحرب، ففقئتْ عينُه يوم اليرموك، ثم أرسله عمر رضي الله عنه مع خيل العراق إلى سعد، فشهدَ القادسية وابلى فيها بلاءً حسناً، وقام منه في ذلك اليوم مالم يَقُمْ من أحدٍ وكان سببَ الفتح على المسلمين وكان يقول:

اعور عيني أهلـــــه علاً   قد صالح الحياةَ حتّى ملاّ
لابدّ أن يعـــــدّ أو يفــلاّ

وضُرب في الحرب فقُطعت رجلُه فجعلَ يُقاتل مَنْ دنا منه وهو باركٌ ويقول:

الفحل يحمي شوله معقولا

وقاتلَ حتى قُتل رحمه الله.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول له: كنا ننتفع من الشيخ برأيه ومن الشابّ بنجدته فاصبر وصابِرْ.

وروي أن أبا عامر الأشعري (١) لقي يوم أوطاس عشرة إخوةٍ من

= يلقب بالمرقال وهو ابن أخي سعد بن ابي وقاص، أسلم يوم فتح مكة ونزل الشام بعد فتحها، فارسله عمر مع ستة عشر رجلاً من جند الشام مدداً لسعد بن ابي وقاص في العراق وشهد القادسية مع سعد واصيبت عينه يوم اليرموك فقيل له: الاعور، وفتح جلولاء، وكان مع عليّ بن ابي طالب في حروبه. وتولى قيادة الرجالة في صفين فقتل في آخر ايامها. الإصابة ٦: ٢٧٥ برقم: ٨٩١٣ والأعلام ٨: ٦٦ وله ذكر في يوم جلولاء. انظر كتاب البلدان وفتوحها للبلاذري ٣٠٦ وما بعدها.

(١) ابو عامر الأشعري من الصحابة الشجعان والخبر المذكور هنا هو في السيرة النبوية ٢: ٩٠٠ قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله في آثار من توجه قبل أوطاس ابا عامر الأشعري فأدرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال، فرمي ابو عامر بسهم فقتل، فاخذ الراية ابو موسى الأشعري وهو ابن عمه فقاتلهم، ففتح الله على يديه وهزمهم. ويزعمون أن سلمة بن دريد هو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم فأصاب ركبته فقتله انظر السيرة ٢: ٨٩٨ - ٩٠٠.

المشركين فحملَ عليه أحدُهم، فحملَ عليه أبو عامر فقتله، ثم لم يزلْ يفعلُ ذلك بهم واحداً بعد واحدٍ حتى قتلَ التسعةَ وبقي العاشر، فتجاولا وأبو عامر يدعوه ويقول: اللهمَّ اشهدْ. فقال: اللهمَّ لا تشهد عليَّ. فكفَّ عنه أبو عامر فأفْلتَ ثم أسلمَ بعدُ فحَسُنَ إسلامُه، وكان رسول الله - ﷺ - إذا رآه يقول: هذا شريدُ أبي عامر (١).

ويُرْوى أنّ **أبا جهل** (٢) بن هشام قال يوم بدر: اللهمّ دينُك القويمُ وأياديك الحسنة، أيُنا كانَ أحبَّ إليك فانصُرْهُ اليوم على صاحبه، ثمّ أقبل يرتجزُ ويقول:

ما تَنْقِمُ الحربُ العوانُ منّي — بــازل عـــامين حديثٌ سنّي

لمثــلِ هــذا ولدتنـــي أمــــي (٣)

فكان أوّلَ مَنْ لقيه **معاذُ بن عمرو بنِ الجموح** (٤) قال: سمعت القوم - وأبو جهل في مثل الحرجة - يقولون: أبو الحكمِ لا يُخْلَص إليه. فلمّا رأيتُه جعلتُه من شأني فصمدتُ نحوه، فلمّا أمكنني حملتُ عليه فضربته

---

(١) السيرة النبوية ٢: ٩٠٠.

(٢) **أبو جهل ت ٢ هـ = ٦٢٤م**: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشد الناس عداوة للنبي(ﷺ) في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، سودته قريش ولم يطرّ مشاربه فادخلته دار الندوة مع الكهول. أدرك الإسلام وكان يقال له: أبو الحكم فدعاه المسلمون أبا جهل. قتل في موقعة بدر. انظر السيرة النبوية ١: ٥٢٩ والأعلام ٥: ٨٦.

(٣) انظر الخبر والرجز في السيرة النبوية ٢: ٤٦٥.

(٤) **معاذ بن عمرو ت ٢٥ هـ = ٦٤٥م**: معاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد من بني كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي، شجاع، صحابي شهد العقبة وبدراً. ضرب أبا جهل ببدر فقطع ساقه فضربه عكرمة فقطع يده وبقي يقاتل إلى آخر النهار. وعاش إلى خلافة عثمان. الإصابة ٦: ١٠٩ برقم ٨٠٤٦ والأعلام ٧: ٢٥٨ والسيرة النبوية ١: ٤٦٥.

ضربةً أطنَّتْ قدمه بنصف ساقه، فوالله ما شبَّهتُها حين طاحت إلا بالنَّواة تطيحُ من تحت المِرْضخ قال: وضربني ابنه عِكْرمةُ على عاتقي فطرح يدي، فتعلَّقتْ بجِلْدةٍ من جنبي وأجهضني القتالُ عنه فلقد قاتلتُ عامَّة يومي وإنِّي لأسحبها خلفي، فلما آذتْني وضَعْتُ عليها قدمي وتمطيتُ بها حتَّى طرحتُها. وعاش معاذٌ بعدها حتى كان زمن عثمان رضي الله عنه.

ومن ذلك ما ذُكر في حرب اليمامة مع خالد/ [م٥٠] بن الوليد حين حاربوا حرباً لم يُرَ قطُّ مثلُها وانهزم المسلمون حتى زالَ خالدُ عَنْ فُسْطَاطه فَقُطع بالسيوف. ثمَّ إنَّ المسلمين تداعوا فقال ثابتُ بن قيس: بئسَ ما عودْتُم انفسكم يا مَعْشَر المسلمين ثمَّ جالدَ بسيفِهِ حتَّى قُتِلَ وجالدَ زيدُ بن الخطاب حتى انكشف الناسُ عن رحالهم وقاتلَ حتَّى قُتِلَ. ثم قام البراء بن مالك اخو أنس بن مالك، وكانَ إذا حضرَ الحربَ أخذه نافضٌ حتّى يضبطه الرجالُ، ثمّ يُفيقُ فيبولُ بولاً احمرَ ثمّ يثورُ كأنّه الأسدُ فلا يقومُ له شيءٌ، ففعلَ ذلك ثمَّ قاتلَ القوم وضرب قوماً لا يُرْفَعُ له شيءٌ إلاّ هزّهُ فثاب إليه الناسُ ورجعت إليهم أفئدتُهم، ورجع المسلمونَ حتى ألجؤوا العدوَّ إلى حديقة الموت وفيها عدوُّ الله مسيلمةُ الكذّاب فقال البَرَاء: يا معشرَ المسلمين: ألقوني عليهم في الحديقة. فقال الناسُ: لا تفعل، فقال: والله لتطرحُنّني عليهم فيها، فاحْتُمِلَ حتى أشرف على الجدار ثمّ اقتحمَ الحديقةَ فقاتلَهم حتّى فتحها الله للمسلمين، وقُتِلَ مُسَيْلمةُ عدوّ الله، قَتَلَهُ وحْشيّ (١) مولى جُبير بن

(١) وحشيّ ت ٢٥ هـ = ٦٤٥م: وحشيّ بن حرب الحبشي ابو وسمة، مولى بني نوفل، صحابي، من سودان مكة، كان من ابطال الموالي في الجاهلية، وهو قاتل الحمزة عم النبي(ﷺ) ، قتله يوم أحد، رماه بحربة، ثم وفد على النبي (ﷺ) مع وفد أهل الطائف بعد أخذها، وأسلم فقال له النبي (ﷺ) : غيّب عني وجهك يا وحشيّ، لا أراك. وشهد اليرموك وشارك في قتل =

مُطْعِم (١) وهو الأصحّ مّما قيل والله أعلمُ. وقُتل يومئذٍ من المسلمين ألف ومئتا رجلٍ، وقُتِل من بني حنيفة أتباعِ مُسيلَمة في الفضاء سبعةُ آلاف وفي حديقة الموت سبعة آلاف وفي الطّلب نحوٌ منها (٢) .

وذُكر انّ ثابت بن قيس - رحمه الله - قاتلَ في ذلك اليوم وصابرَ فقُطعتْ رجلُه وسقطَتْ في الأرض وأخذها ورمى بها قاتله فقتله ثم استُشْهِد رحمه الله.

وفي تلكَ الحربِ قاتلتْ أم عُمارة الأنصاريّة (٣) واسمها نسيبة حتّى

= مسيلمة، وزعم أنه رماه بحربته التي قتل بها حمزة. وكان يقول: قتلتُ بحربتي هذه خير الناس وشر الناس. وسكن حمص فمات بها في خلافة عثمان. عن الاعلام وانظر السيرة النبوية ٢: ٥٩٢ - ٥٩٣ وهو مولى جبير بن مطعم.

(١) جبير بن مطعم ت ٥٩ هـ - ٦٧٩م: جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف القرشي، أبو عدي، صحابي، كان من علماء قريش وسادتهم، توفي بالمدينة وعدّه الجاحظ من كبار النسابين. وفي الإصابة: كان انسب قرشي لقريش والعرب قاطبة. الإصابة ١: ٢٢٥ برقم: ١٠٨٧ والسيرة ٢: ٥٨٥ والأعلام ٢: ١١٢.

(٢) انظر البلدان وفتوحها للبلاذري: ١٠٢ وما بعدها.

(٣) ام عمارة الأنصارية ت ١٣ هـ = ٦٣٤م: نسيبة بنت كعب بن عوف المازنية الأنصارية، من بني النجار، صحابية، اشتهرت بالشجاعة، تعد من أبطال المعارك، تزوجها في الجاهلية زيد بن عاصم المازني، ولما ظهر الإسلام اسلمت وشهدت بيعة العقبة وأحداً والحديبية وخيبر وحُنيناً وسمعت من رسول الله (ﷺ) احاديث، وكانت تخرج إلى القتال فتسقي الجرحى وتقاتل، وأبلت يوم أحد بلاءً حسناً وجرحت اثني عشر جرحاً بين طعنة رمح وضربة سيف، وكانت ممن ثبت مع رسول الله حين تراجع الناس، وقد شوهدت في ذلك اليوم تقاتل أشد القتال وأمها معها تعصب جراحها وكان رسول الله (ﷺ) إذا حدث عن يوم احد ونكر ام عمارة يقول: ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا رأيتها تقاتل دوني. وحضرت حرب اليمامة فقاتلت قتال الأبطال وقطعت يدها وجرحت فانصرفت إلى المدينة تداوي جراحها، فكان ابوبكر وهو خليفة يعودها ويسأل عن حالها. الإصابة ٨: ١٩٨ برقم: ١٠٤٩ و٨: ٢٦٢ برقم: ١٤٢٠ والأعلام ٨: ١٩.

أُصيبتْ يدُها، وجُرِحتْ يومئذ اثني عشرَ جُرْحاً من طعنةٍ وضربةٍ. وكانتْ قد شهدت بيعةَ العقبةِ وشهدتْ أُحداً مع زوجها زيد بن عاصم (١) وابنيها حبيب (٢) وعبدالله (٣) فيما ذكرَ ابنُ اسحاق، ثم شهدتْ مع ابنها عبدالله اليمامةَ ففعلتْ ما ذكرناه.

ورُويَ أنها أتتْ النبيَّ - ﷺ - فقالت: ما أرى كلَّ شيءٍ إلاّ للرجالِ وما أرى النساءَ يذْكرْنَ فأنزل الله تعالى: ﴿ إنَّ المسلمينَ والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات ﴾ الآية.. إلى قوله ﴿ أعدَّ الله لهم مغفرةً وأجراً عظيما ﴾ (٤). ورويَ أن عليَّ بن بكّار رُئي في بلاد الروم يحملُ على العدو فيطعن ويحمل فيطعن حتّى دخل عليه عِلْجٌ فطعنه في بطنه فخرج تربُه (٥) فنزل عن فرسه فأخذه بيده وردّه في بطنه وشدّه، ثم ركب وأخذ رُمْحه وجعل يحمل على العدو، فلم يزلْ يقتُلُ حتى قتلَ ثلاثة عشر رجلاً. وذكر في كتاب حياة القلوب أنه طُعن فخرجت مصارينُه على قَرَبوس سَرْجه فردّها في بطنه وشدّها بعمامته وفعل ما ذكر. وكان يقول: نفق عندي عشرون ومئةُ فرسٍ ما منها فرسٌ إلا اشتريتُه بمالي.

---

(١) زيد بن عاصم بن عمرو الانصاري المازني شهد العقبة وبدراً وأحداً، الإصابة ٣: ٣٠ برقم: ٢٩٠٥ وانظر الإصابة ٢: ٣٢١ برقم: ١٥٧٩.

(٢) حبيب بن زيد بن عاصم الانصاري المازني، شهد العقبة وأحداً والخندق والمشاهد. قتله مسيلمة في حروب الردة. فلما كان يوم اليمامة خرج أخوه عبدالله بن زيد وأمه وكانت نذرت الا يصيبها غسل حتى يقتل مسيلمة وأمه أم عمارة نسيبة. الإصابة ١: ٣٢١ برقم ١٥٧٩.

(٣) عبدالله بن زيد بن عاصم ٧ ق.هـ - ٦٣هـ = ٦١٦ - ٦٨٣م: عبدالله بن زيد بن عاصم بن كعب النجاري الانصاري، صحابي، من اهل المدينة، كان شجاعاً، شهد بدراً وأحداً وغيرها وقتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة. قتل في وقعة الحرة. الاعلام ٤: ٩٨ والإصابة ٤: ٧٢ برقم: ٤٦٧٩.

(٤) سورة الاحزاب ٣٣: ٣٥.

(٥) هكذا وردت، والمقصود الاحشاء.

ورويَ أنه كان إذا دخل أرض الرّوم لا يضحك، فقيل له: يا أبا الحسن، ما نراك تضحك؟ فقال: إنما نغزوا غضباً لله والغضبانُ لا يضحك.

وفي غزوة القادسية حضرت **الخنساءُ بنتُ عمرو بن الشّريد** (١) معها بنوها، أربعةُ رجال، فقالت لهم من أوّل الليل: يا بنيَّ إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتُمْ مختارين، واللهِ الذي لا إله إلا هو، إنّكم لبنو رجلٍ واحدٍ كما أنّكم بنو امرأةٍ واحدة، ما خُنْتُ أباكم ولا فضحتُ خالكم، ولا هجّنتُ حسبكم ولا غيّرتُ نسبكم، وقد تعلمونَ ما أعدَّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أنّ الدارَ الباقيةَ خيرٌ من الدارِ الفانيةِ، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا اصبِروا وصابروا ورابطوا واتّقوا الله لعلّكم تُفْلحون ﴾ (٢) فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله فاغدوا إلى قتالِ عدوكم مُسْتَبْصرين وعلى أعداء الله تعالى مُسْتَنْصرِين، فإذا رأيتمُ الحربَ قد شمّرت عن ساقها، واضطرمتْ لظىً على سياقها، وجللتْ ناراً على أرواقها، فتيمموا على وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالغُنْمِ والكرامة في دار الخُلْدِ والمقامة، فخرج بنوها قابلين لنُصْحها عازمين على قَبُولها، فلمّا كان الصبحُ باكروا مراكزهم وقال أوّلهم :

---

(١) الخنساء ت ٢٤ هـ = ٦٤٥م: تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية، من بني سُليم من قيس عيلان من مضر، أشهر شواعر العرب، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العصر الجاهلي وأدركت الإسلام فأسلمت ووفدت على رسول الله (ﷺ) مع قومها من بني سليم. وكان رسول الله يستنشدها شعرها ويعجبه، وكان لها أربعة بنين استشهدوا في حرب القادسية سنة ١٦هـ. الإصابة ٨: ٢٤ برقم: ٢٠٠ والأعلام ٢: ٨٦.

(٢) سورة آل عمران ٣: ٢٠٠

يا إخوتي إنَّ العجوزَ النّاصِحَهْ   قَدْ نصحتنا إذْ دعتنا البارحهْ
مقالةً ذات بيانٍ واضِحهْ   فباكروا الحربَ الضروس الكالحهْ
فأنتم بين حياة صالحهْ   أو ميتةٍ تورث غُنْماً رابحهْ

وتقدّم فقاتل حتى قُتل، ثمّ حملَ الثاني وهو يقول:

إنَّ العجوزَ ذاتُ حزمٍ وجَلَدْ   والنظر الأوفقِ والرأي السَّدَدْ
قدْ أمرتْنا بالسدادِ والرَّشَدْ   نصيحةً منها وبِراً بالولدْ
فباكروا الحربَ حُماةً في العدَدْ   إمّا لفوزٍ باردٍ على الكبدْ
أوْ ميتةٍ تُورثكم غُنْم الأبَدْ   في جنّة الفردوسِ والعيش الرَّغَدْ

ثم تقدّم فقاتل حتّى قُتل ثم حملَ الثالث وهو يقولُ:

واللهِ لا نَعْصي العجوز حَرْفا   قد امرتنا حرباً وعطْفا
نُصْحاً وَبِراً صادقاً ولُطْفا   فبادروا الحرب الضَّروسَ زَحْفا
حتّى تلفّوا آل كسرى لفّا   او تكشفوهم عن حِماكم كشفا
إنّا نرى التقصيرَ عنهم ضَعْفا   والقتلَ فيهم نجدةً وعَرْفا

ثم قاتل حتّى قُتلَ ثمّ حملَ الرابعُ وهو يقول:

لَسْتُ للخَنْسَا (١) ولا للأكرمِ   ولا لعمرٍو ذي السّناء الأقدمِ/[م٥٢]
إنْ لم أرِدْ في الحرب جيش الأعجمِ   إمّا لفوزٍ عاجلٍ أوْ مَغْنمِ
أو لوفاةٍ في السبيل الأكرمِ

ثمّ قاتلَ حتّى قُتلَ رحمهم الله تعالى. فبلغَ الخنساءَ الخبرُ فقالت: الحمدُلله الذي شرّفني بقتلهم وأرجو أنْ يجمعني اللهُ بهم في مستقرّ رحمته.

---

(١) في الأصل: ليست للخنساء. وبه ينكسر الوزن.

وكان عمر رضي الله عنه يُعطي الخنساء أرزاق أولادها الأربعة لكلّ واحدٍ مئة درهمٍ حتّى قُبضَ (١) .

فبهذه الأوصافِ يوصف الرجالُ، ولمثل قصْدهم تخلص الأعمال، وبكريم صفاتهم يُسْتحقّ اسم الرجوليَة وتُحْمَدُ الذكوريّة. فطوبى لِمَنْ بذل في سبيل الله قراضه وتجره، واحتسب عند مَنْ لا يضيعُ عنده مثقال حبة من خرْدل أجْره، ووجّه إلى مرضات الله مقاصده وأغراضه، وجعلَ الجهادَ في سبيله قبلتَه وإمامه، وصيره بَدَاتَه وختامه، وترك التسويف والتعليل واشترى الكثير بالقليل ﴿ إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنةَ يُقاتلونَ في سبيل الله فَيَقْتُلون ويُقْتلون، وعْداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومَنْ أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ (٢) .

(١) خبر الخنساء ورجز أولادها في الإصابة: النساء برقم ٣٥٣ ص ٦٦، ٦٧ ونقله بتمامه عمر رضا كحالة في ترجمتها في كتابه: أعلام النساء.

(٢) سورة التوبة ٩ : ١١١

الباب
الخامس عشر

في المبارزة

فـــــي المبـــــارزة

رويَ أنّ قـولَ الله تعالى ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربّهم فالذين كفروا قطعـتْ لهم ثيابٌ من نار ﴾ (١) إلى آخـر الآيـة.. نزلـت في الذين بارزوا يوم بـدْرٍ وهـم ستةٌ مـن قُريش ثلاثةٌ مؤمنون: عُبيدةُ ابن الحارث بن المطّلب(٢)، وحمـزةُ بـن عبد المطّلب (٣) وعلـيّ بن أبي طالب رضيَ الله عنهـم، وثلاثةٌ كافرون عُتبةُ (٤)

---

(١) سورة الحج ١٩/٢٢ وتمامها: يصب من فوق رؤوسهم الحميم.

(٢) عبيدة بن الحارث ٦٢ ق.هـ - ٢هـ = ٥٦٢ - ٦٢٤م: عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبدمناف، أبو الحارث، من أبطال قريش في الجاهلية والإسلام، ولد بمكة وأسلم قبل دخول النبي (ﷺ) دار الأرقم، وعقد له النبي (ﷺ) ثاني لواء عقده بعد أن قدم المدينة وبعثه في ستين راكباً من المهاجرين فالتقى بالمشركين وعليهم ابوسفيان ابن حرب في موضع يقال له «ثنية المرة» وكان هذا أول قتال جرى في الإسلام ثم شهد بدراً وقتل فيها. الإصابة ٤: ٢٠٩ برقم: ٥٣٦٧ والسيرة النبوية ١: ٣٣٠ والأعلام ٤: ١٩٨.

(٣) حمزة بن عبد المطلب ٥٤ ق.هـ - ٣هـ = ٥٥٦ - ٦٢٥م: حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم ابو عمارة من قريش، عم النبي (ﷺ) واحد صناديد قريش وسادتهم في الجاهلية والإسلام. ولد ونشا بمكة، وكان أعز قريش واشدها شكيمة. اسلم واظهر إسلامه، وهاجر مع النبي (ﷺ) إلى المدينة وحضر موقعة بدر وقتل في موقعة احد ودفنه المسلمون في المدينة. الإصابة ٢: ٣٧ برقم ١٨٢٢ والأعلام ٢: ٢٧٨.

(٤) عتبة بن ربيعة ٢ هـ = ٦٢٤م: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابو الوليد، كبير قريش واحد ساداتها في الجاهلية كان موصوفاً بالراي والحلم والفضل. خطيباً نافذ القول، نشا يتيماً في حجر حرب بن امية، واول ما عرف عنه توسطه للصلح في حرب الفجار بين هوازن وكنانة، وقد رضي الفريقان بحكمه وانقضت الحرب على يده وكان يقال: لم يسد من قريش مملق إلا عتبة وابو طالب، فإنهما سادا بغير مال، ادرك الإسلام وطغى فشهد بدراً مع المشركين. وكان ضخم الجثة عظيم الهامة. قتل يوم بدر. السيرة النبوية ١: ٤٥٧، ٤٥٨ والأعلام ٤: ٢٠٠.

وشيبةُ (١) **ابنا ربيعة والوليدُ بنُ عتبة** (٢) . وكان سبب ذلك أنَّ **الأسود بنَ عبدِ الأسد المخزومي** (٣) حلفَ قَبْلَ القتالِ بآلهتهم ليشْرَبنَّ من الحوض الذي صنعه محمد ولَيَهْدُمَنَّ منه، فلمّا دَنَا من الحوض برز إليه **حمزةُ بنُ عبد المطّلب** فضرب رِجْلَه فقطعها وهو دون الحوض، فأقبلَ يحبو حتى وقعَ في الحوض وهدم منه ليبرَّ قَسَمُه، فتبعه **حمزةُ** فقتله في الحوض فكانَ أولَ قتيلٍ من المشركين. فاحتمى له المشركون فانتُدِبَ منهم الثلاثةُ المذكورون للمبارزة، كما يذكر بعدُ إنْ شاء الله.

وروى **أشهبُ عن مالك**: وسُئل عن الرجلِ بينَ الصفّينِ يَدْعُو إلى المبارزة فقال: إنْ صحّتْ نيتُه فلا بأسَ، وقد فَعَل فيما مضى.

وقال **ابن حبيب**: سمعتُ أهل العلم يقولون: لا بأس بالمبارزة وذلكَ

---

(١) شيبة بن ربيعة ت ٢هـ = ٦٢٤م: شيبة بن ربيعة بن عبد شمس من زعماء قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام وقتل على الوثنية، وهو أحد الذين نزلت فيهم الآية «كما أنزلنا على المقتسمين» وهم سبعة عشر رجلاً من قريش، اقتسموا عقبات مكة في بدء ظهور الإسلام وجعلوا دأبهم في موسم الحج أن يصدوا الناس عن النبي (ﷺ) . ولما كانت وقعة بدر حضرها شيبة مع مشركيهم ونحر تسع ذبائح لإطعام رجالهم. وقتل في بدر. السيرة النبوية ١: ٤٥٧ وما بعدها. الأعلام ٣: ١٨١.

(٢) الوليد بن عتبة بن ربيعة من فرسان قريش، قتله عليّ بن أبي طالب في المبارزة يوم بدر. انظر السيرة النبوية ١: ٤٥٨.

(٣) الأسود بن عبدالأسد المخزومي من فرسان قريش قتله حمزة بن عبدالمطلب يوم بدر. السيرة النبوية ١: ٤٥٧، ٥٣١. قال ابن إسحاق: خرج الأسود بن عبدالأسد المخزومي وكان رجلاً شرساً سيىء الخلق فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم (أي حوض المسلمين يوم بدر) أو لأهدمنه أو لأموتنّ دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبدالمطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد - زعم - أن تبر يمينه، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

على قدْرِ النيّة ولا يجوزُ الاستبدادُ بها إلاّ بإذنِ الإمام، فإنْ أذِنَ جازَتْ إجابةُ مَنْ دعا إليها بشرطين:

أحدهما: أنْ يكون ذا نَجْدَةٍ وبأسٍ وشَجَاعةٍ، علِمَ من نفسِه أنه لا يَعْجِزُ عن مُقَارَنةِ قِرْنِه.

وقال **مالك**: إنْ خاف الضعفَ فلا يُبَارِزْ، فَرُبَّ ضَعيفٍ يُقْتلُ فيهدُّ [م٥٣] الناس ويوهنُهم. وسيردُ ما في عَضْدِهِ ومَعُونته إنْ خِيفَ عليه الغلبة.

والشرط الثاني أنْ لا يكون زعيم الجيش فيؤثر في المسلمين فقْدُهُ فإنْ فَقْدَ الزعيم المدبّرِ في الحرب يُفْضي إلى الهزيمة، وقد قيل: إنّ إقدام النبيّ - ﷺ - على المبارزة كان قد وثق نصرَ الله له، وأيقن بإنجاز ما وعده به، وقد علِم من ذلكَ ما لا ينبغي لغيره:

فممّا ورد من ذلك ما وقع ببدرٍ حين برز **عتبة بن ربيعة وابنه الوليد وأخوه شيبة** فبرز إليهم من الأنصار **عوف** (١) **ومعاذ** (٢) **ابنا عفراء وعبدُالله بن رَواحة** فقال القرشيّون ليبرُزْ إلينا أكفاؤنا فما نعرفكم، فبرز إليهم ثلاثةٌ من بني هاشم. برز **علي بن أبي طالب إلى**

---

(١) **عوف بن عفراء ت ٢هـ = ٦٢٤م**: عوف بن الحارث وهو عوف بن عفراء أخو معاذ ومعوذ، ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدراً، وهو الذي قال للرسول (ﷺ) : يا رسول الله ما يُضحك الرب من عبده؟ قال: أن يراه قد غمس يده في القتال حاسراً. فنزع عوف درعه وتقدم فقاتل حتى قتل شهيداً. انظر الإصابة ٥: ٤٢ برقم: ٦٠٨٧ والسيرة النبوية ١: ٤٦٠ (وقعة بدر) وقد قتل أخوه معوذ في بدر أيضاً. السيرة ١:٤٦٦.

(٢) **معاذ بن عفراء ت ٢هـ = ٦٢٤م**: هو معاذ بن الحارث بن رفاعة النجاري الأنصاري الخزرجي المعروف بابن عفراء وهي أمه، شهد العقبة وبدراً وقيل إنه جرح ببدر فمات من جراحه، عن الإصابة ٦: ١٠٧ برقم: ٨٠٢٤.

الوليد فقتله، وبرز حمزةُ إلى عُتْبةَ فقتله وبرز عُبيدة بن الحارث إلى شيبةَ فاختلفا ضربتين أثبتَ كلّ واحدٍ منهما صاحبَه فمات شيبةُ لوقته، واحتُملَ عُبيدةُ حياً قــد نَدَرت (١) رجْلُه فـمات بعدُ بالصفراء في طريق المدينة (٢) وذلك كلُّه بمحْضر النبيِّ - ﷺ - مع ضنّه بأصحابه وإشفاقه على قرابته.

ودعا في حرب الخندق (٣) عمروُ بنُ عبد وَدٍ (٤) إلى البراز فلم يُجبْه أحدٌ، ثم دعا في اليوم الثاني فلم يُجْبه أحدٌ، ثم كذلك في اليوم الثالث. فلمّا رأى الإحجامَ عنه والحذرَ منه قال: يا محمد، ألستم تزعمون أنّ قتلاكم في الجنّة أحياء عند ربّهم يرزقون وأنّ قتلانا في النّار يُعذّبون، فما يبالي أحدُكم أنْ يقْدِم على كرامةٍ من ربه أو يُقْدِمَ عدوّه إلى النار وأنشأ يقول:

ولقــد بُححْتُ من النداءِ بجمعهم هَلْ مِنْ مُبَارِزْ
ووقَفْتُ إذ جَبُنَ المُشَجِّــعُ موقف القِرْن المناجِــزْ
إنــي كذلك لم أزل مُتَسَرِّعــاً نحوَ الهزاهزْ
إنّ الشجاعةَ في الفتى والجودَ من خير الغرائز

---

(١) نَدَرَت رجله : سقطت .

(٢) انظر الخبر في الأحكام السلطانية: ٣٨.

(٣) كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمسٍ للهجرة. أخبارها في السيرة النبوية ٢: ٧٠٠.

(٤) عمرو بن عبد وَدّ ت ٥هـ = ٦٢٧م: عمرو بن عبد وَدّ العامري من بني لؤي من قريش، فارس قريش وشجاعها في الجاهلية أدرك الإسلام ولم يسلم، وعاش إلى أن كانت وقعة الخندق، فحضرها وقد تجاوز الثمانين، فقتله عليّ بن أبي طالب. ولم يشتهر اشتهار غيره من فرسان الجاهلية كعامر بن الطفيل وبسطام وغيرهما لأن هؤلاء كانوا أصحاب غارات ونهب وأهل بادية. الأعلام ٥: ٨١. السيرة ٢: ٧٢٩.

فقام عليٌّ رضي الله عنه فاستأذنَ رسولَ الله - ﷺ - فأذِن له في المبارزة وقال: اخرج يا عليُّ في حفظ الله وعياذه، فخرج وهو يقول:

أبشـرْ أتاكَ مـجـيبُ صَوْ تِكَ يا بنَ وَدٍّ في الـهـزاهزْ
ذو نيّةٍ وبصـيـرةٍ يرجـو الغـداةَ نجـاة فـائز
إنّي لأرجـو أن أقـيـ مَ عليكَ نـائحـةَ الجنائز
من طعـنةٍ نجـلاء يَمْـ شي ذِكْرُها عند الـهـزاهزْ

ثم تَجَاولا وثارتْ عجاجةٌ اخْتَفَتْهما عن الأبصار ثمَّ انجلتْ عنهما وعليٌّ رضي الله عنه يمسحُ سيفَه بثوب عمروٍ وهو قتيل (١) .

ومنعَ أبو حنيفة أنْ يدعوَ المسلم إلى البِرازِ مبتدئاً، ورأى/ [م٥٤] ذلك بغياً.

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنّه قال لابنه الحسن (٢) : يا حسنُ لا تَدْعُوَنَّ أحداً لمبارزةٍ، فإذا دُعيتَ إليها فأجِبْ، فإنَّ الداعيَ باغٍ، والباغي مصروع (٣) .

---

(١) الخبر في السيرة النبوية ٢: ٧٢٩ ولكن بدون هذا الشعر وهو بتمامه مع الشعر في الأحكام السلطانية: ٣٨.

(٢) الحسن بن علي ٣ - ٥٠هـ = ٦٢٤ - ٦٧٠م: الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد، ولد في المدينة، وأمه فاطمة الزهراء، وهو أكبر أولادهما وأولهم، كان عاقلاً حليماً محباً للخير، فصيحاً، من أحسن الناس منطقاً وبديهة. دخل أصبهان غازياً مجتازاً إلى غزاة جرجان ومعه عبدالله بن الزبير. بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة أربعين لكنه خلع نفسه وسلم الأمر إلى معاوية، وأقام بالمدينة إلى أن توفي.

(٣) عيون الأخبار ١: ١٢٨ وفيه: يا بني لا تدعونَّ أحداً إلى البراز، ولا يدعونك أحد إليه إلا أجبته فإنه بغيٌ.

وجوّزه الشافعي ورآه إظهارَ قوّةٍ في الدين ونُصْرةً له.

ورُوِيَ أنّ النبيّ - ﷺ - ظاهر بين درعين يوم أُحد (١) وأخذ سيفاً فهزّه وقال: مَنْ يأخذ هذا بحقّه؟ فقام إليه عمر بن الخطّاب فقال: أنا آخذُه بحقّه فأعرضَ عنه، ثم هزّهُ الثانيةَ وقال: مَنْ يأخذُ هذا بحقّه؟ فقام الزبيرُ ابن العوّام وقال: أنا آخذه بحقّه، فأعرض عنه، فوجدا في أنفسهما. ثم هزّه الثالثة وقال: مَنْ يأخذُ هذا بحقّه؟ فقام أبو دُجانة سماكُ بنُ خَرَشَةَ فقال: وما حقُّه يا رسول الله؟

قال: أنْ تضرب به في العدوّ حتّى ينحنيَ، فأخذه منه، وأعلمَ بعِصابته الحمراء ومشى إلى الحرب وهو يقول:

أنا الذي أخذتُه بِرقّهِ ... إذ قيل: مَنْ يأخذُه بحقّهِ
قَبِلْتُه بِعَدْلِه وصِدْقِه ... للقادر الرحمنِ بين خلقِهِ
المدركُ القابضُ فضلَ رزقِه ... مَنْ كان في مَغْرِبِه أو شرقِهِ

ثم جعل يتبخترُ بين الصفّين فقال النبي - ﷺ - إنّها لَمِشيةٌ يُبْغِضُها الله تعالى إلاّ في هذا الموطن، ودخل الحربَ مبتدئاً بالقتال وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحنُ بالصَفْحِ من النخيل
ألاّ أزال الدهر في الكبول ... أضرِبْ بسيف اللهِ والرسولِ (٢)

---

(١) في السيرة النبوية ٢: ٦٠٢ قال ابن إسحاق: ونهض رسول الله (ﷺ) إلى صخرة في الجبل ليعلوها، وقد كان بدّن رسول الله (ﷺ) ، وظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض (ﷺ) لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به.

(٢) الخبر في السيرة النبوية ٢: ٥٨٩، ٥٩٠ على نحو مقارب. ولم يرد فيها الرجز الذي على القاف والخبر بتمامه مع الرجز منقولاً عن ابن إسحاق كتاب الأحكام السلطانية للماوردي: ٤٠.

وقد بارز أنسُ بن مالك مَرْزُبانَ الدارة وأخذ مِنْطَقتَهُ وسِوارَيْهِ، فقُوِّمت بثلاثين أو أربعين ألفاً.

ورويَ أنه خرج بِطريقٌ يدعو إلى البراز يوم أجنادين (١) فبرز إليه عبدالله بن الزبير بن عبد المطلب (٢) فاختلفا ضرباتٍ ثم قتله عبدُالله ولم يعرض لسلَبِهِ، ثم برز آخر يدعو إلى البراز فبرز إليه أيضاً عبدُالله ابنُ الزبير فتَشَاوكا بالرمح ساعةً ثم صارا إلى السيفين، فحملَ عبدالله على البطريقِ وهو دَارِعٌ فضربه على عاتقهِ وهو يقول: خذها وأنا ابن عبدالمطلب فأثْبَتَهُ وقطعَ سيفُه الدرعَ في منكبهِ وولّى الروميُّ منهزماً. فعزم عمر رضي الله عنه على عبدالله ألاّ يبارزَ فقال: ما أجِدُني واللهِ أصبرُ، فلمّا اختلطت السيوف وأخذ بعضُها بعضاً وُجِدَ بين عشرةٍ من الرومِ قَتْلى وهو قتيلٌ رحمه الله.

ورويَ أنَّ القَعقَاعَ بن عمرو (٣) بارزَ في حربِ

---

(١) كانت وقعة أجنادين يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة. البلدان للبلاذري: ١٣٢.

(٢) عبدالله بن الزبير بن عبد المطلب ت ١٣ هـ : ابن هاشم وهو ابن عم النبي (ﷺ) ، كان ممن ثبت يوم حنين، قتل بأجنادين سنة ١٣هـ. قال الواقدي: وكان أول قتيل من الروم المبارز لعبدالله بن الزبير فقتله عبدالله، ثم برز آخر فقتله، ثم وجد في المعركة قتيلاً وحوله عشرة من الروم قتلى. عن الإصابة ٤: ٦٨ برقم: ٤٦٧٢. وانظر كتاب البلدان للبلاذري: ١٣٢.

(٣) القعقاع بن عمرو ت ٤٠ هـ = ٦٦٠م: القعقاع بن عمرو التميمي، أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والإسلام، له صحبة، شهد اليرموك وفتح دمشق وأكثر وقائع أهل العراق مع الفرس، وسكن الكوفة، وأدرك وقعة صفين فحضرها مع علي، وكان يتقلد في أوقات الزينة سيف هرقل ملك الروم ويلبس درع بهرام ملك الفرس، وهما مما أصابه من الغنائم، وكان شاعراً. الإصابة ٥: ٢٤٤ برقم: ٧١٢١ والأعلام ٥: ٢٠١.

القادسيةِ (١) عظيمـاً من عُظمـاء الفُرْس وبطلاً من أبطالهـا فـاجْتلدا بسيفيهما فقتله القَعْقَاعُ وانكسرت الأعاجمُ لذلك ونادى القعقاعُ ثانيةً فـخرجَ إليه رجلانِ مِنْ عظمائهم فـانضـمَّ إلى القعـقـاع الحـارثُ بن ظبيان (٢) فضرب القَعْقَاعُ أحدهما فأذرى رأسه وفعل ابن ظبيان مثل ذلك بالآخر. وجعل القعْقاعُ يقول للمسلمين: باشروهم بالسيوف فإنّما يُحْصَدُ الناسُ بها.

ولَمَّا تطاردت الخيلُ والفرسانُ خرجَ رجلٌ من الفُرْسِ فنادى للمبارزةِ فانتدبَ إليه عمرو بن مَعْدِيكَرِب (٣) فبارزه واعتنقهُ ثمَّ جلَدَ به الأرضَ فَذَبحه ثمَّ التفتَ إلى الناسِ فقالَ: إنَّ الفارسيَّ إذا فَقَدَ فرسَه فإنّما هُوَ تَيْسٌ.

وفي تلك الحربِ خرجَ رجلٌ من العجم حتّى إذا كانَ بينَ الصفّين هدرَ وشقْشقَ ونادى: مَنْ يبارز؟ فخرج رجلٌ يقالُ له: بشير بن علقمة (٤) وكان قصيراً دميماً فقال: يا معشرَ المسلمين قد انصفكم الرجلُ فلم يُجبْهُ

---

(١) كان يوم القادسية في آخر سنة ست عشرة. البلدان للبلاذري: ٢٩٩ وكان قتال القادسية يوم الخميس والجمعة وليلة السبت وهي ليلة الهرير، وإنما سميت ليلة صفين بها. البلدان: ٣٠٢.

(٢) الحارث بن ظبيان بن الحارث أخو بني تيم اللات، كان من أبطال القادسية يوم أغواث. انظر خبره في تاريخ الطبري ٣: ٥٤٣.

(٣) عمرو بن معد يكرب ت ٢١هـ - ٦٤٢م: عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبدالله الزبيدي، أبو ثور، فارس اليمن، وفد على المدينة سنة ٩هـ في عشرة من بني زبيد فأسلم وأسلموا وعادوا. فلما توفي النبي (ﷺ) ارتد عمرو في اليمن، ثم رجع إلى الإسلام فبعثه أبوبكر إلى الشام، فشهد اليرموك وفقد إحدى عينيه، وبعثه عمر إلى العراق فشهد القادسية، وكان عصيَّ النفس أبيًّا فيه قسوة الجاهلية. له شعر جيد. توفي على مقربة من الري وقيل: مات عطشاً يوم القادسية. الإصابة ٥: ١٨ برقم: ٥٩٦٥ والأعلام ٥: ٨٦.

(٤) بشير بن علقمة وذكره ابن حبيش باسم: بشر بن علقمة في سياق سرده للخبر الوارد في كتابنا هذا. انظر غزوات ابن حبيش ٢: ١٨٨.

أحدٌ. فقال: أمَا والله لولا أن تردّوني لخرجتُ إليه، فلمّا رأى أنّ أحداً لم يَتَهيّأ لمبارزته تقدّمَ فلمّا رآه الفارسيُّ هدرَ ونزل إليه فاحتمله وجلس على صدره ثم أخذ سيفَه ليذبحه ومقْوَدُ فرسِه مشدودٌ بمنطقتهِ، فلمّا سلّ السيفَ حاص الفرسُ حيصةً شديدة فجبذ المقْوَدَ فقلبه عنه فقام بشيرٌ فافترسه فجعل أصحابه يصيحون، فقال: صيحوا ما بدا لكم فوالله لا أتركُه حتّى أقتلَهُ وأسلبه، فذبحه وأخذ سَلَبَهُ، فنفّله سعدٌ (١) جميعَ السلَب فباعه باثني عشر ألف درهم.

وإذا بارز مسلمٌ كافراً فهل يُعانُ إنْ ضَعُفَ أم لا؟

رويَ في ذلك عن سَحْنون قولان:

- المنعُ لأن العهدَ أن لا يقاتلَه إلا واحدٌ.

- والجواز كما لو أُسرَ لوجب تخليصه.

وقال أشهب: وأمّا لو كانوا جماعةً ثلاثة أو أربعة أو أكثر، خرجوا مبارزةً لمثلهم لجاز معونة بعضهم لبعضٍ على كل حال مثل أن يَفْرغَ أحدٌ من قِرْنه ثمَّ يُعينُ صاحبه كما فَعَل حمزةُ وعليٌّ وعُبيدةُ يوم بدرٍ حين قطع شيبةُ رِجْلَ عُبيدة، فكرّ حمزةُ وعليٌّ على شيبةَ فقتلاه واستنقذا صاحبهما (٢) .

قال سحنون: كرِه مالكٌ وغيرُه من أصحابنا أنْ يُبارزَ الرجلُ أباه الكافرَ وأن يَنْتَدبَه أو يقتله، قال سحنون: إلاّ أنْ يُضطرّ ويخافه على

---

(١) أي سعد بن أبي وقاص.

(٢) السيرة النبوية ١: ٤٥٨

نفسه فَلَهُ ذلك. وقد قيل: إنّ الجدَّ للأب أو للأم كالأب، وليس كذلك عندنا، وقد تنازع الناسُ في الأب فكيف غيره (١) .

وأتى أبو عبيدة برأس أبيه إلى رسول الله - ﷺ - وقد نزلت ﴿ لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون مَنْ حَادّ اللهَ ورسولَه ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانَهم أو عشيرتهم ﴾ (٢) .

---

(١) قال محمد بن الحسن في السير الكبير: ولا بأس بأن يقتل الرجل من المسلمين كل ذي رحم محرم منه من المشركين يبتدىء به إلا الوالد خاصة، فإنه يكره له أن يبتدىء والده بذلك، وكذلك جده من قبل أبيه أو من قبل أمه وإن بَعُد إلا أن يضطره إلى ذلك.

قال السرخسي: لقوله تعالى: «وصاحبهما في الدنيا معروفاً» (لقمان ٣١/١٥) فالمراد الأبوان إذا كانا مشركين بدليل قوله تعالى: «وإن جاهداك» (لقمان ٣١/١٥) وليس من المصاحبة بالمعروف البداية بالقتل، وأما إذا اضطره إلى ذلك فهو يدفع عن نفسه، وهو مأمور بالبداية بنفسه في الإحسان إليها ودفع شر القتل عنها ابلغ جهات الإحسان. ثم الأب كان سبباً لإيجاد الولد، فلا يجوز للولد أن يجعل نفسه سبب إعدامه بالقصد إلى قتله، إلا أن يضطره إلى ذلك، فحينئذ يكون الأب هو المكتسب لذلك السبب بمنزلة الجاني على نفسه، على ما هو الأصل أن الملجأ بمنزلة الآلة للملجيء، ولهذا لا يحبس الأب بدين الولد ويحبس بنفقته لأنه إذا منع نفقته فقد قصد إتلافه. ثم استدل محمد رحمه الله في الكتاب بما روي: أن حنظلة بن أبي عامر وعبدالله بن عبدالله بن أبي ابن سلول رضي الله عنهما استأذنا رسول الله (ﷺ) في قتل أبويهما فنهاهما عن ذلك وعن عمير بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إني لقيت أبي في العدو، فسمعت منه مقالاً لك سيئة فقتلته. فسكت رسول الله (ﷺ) . وفي هذا دليل على أنه لا يستوجب بقتله شيئاً إذا قتله لأن النبي (ﷺ) لم يأمره بشيء. والسكوت عن البيان بعد تحقق الحاجة إليه لا يجوز. وأول الوجوه أن لا يقصده بالقتل، ولا يمكنه من الرجوع إذا تمكن معه في الصف، ولكنه يلجئه إلى موضع ويستمسك به حتى يجيء غيره فيقتله. انظر شرح السير الكبير ١: ١٠٦، ١٠٧.

(٢) المجادلة ٥٨/٢٢ وتمام الآية: أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه، ويدخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله الا إن حزب الله هم المفلحون» أما ما يتعلق بأبي عبيدة فقد جاء في أسد الغابة ٣: ١٢٨ برقم: ٢٧٠٥: ولما كان أبو عبيدة ببدر يوم الوقعة جعل أبوه يتصدى له، وجعل أبوعبيدة يحيد عنه، فلما أكثر أبوه قصده قتله أبوعبيدة فأنزل الله تعالى: «لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون =

ورويَ أنّ أبا حذيفة بن عتبةَ (١) بنِ عبد شمس وكان من فُضَلاءِ الصحابة شرفاً وسابقةً وهجرةً دعاه أبوه يوم بدرٍ إلى المبارزة وفيه تقول أختُه:

فما شكرتَ أباً ربّاك في صِغَرٍ حتى شَبِبت شباباً غير معجوب

قال مالك: ولا بأس بقتلِ الرجلِ ذوي رَحِمِهِ من الكفّار مبارزةً وغيرها.

ورويَ أنّ مُحَيِّصَةَ بنَ مسعود (٢) قتل رجلاً من اليهود بأمر النبيِّ - ﷺ - وكان أخوه حويِّصة أسنّ منه ولم يكنْ أسلمَ، فجعل يَضْرِب مُحيصةَ ويقول له: أيْ عدوَّ الله، قَتَلْتَهُ؟!! أمَا واللهِ لرُبَّ شحمٍ في بطنك من ماله!!

فقال/ [م٥٦] له مَحيصةُ: أمَا والله لقد أمرني بقتله مَنْ لو أمرني بقتلك لضربت عنقك.

قال: لو أمركَ بقتلي لقتلتني؟!

قال: نعم، واللهِ لو أمرَني بقتلِك لضربتُ عنقَك.

= من حادّ الله ورسوله..» وكان الواقدي ينكر هذا ويقول: توفي أبو أبي عبيدة قبل الإسلام. وقد رد بعض أهل العلم قول الواقدي.

(١) أبو حذيفة بن عتبة ٤٢ ق.هـ - ١٢هـ = ٥٧٨ - ٦٣٣م: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس، صحابي هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها وقتل يوم اليمامة. وهو خال معاوية بن أبي سفيان. الإصابة ٧: ٤٢ برقم: ٢٦٣ والأعلام ٢: ١٧١.

(٢) محيصة بن مسعود الأنصاري. قال ابن هشام: مَحيِّصة ويقال مُحيصة ورد خبر له في السيرة فحواه أنه قتل يهودياً بأمر الرسول (ﷺ) فجرى له على يد أخيه ما هو مذكور هنا. انظر السيرة ٢: ٥٨١ والإصابة ٦: ٦٨ برقم: ٧٨١٩.

قال حويِّصة (١) : والله إنَّ ديْناً بلغَ بك هذا لعجبٌ. فأسلم حويصةُ لذلك فقال مُحيصةُ :

يلومُ ابنُ امّي لو أمِرْتُ بقتله ... لطبّقتُ ذِفْراه بأبيضَ قاضب
حُسَامٌ كلونِ الملح أخلص صَقْلُهُ ... متى ما اصوِّبْه فليس بكاذب
ومَا سَرّني اني قَتَلْتُك طائعاً ... وأنّ لنا ما بين بُصرى ومأربِ (٢)

(١) حويِّصة بن مسعود : انصاريٌّ، شهد احداً والخندق وسائر المشاهد، انظر السيرة النبوية ٢: ٥٨١ و٨١٤ والإصابة ٢: ٤٨ برقم ١٨٧٧.

(٢) الخبر مع الشعر في السيرة النبوية ٢ : ٥٨١، ٥٨٢.

الباب
السادس عشر

في الشجاعة والإقدام

في الشجاعة والإقدام

كان رسولُ الله – ﷺ – أشْجعَ الناسِ، وكان يتعوّذ بالله من الجُبْن (١) .

قال بعضُ العلماء: جسْمُ الحرْبِ الشّجاعة (٢) .

وقالت الحكماءُ: أصلُ الخير كلّه في ثبات القلب (٣) .

فالشجاعةُ هي أمُّ الخصال الشريفة، ومَنْ فَقَدَها لم تكْمُلْ فيه خِصالُه.

قال رسول الله – ﷺ – بُعثتُ لأتمّمَ مكارمَ الأخلاق (٤) .

وكان عليه السلام من الشجاعة والنجدة بالمكانِ الذي لا يُجهَلُ، حَضَر

---

(١) كان رسول الله – ﷺ – يتعوذ من خمسٍ: من الجبن والبخل وسوء العمر وفتنة الصدر وعذاب القبر. ذكره السيوطي في فيض القدير ٤٨٤٣:٩ برقم ٦٩٧٢ وقال محققه: أخرجه أبو داود في سننه ١٥٣٩:٢ والنسائي في سننه ٥٤٥٨:٨ وابن ماجة في سننه ٣٨٤٤:٢ عن عمر وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ٤٥٣٣. أما قوله: سوء العمر فهو عدم البركة فيه بقوة الطاعة والإخلال بالواجبات. وأما فتنة الصدر فهي ماينطوي عليه الصدر من نحو حسدٍ وغل وعقيدة زائفة.

(٢) سراج الملوك ٦٨٩:٢

(٣) في سراج الملوك ٢: ٦٦٧: قالت الحكماء: أصل الخيرات كلها في ثبات القلب، ومنه تستمدّ جميع الفضائل، وهو الثبوت والقوة على ما يوجبه العدل والعلم.

(٤) الحديث في شرح السير الكبير ٩٧:١ وجاء في فيض القدير ٢٢٠٦:٤ برقم ٢٥٨٤: إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق. قال محققه: أخرجه أحمد ٣٨١:٢ وابن سعد ١: ١٥١ والبخاريّ في الأدب المفرد ٢٧٣ والحاكم في مستدركه ٦١٣:٢ قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وذكره البيهقي في شعب الإيمان ٧٩٧٨:٦ عن أبي هريرة. وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٣٤٩:١.

المواقفَ الصعبةَ والحروبَ الكبارَ فثَبَتَ إذْ فرَّ الكماةُ، وأقبلَ إذ أدبرَ الأبطالُ الحُماة، كل شجاعٍ سواه قد أُحصيت له فرّةٌ (١) . وكلّ نجدةٍ غيره قد حفظت عنه جولة، وحضر - ﷺ - قَبْلَ النبوّة حرب الفِجَار (٢) وهو ابن أربع عشرة سنة أو خمسَ عشرةَ فيما ذُكر (٣) .

وروِيَ أنّه - ﷺ - قال في ذلك: كنتُ أنْبُلُ على عمومتي إذْ (٤) أردّ عليهم نَبْل عدوِّهم إذا رَمَوْهم بها (٥) .

قال ابنُ عمرَ رضي الله عنه: ما رأيتُ أشجعَ ولا أنجدَ ولا أجْوَدَ ولا أرضى من رسول الله - ﷺ - (٦) .

وقال عليٌّ رضي الله عنه: إنّا كنّا إذا حميَ النّاس واحمرّت الحدَقُ اتّقينا برسول الله - ﷺ - فما يكون واحدٌ أقربَ إلى العدوّ منه، ولقد رأيتني يوم بدرٍ ونحنُ نلوذُ بالنبيّ - ﷺ - وهو أقربُنا إلى العدوّ، وكان من أشدّ الناس يومئذٍ بأساً.

وقيل: كان الشجاع هو الذي يقرب منه - ﷺ - إذا دنا العدوّ لقربه منه.

---

(١) انظر أخبار فرار بعض الشجعان العقد ١: ١٢٨ وما بعدها.

(٢) انظر في حرب الفِجار: السيرة النبوية ١: ١٢٤ والعقد الفريد ٥: ٢٥١ وما بعدها.

(٣) انظر السيرة النبوية ١: ١٢٤ والعقد ١: ٢٥٣ وقد كانت حرب الفجار قبل مبعث النبي - ﷺ - بستٍ وعشرين سنة. وقد شهدها النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن أربعَ عشرة سنة مع أعمامه. عن العقد.

(٤) في السيرة: أي أردّ...

(٥) السيرة النبوية ١: ١٢٤، ١٢٥.

(٦) سنن الدارمي: المقدمة: الحديث برقم ٥٩ قال ابن عمر: ما رأيت أحداً أنجد ولا أجودَ ولا أشجع ولا أضوأ وأوضأ من رسول الله (ﷺ).

وقال انس (١) : كـان النبيّ - ﷺ - احـسنَ الناس، واجـودَ الناس واشـجـع الناس. لقـد فـزع أهل المدينة ليلةً فـانطلقنا من قِبَلِ الصـوت فتَلَقّاهـم رسول الله - ﷺ - راجعاً قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرسٍ لابي طلحة عُرْيِ والسيف في عُنقه وهو يقول: لن تُراعوا لن تُراعوا (٢) .

وسـأل رجلُ البراء (٣) : أفررتم يوم حُنَيْن عن رسول الله - ﷺ -

قـال: لا، كـرّ رسـول الله - ﷺ - لم يفـرّ، ثم قـال: لقـد رأيتـه - ﷺ /[م٥٧] على بَغْلَتِهِ البيضاء وأبو سفيانَ آخذٌ بلجامها والنبيّ - ﷺ - يقول:

أنا النبـيُّ لا كـــذبْ   أنا ابنُ عبد المطّلب

(١) انـس بن مـالك ١٠ق.هـ - ٩٣ هـ = ٦١٢ - ٧١٢م انس بن مالك بن النضر بن ضـمـضـم النجّاري الخزرجي الانصاري، ابو ثمامة، او ابو حمزة صاحب رسول الله (ﷺ) وخادمه. مولده بالمدينة واسلم صغيراً وخدم النبي (ﷺ) إلى ان قبض، ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة فمات فيها وهو اخر من مات بالبصرة من الصحابة. عن الأعلام ٢: ٢٤.

(٢) في كتاب الخيل لابي عبيدة ١١٥ ... عن انس بن مالك قال: كان فزع بالمدينة فركب رسول الله (ﷺ) فرساً كان لابي طلحة فلما رجع - ﷺ - قال: لم نر شيئاً غير انا وجدناه بحراً اي: فرس ابي طلحة.

(٣) البـراء بن مـالك = ت٢٠ هـ - ٦٤١م : ابن النضـر بن ضـمـضم النجّاري الخـزرجي، صحابي، من أشجع الناس، شهد احداً وما بعدها مع رسول الله (ﷺ)، وكتب عمر إلى عماله: لاتستعملوا البراء على جيشٍ من جيوش المسلمين فإنه مهلكة يُقدم بهم. وكان في مظهره ضعيفاً، قتل مئة شخص مبارزة عدا مَنْ قتل في المعارك. نقل ابن الجوزي أن المسلمين انتهوا إلى حائط قد اغلق بابه فيه رجال من المشركين، فجلس البراء بن مالك على ترس وقال: ارفعوني برماحكم فالقوني إليهم ففعلوا فادركوه وقد قتل عشرة منهم. كان على ميمنة ابي موسى الاشعري يوم فتح تُسْتَر فاستشهد على بابها الشرقي وقبره فيها وهو أخو أنس بن مالك. الأعلام ٢: ٤٧.

قيل: فما رُئي يومئذٍ أحدٌ كان أشدّ منه.

وعن **العباس** (١) رضي الله عنه قال: لمّا التقى المسلمونَ والكفّار وولّى المسلمون مُدْبرين فَطفِقَ النبيّ - ﷺ - يُركضُ بَغْلَته نحو الكفّار وأنا آخذٌ بلجامها أكفُّها إرادة أن لا تُصرَع، **وأبو سفيانَ** آخذٌ بركابهِ ثم نادى: يا المسلمونَ.

قيل: وكان رسول الله - ﷺ - إذا غضب - ولا يغضب إلا لله - لم يقم لغضبه شيء.

ولمّا رآه **أبيّ بنُ خَلَف** (٢) يوم **أُحد** وهو يقول: أين محمدٌ - لا نجوت إنْ نجا - وقَدْ كانَ يقول للنبي - ﷺ - حين افتُدي يوم **بدرٍ**: عندي فرسٌ أعلفها كلّ يومٍ فَرَقاً (٣) من ذرةٍ أقتلك عليها. فقال له النبي - ﷺ - أنا أقتلكَ إنْ شاء الله. فلمّا رآه يوم **أُحد** شدّ **أُبيٌّ** على فرسه على رسول الله - ﷺ - فاعترضه رجالٌ من المسلمين. فقال النبيّ - ﷺ - هاكذا - أيْ

---

(١) **العباس بن عبد المطلب ٥١ ق.هـ - ٣٢ هـ = ٥٧٣-٦٥٣م** : ابن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجدُّ الخلفاء العباسيين وهو عمّ الرسول (ﷺ)، كان محباً لقومه سديد الرأي واسع العقل، مولعاً بإعتاق العبيد، وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام (وهي أن لا يدع أحداً يسبّ أحداً في المسجد ولا يقول فيه هجرا) أسلم بمكة وكتم إسلامه وأقام بمكة يكتب لرسول الله (ﷺ) أخبار المشركين ثم هاجر إلى المدينة وشهد وقعة حنين وفتح مكة. توفي بالمدينة الإصابة ٤: ٣٠ برقم ٤٤٩٨ والأعلام ٣: ٢٦٢. والأخبار المشار إليها هي في غزوة حنين.

(٢) **أبيّ بن خلف ت ٣ هـ = ٦٢٥م** : أبيّ بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمح، كان يحارب رسول الله (ﷺ) ويتعرّض له ويمنع الناس من مجالسته. وكان من سادة قريش.

وكان يهدد الرسوله (ﷺ) وحاول قتل الرسول ، (ﷺ) يوم أحد فقتله الرسول (ﷺ) بيده ذلك اليوم. السيرة النبوية ٢: ٦٠٢ و٦٠١ و٦٣٦.

(٣) الفَرَق: مكيالٌ بالمدينة يسع ثلاثة أصع أو ستة عشر رطلاً عن حواشي السيرة ٢: ٦٠٢.

خلّوا عن طريقه - وتناول الحَرْبة من الحارث بن الصمّة (١) فانتفض بها انتفاضةً تطايروا عنه تطاير (٢) الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله النبيّ - ﷺ - فطعنه في عُنقــهِ طعنةً تدأدأ (٣) منها عن فرسه مراراً. وقيل بل كسرَ ضلعاً من أضلاعه، فولّى نحو قريشٍ وهو يقول: قتلني محمد. ثم احتقنتْ طعنتُهُ فماتَ لعنهُ الله (٤).

قال عمرانُ بن حُصين (٥): ما لقيَ رسول الله - ﷺ - كتيبةً إلا كانَ أوّلَ مَنْ يضربُ. قال مالك بن عوف النّصْريّ حينَ أسلمَ:

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثلهِ	في الناسِ كلِّهم بمثلِ مُحمّدِ
أوْفى وأعْطى للجزيلِ إذا اجْتُدي	ومتى تشأ يُخْبِرْكَ عمّا في غدِ
وإذا الكتيبةُ عرّدتْ أنيابها	بالسمهريِّ وضربِ كلِّ مهنّدِ
فكأنّه ليثٌ على أشبالهِ	وسط الهَبَاءةِ خادر في مَرْصَدِ (٦)

واعلم أنَّ الشجاعةَ هي اعتقاد القوّة على دفع المعْتَرضِ بحسبِ

---

(١) الحارث بن الصمّة ت ٢ هـ = ٦٢٤م: الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك من بني عمرو ابن مالك بن النجار، وهو من أهل بدر، كسر بالروحاء فردّه النبيّ (ﷺ) وضرب له بسهمه ثلاثة نفر. الإصابة ١:٢٩٤ برقم ١٤٢٣ والسيرة النبوية ١:٥٢٣.

(٢) في السيرة النبوية ٢:٦٠٢: تطايرنا عنه تطاير الشّعْراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها.

(٣) تدادا: تقلّب عن فرسه فجعل يتدحرج. السيرة ٢: ٦٠٢.

(٤) انظر الخبر في السيرة النبوية ٢:٦٠١-٦٠٢.

(٥) عمران بن حصين ت ٥٢ هـ = ٦٧٢م: عمران بن حصين بن عبيد أبو نجيد الخزاعي، من علماء الصحابة، أسلم عام خيبر سنة ٧ هـ وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة، وبعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم وولاه زياد قضاءها وتوفي بها وهو ممن اعتزل حرب صفين. الإصابة ٥:٢٦ برقم ٦٠٠٥ والأعلام ٥:٧٠.

(٦) الخبر مع الشعر في السيرة النبوية ٢:٩٢٧، ٩٢٨ والسمهريّ: الرمح، والمهنّد: السيف. والهباءة: الغبار الذي يثور عند اشتداد الحرب.

الإمكان، وصورتها تظهر بالمغالبة والصبر ولذلك قال الأحنفُ (١) وقد سُئل عنها فقالَ: صبرُ ساعةٍ (٢) وسُئل أبو جهل عنها فقال: الصبرُ على حدِّ السيوف فُوَاق ناقةٍ (٣) – وذلك ما بين الحلبتين من مُهْلَةٍ –.

قال بعضهم: الشجاعة هي فضيلة قوة الغضب، ويعني بالفضيلة الاعتدال وهو استعمال تلك الصورة حيثُ ينبغي، واستعمالها حيث لا ينبغي هو طرفُ الجَوْر والتهوّر حتّى إنه ربّما ألقَى بيده إلى التهلكةِ.

وطرفُ التقصير والذلّ هو الجُبْنُ ومعناه الخوف من غلبةٍ المعترض والإلقاء بيد الذلّ مع إمكان الغَلَب، وذلكَ أنّ تلك الصورةَ إمّا أن تكونَ طرفاً أو واسطةً والطرف مذموم. وهو أحدُ شيئين: إمّا إفراطٌ / [م٥٨] وجَوْر وإمّا تقصيرٌ وذلٌّ. والواسطة هي صورة الخير وخيرُ الأمورِ أوسَطُها. فإذا صحّ هذا فإنّما يُحْمَدُ الفعلُ إذا صدر عن الرأي فيُسَمّى حينئذٍ حزماً ومعناه فعلُ ما يَنْبغي كما قال أبو الطيب المتنبي (٤) :

---

(١) الأحنف بن قيس ٣ ق. هـ – ٧٢ هـ = ٦١٩ – ٦٩١م: الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرّي السعدي المِنْقري التميمي أبو بحر، سيد تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين، يضرب به المثل في الحِلْم ولد في البصرة وأدرك النبي (ﷺ) ولم يره ووفد إلى عمر حين آلت الخلافة إليه في المدينة فاستبقاه عمر ومكث عاماً وأذن له فعاد إلى البصرة وشهد الفتوح في خراسان، واعتزل الفتنة يوم الجمل وشهد صفين مع علي ثم وفد على معاوية وولي خراسان وكان صديقاً لمصعب بن الزبير فوفد عليه بالكوفة وتوفي عنده.

تهذيب التهذيب ١٩١:١ والأعلام ٢٧٦:١.

(٢) سراج الملوك ٦٦٧:٢.

(٣) سراج الملوك ٦٦٧:٢.

(٤) المتنبي ٣٠٣-٣٥٤هـ = ٩١٥-٩٦٥م: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي الشاعر الحكيم، له الأمثال السائرة والحكم البالغة، ولد في الكوفة ونشأ بالشام وتنقّل في البادية. وسجنه لؤلؤ أمير حمص لادّعائه النبوة، حتى =

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشجعانِ هو أولٌ وهي المحلُّ الثاني
فإذا هُما اجتَمعَا لنفسٍ حُرَّةٍ بلغتْ منَ العلياءِ كلَّ مكانِ
ولربَّما طعن الفتى أقرانَه بالرأي قبل تطاعن الأقران
لولا العقولُ لكانَ أدنى ضيغمٍ أدنى إلى شرفٍ من الإنسان
ولَمَا تفاضلتِ الرجالُ ودبّرتْ أيدي الكماة عواليَ المرّان (١)

قال عليٌ رضي الله عنه: رأي الشيخ خيرٌ من جلْد الغلام (٢) .

وقالوا: الحَذَر زِمامُ الشجاعة والتهوّر عدوّ الشدة

ذكر **أبو الفَرج قُدامة** (٣) أنّ عناصرَ الفضائل الإنسانية أربعةٌ: **العقلُ والعفّةُ والعَدْلُ والشجاعة** وجَعَل من أقسام الشجاعة: الحمايةَ والدفاعَ والأخْذَ بالثأرِ والنكاية في العدوّ والمهابة وقَتْل الأقران والسير في المهامهِ والقِفَار (٤) وركوبَ الأخطار وتقحّم الأهوال، فالشجاعةُ هي أحدُ العناصر الأربعة من الفضائل الإنسانية، وهي في المرتبة العليا منها لما تدلُّ عليه من كمال الذكوريّة وما تقتضيه من الهيبة وحماية الحَوْزة والظّفَر بالعزّ.

= تاب ثم خرج واتصل بسيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ فمدحه ثم مضى إلى مصر فمدح كافوراً الإخشيدي ثم هجاه ثم اتجه إلى العراق وفارس وقتل في طريق عودته من شيراز بعد أن مدح عضد الدولة. عن الأعلام ١:١١٥.

(١) ديوان المتنبي: العرف الطيب ٢:٢٥١، ٢٥٢ والأبيات مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة.

(٢) العقد الفريد ١:٦٢ وفيه: رأي الشيخ خير من مشهد الغلام وانظر نهاية الأرب ٦:٧٥.

(٣) **أبو الفرج قدامة ت ٣٣٧ هـ = ٩٤٨م** : قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج، كاتب من البلغاء الفصحاء المتقدّمين في علم المنطق والفلسفة، كان في أيام المكتفي بالله العباسي وأسلم على يديه وتوفي ببغداد، يضرب به المثل في البلاغة. له كتب منها: الخراج ونقد الشعر وجواهر الألفاظ وكلها مطبوعة. عن الأعلام ٥:١٩١.

(٤) انظر كلام قدامة الذي ينتهي عند كلمة القفار في نقد الشعر ٦٧، ٦٨.

أوَ ليسَ من أعظمِ فضائلها أنّ الممالكَ العظيمةَ والدّولَ الكبار التي يضطرّ الخَلْقُ إلى وجودِها إنّما تقومُ وتثبتُ بأصحابِ تلك الصِّفَةِ. وهذا دينُ الإسلام المؤيّدُ بنصْرِ اللهِ الذي غلب على الممالك جميعاً وبلغ من أقصى الشرق إلى نهاية الغرب، هل ذلك ممّا قام بغير الشّجاعة والعزّة والفُتوّةِ.

كتب **أنو شِرْوان** (١) إلى مَرازِبته: عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فإنّهم أهلُ حُسْنِ الظنّ بالله (٢) .

قال بعضُهم: الشّجعانُ عند اللقاء ثلاثةٌ (٣) :

(فالأول) – رجلٌ إذا التقى الجمعان وتقاربَ الزّحْفَانِ واكتحلتِ الأحداقُ بالأحداق برزَ من الصفّ إلى وسطِ المعترك يحمل ويكرّ وينادي: هل من مُبارزٍ فهو أشرفُهم (٤) .

والثاني – إذا ناشبَ القومُ الحربَ وصاروا حرجةً مختلطين لا يدري أحدٌ مِنْ أين يأتيه الموتُ، فيكون رابطَ الجأش ساكنَ القلب حاضر اللبِّ، لم يخامرْهُ الدهَشُ ولا خَالطَتْهُ الحيرةُ، فيتَقلّب تقلّبَ القائم على نفسِه المالك لأمره، وهذا أحزمهم (٥) .

والثالث – إذا انهزمَ أصحابُه لزمَ السّاقةَ وضربَ في وجْهِ العدوّ

---

(١) أنو شروان هو كسرى ابرويز بن هرمز بن كسرى انوشروان. انظر نهاية الأرب ١٥:٢١٥ وما بعدها.

(٢) الخبر في العقد ١:١٠٠.

(٣) النقل من سراج الملوك ٢:٦٧١ وفيه: واعلم أن الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه:

(٤) عبارة «فهو أشرفهم» ليست في سراج الملوك.

(٥) عبارة سراج الملوك: والثاني: إذا التحم القوم واختلطوا، ولم يدر أحدٌ من أين يأتيه الموت... وعبارة «وهذا أحزمهم» ليست في سراج الملوك.

وحالَ بينه وبين أصحابِه ورجّى الضّعفاءَ وقوّى قلوبَهم، وأمدّهم بالكلامِ الجميل، وشجّعَ نفوسَهم، فَمَنْ وقَعَ أقامــه، ومَنْ وقــف حمــله، ومَنْ كردس (١) عن فرسه كشفَ عنه حتّى ييأس العدوّ منه وهذا أحمدُهم.

وعَنْ هذا قالوا: المقاتلُ وراء الفارّين كالمستغفر/ [م ٥٩] من وراء الغافلين (٢) .

قال هشام بن عبد الملك (٣) لأخيه مَسْلَمةَ بن عبد الملك (٤) : أبا سعيد، هل دخلك ذُعْرٌ قطّ لحربٍ أو عدوّ؟

قال: ما سلمت في ذلك من ذعرٍ ينبّه على حيلةٍ، ولم يغْشَني ذعْرٌ فَيَسْلبني رأيي.

قال هشامٌ: صدقت هذه والله الشّجاعة (٥) .

---

(١) كردس: هنا بمعنى وقع وهي في المعجم بمعنى كردس القائدُ الخيل أو الجيش أي جعله كراديس.

(٢) وبعد ذلك: ومن أكرم الكرم الدفاع عن الحرم. سراج الملوك ٢: ٦٧١ وقد نُقل عنه بتصرف.

(٣) **هشام بن عبد الملك ٧١-١٢٥هـ = ٦٩٠-٧٤٣م** : هشام بن عبد الملك بن مروان من ملوك الدولة الأموية بالشام، ولد في دمشق وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ. وخرج عليه زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢٠هـ بأربعة عشر ألفاً من أهل الكوفة، فوجّه إليه مَنْ قتله وفلّ جمعه، ونشبت في أيامه حرب هائلة مع خاقان الترك في ماوراء النهر انتهت بمقتله واستيلاء العرب على بعض بلاده اجتمع في خزانته من المال مالم يجتمع في خزانة أحد من ملوك بني أمية في الشام. وبنى الرصافة قرب الرقة، وكان يسكنها في الصيف وتوفي فيها.

كان حسن السياسة، يقظاً في أمره، يباشر الأعمال بنفسه. عن الأعلام.

(٤) **مسلمة بن عبد الملك ت ١٢٠هـ = ٧٣٨م** : مسلمة بن عبد الملك بن مروان، أمير قائد من أبطال عصره، من بني أمية في دمشق، يلقب بالجرادة الصفراء، له فتوحات مشهورة. سار في مئة وعشرين ألفاً لغزو القسطنطينية في دولة أخيه سليمان. وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية. وغزا الترك والسند سنة ١٠٩ ومات بالشام. الأعلام ٧: ٢٢٤.

(٥) انظر الخبر في عيون الأخبار ١: ١٧٢ والعقد الفريد ١: ١٠٤

وقال عمرو بن مَعْدِ يْكرِب:

الفزعات ثلاث، فمن كانت فزعتُه في رِجْليه فذلك الذي لا تقلُّهُ رجُلاه. ومَنْ كانت فزعتُه في رأسه فذلك الذي يفرّ عن أبويه، ومن كانت فزعتُه في قلبه فذلك الذي يقاتل (١).

والأخلاقُ الطبيعيةُ هي التي تَصْحَبُ الإنسانَ في كافّة أموره، وهي عسيرةُ الانتقال أو ممتنعةُ، وذلك لأنّها من مقتضَى تركيب الجسم وكيفية المزاج، فإنّ الحكمةَ التي لا تفاوتَ فيها قضيت بمناسبة الحامل لمحموله وإتباع العَرَض لجوهره. فأمّا الأخلاقُ المُتَصنَّعَةُ والعَرَضيَّةُ فلا اعتبارَ بها، فقد نجدُ الجبانَ ربّما شجع والبخيل ربّما سخا. «هؤلاء ليسوا في مثل هذا جارين على ما توجبُه طبائعُهم وتقتضيه كيفيّةُ أمزجتهم، لكن الأمور حادثةٌ إذا قدّر عدمها بطل ذلك التصنّع، والنفسُ أقوى شيءٍ إذا وجدتْ سبيلَ الحيلةِ، وهي أضعف شيءٍ إذا يئستْ من الحيلة.

فمن الأمورِ المُشَجِّعَة توهّم الخلاص قريباً، وتوهّم الأمر المخوف إمّا مفقوداً وإمّا بعيداً. ومنها أنْ يتوهّم العدةَ التي يلقى بها الأمرَ المخوفَ قريبةً منه، ومنها ان يتخيّلَ أنّ له أعواناً كثيرةً أو قوماً يمنعونَهُ أنْ يُنال بشَرٍّ، ومنها أنْ يكون قد أشرفَ على الأمرِ العظيم مراراً كثيرةً وتخلّصَ منه فإنّ هذا يُكسبُه شجاعةَ التجربة.

قال خالد بن الوليد عند موته - رحمةُ الله تعالى عليه - لقدْ لقيتُ

---

(١) الخبر في العقد ١: ١٣٨.

كذا وكذا زحفاً وما في جسدي موضع شبرٍ إلا وفيه ضربةٌ أو طعنةٌ أو رميةٌ ثمّ ها أنذا أموتُ حتْفَ أنفي (١) ، فلا نامتْ أعين الجبناء (٢) .

قال قَطَريُّ بن الفُجاءة (٣) :

لا يركَنَنْ أحدٌ إلى الإحجامِ يوم الوغَى متخوِّفاً لحِمامِ
فلَقَدْ أراني للرماح دريئةً من عن يميني تارةً وأمامي
حتّى خَضبتُ بما تحدَّر من دمي أحناء سرجي بل عنان لجامي
ثمّ انصرفتُ وقد أصبتُ ولم أُصَبْ جذَع البصيرةِ قارحَ الإقدام (٤)

وكذلك عدم التجربة أيضاً مشجعٌ للجهل بما في ذلك الأمر من

---

(١) في العقد ١: ١٣٩: أموت حتف أنفي كما يموت العَيْر.

(٢) الخبر في العقد ١: ١٣٩ وفي عيون الأخبار ١:١٦٥.

(٣) قطري بن الفُجاءة ت (٧٨هـ = ٦٩٧م) : قطري (أبو نعامة) ابن الفُجاءة واسمه «جعونة» ابن مازن بن يزيد الكناني المازني التميمي من رؤساء الأزارقة (من الخوارج) وأبطالهم، من أهل (قطر) كان خطيباً فارساً شاعراً استفحل أمره في زمن مصعب بن الزبير (ت٧١هـ) لما ولي العراق نيابةً عن أخيه عبدالله. وبقي قطريٌ ثلاث عشرة سنة يقاتل ويسلّم عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين، والحجّاج يسيّر إليه جيشاً بعد جيش وهو يردّهم ويظهر عليه، وكانت كنيته في الحرب أبا نعامة (ونعامة فرسه) وفي السلم أبا محمد. كان فصيحاً مفوّهاً سيداً عزيزاً. اختلف في مقتله. عن الأعلام ٥/٢٠٠ وقد جمع الدكتور إحسان عباس شعر قطريٍ ضمن كتاب «شعر الخوارج» والأبيات في الكتاب المذكور ص ١١٢ برقم ١٠٩ وفي الحماسة بشرح المرزوقي ١/١٣٦ برقم ٢٠

(٤) الأبيات في شعر الخوارج ١١٢ برقم ١٠٩ ومعنى قوله: لا يركنن أي لا يميلن والإحجام النكوص. والدريئة هي الحلقة التي يُتعلم عليها الطعن. وأحناء السرج: نواحيه والجذع: الشاب الحدث والقارح: هو الذي انتهى سنه ومعنى البيت كما فسّره أبو العلاء المعري أنه قد كان لم يزل شجاعاً فإقدامه قارح وبصيرته محدثة لأنه كان فيما سلف لايرى رأي الخوارج ثم تبصّر في آخر أمره فعلم أنهم على الحق. عن محقق شعر الخوارج وفي شعر الخوارج بيتان بعد هذه الأبيات وهي في الحماسة أربعة أبيات.

المخاطر، ومثال ذلك ما يعرضُ للذين يركبون البحر عند ارتجاجه وهَوْله، فإنّ الذينَ لم يجرّبوا أهوال البحر يكونون شجعاناً لجهلهم بالعواقب، والذين لهم تجربةٌ به يكونون أيضاً شجعاناً لماَ اتّفق لهم من السلامة قبل ذلك.

قال عليّ رضوان الله عنه: مَنْ فكر في العواقب لم يَشْجُعْ (١) . فإذا كان ترك التفكّر فيها مُشجّعاً فالجهلُ بها أحرى، قال ابن علّفة (٢) [م ٦٠] :

إذا همَّ الفتى بين عينيه عَزْمَهُ   وأعرضَ عن ذكْر الحوادث جانبا
ولم يَسْتَشِرْ في رأيه غيرَ نفسه   ولم يرضَ إلا قائمَ السيفِ صاحبا (٣)

ومما يشجع أن يعتقد الإنسانُ أنّه أفضلُ من الذي يغالبه، والغضبُ أيضاً مما يشجّع، وممّا يحركُ الغضبَ أنْ يكونَ مظلوماً غير ظالم فإنّ المظلوم يشجّعه الغضبُ وثقتُه بأنّ الله ينصر المظلومين، وكذلك أيضاً يُحرِّكُ الغضبُ بذكر الضغائن والأحقاد.

---

(١) قول عليّ في العقد ١:٩٧.

(٢) هذه الأبيات لسعد بن ناشب بن مازن بن عمرو بن تميم وهو شاعر إسلامي كان من شياطين العرب، وهو صاحب يوم الوقيط في الإسلام بين تميم وبكر بن وائل (انظر العقد ٥:١٨٢) وانظر خزانة الأدب ٣:٤٤٤ وسمط اللآلي:٧٩٢ والشعر والشعراء ٦٧٧ وفي شرح التبريزي: أنه كان أصاب دماً فهدم بلال داره. واشتقاق «ناشب» من قولهم: رجل ناشب: أي ذونشب. عن حاشية الحماسة بشرح المرزوقي ١:٦٧.

(٣) البيتان هما الثامن والتاسع من الحماسية العاشرة التي ذكرها أبو تمام برقم (١٠) وهي تسعة أبيات أولها:

سأغسل عني العار بالسيف جالباً   عليّ قضاءُ الله ما كان جالبا

انظر الأبيات مع شرحها في شرح المرزوقي للحماسة ١:٦٧ برقم ١٠ كذلك ذكرها ابن قتيبة في عيون الأخبار ١:١٨٧، ١٨٨.

كان أبو مسلم (١) صاحب الدولة العباسية يقول لقوّاده: أشْعِروا قلوبكم الجرأة فإنّها من أسباب الظّفر، وأكثروا ذكْرَ الضغائن فإنّها تبعث على الإقدام، والزموا الطاعةَ فإنّها حصن المحارب، وإذا عرضَ لكم أمران أحدهما أقربُ إلى الموت فآثروه (٢) .

ومما يشجّع قول العرب: الشجاعُ موقّى والجبانُ ملقّى (٣) ، قالوا - واعتبرْ ذلك - فإنّ مَنْ يُقتلُ مدبراً أكثر ممن يقْتَلُ مقبلاً. ولذلك قال أبوبكر رضي الله عنه لخالد بن الوليد: احرصْ على الموت توهب لك الحياة (٤) قال الحُصَيْنُ بن الحُمام (٥) :

---

(١) ابو مسلم (١٠٠-١٣٧هـ = ٧١٨-٧٥٥م) : ابو مسلم الخراساني، عبد الرحمن بن مسلم، مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة، ولد في (ماه البصرة) مما يلي اصبهان، اتّصل بإبراهيم الإمام (من بني العباسي) فارسله إلى خراسان داعية فاستمال اهلها واستولى على نيسابور فخطب باسم السفاح العباسي وشارك في هزيمة مروان بن محمد، وارتفع شأن أبي مسلم وبلغ منزلةً عالية فقتله أبو جعفر المنصور.
كان أبو مسلم فصيحاً بالعربية والفارسية مقداماً داهيةً حازماً راوية للشعر قصير القامة أسمر اللون رقيق البشرة، حلو المنظر، طويل الظهر قصير الساق، لم يُرَ ضاحكاً ولا عبوساً، خافض الصوت في حديثه قاسي القلب. عن الاعلام ٣٣٧:٣.

(٢) النص إلى هنا في عيون الأخبار ١٢٤:١.

(٣) في مجمع الأمثال: الشجاع موقى ١٦١:٢ برقم ١٩٤٩ قال: وذلك انّه قلّ مَنْ يرغب في مبارزته - أي مبارزة الشجاع - خوفاً على نفسه، وهذا كما يقال: احرص على الموت توهب لك الحياة. وانظر شرح الحماسة للمرزوقي ١٩٧:١.

(٤) عيون الأخبار ١٢٦:١.

(٥) الحصين بن الحُمام ت نحو(١٠ق.هـ =٦١٢م) : ابن ربيعة المرّي الذبياني ابو يزيد، شاعر فارس جاهلي، كان سيد بني سهم بن مرّة (من ذبيان) ويلقب «مانع الضيم» في شعره حكمة، وهو ممن نبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية. مات قبل ظهور الإسلام. وقيل: أدرك الإسلام. الأعلام ٢٦٢:٢. سمط اللآلئ ٢٢٦ خزانة الأدب ٩/٢.

تأخّرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجدْ لنفسي حياةً مثلَ أنْ أتقدّما
فَلَسْنَا على الأعقابِ تَدْمَى كلومنا ولكنْ على أقدامنا يقطرُ الدما (١)

وكذلك يشجع طلبُ التخلّص إذا انقطعت الآمال، فمن أمثالهم في ذلك: **مُكْرهٌ أخوك لا بطل** (٢) . وأصله أنّ بَيْهساً الفزاريّ الملقّب بنعامة حين قُتِلَ إخوتُه طلبَ بثأرهم، وكانَ له خالٌ يُكْنى أبا حشر، فقال له بيهس: اخرجْ بنا إلى موضع كذا، وكتمه ما يريدُ به، ثم مضى به إلى الذين يطلبهم، فهجمَ به عليهم فجاة ثم قالَ: ايهِ أبا حشر، ضرباً أبا حشر فلمّا رأى أبو حشر أنّه قد نزلتْ به البليّةُ جعلَ يذبُّ عن نفسه ويقاتلُهم بجهده. فقال الناس: ما أشجعَه حين قدِمَ على هؤلاء.

فعندها قال أبو حشر: مُكْرهٌ أخوك لا بطل، أي ليس هذه الشجاعة مني ولكن حُملتُ عليها.

وممّا يشجّع أيضاً اعتقادُ التمدّح والتشرّف بالموت في القتال كما قال **عبدالله بن الزبير بن العوّام**: إنّا واللهِ لا نموتُ حتْفاً ولكن قَعْصاً بأطراف الرماح ومَوْتاً تحتَ ظلال السيوف (٣).

---

(١) البيتان من حماسية وردت في ثلاثة أبيات، وثالثها:

تفلّق هاماً من رجالٍ أعزّةٍ علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

والأبيات في الحماسية بشرح المرزوقي ١: ١٩٧ برقم ٤١.

(٢) ورد هذا المثل في مجمع الأمثال للميداني ٣: ٣٤١ برقم ٤١١٧ ويريد أنه محمول على ذلك - أي الشجاعة - لا أنّ في طبعه شجاعة. يضرب لمن يُحمل على ما ليس من شأنه. وقصة المثل وردت بالتفصيل في مجمع الأمثال ١: ٢٦٨ برقم ٧٧١ عند تفسيره للمثل: ثُكْلٌ أرأمها ولداً. وقد أورد مؤلف تحفة الأنفس القصة موجزة.

(٣) قال ابن الزبير ذلك لما أتاه خبر مقتل أخيه مصعب بن الزبير، فخطب وقال: إنْ يقتلْ فقد =

وقال **السَمَوال** (١) :

ومـا مـاتَ منّا سـيّدٌ في فـراشـه ... ولا طُلَّ منّا حـيثُ كـان قـتـيلُ
تسـيلُ على حـدّ الظُبـاتِ نفـوسنا ... وليست على غير الظبات تسيلُ (٢)

وقال الآخر:

إنّا لِمنْ مَعْشرٍ أفنى أوائلهـم ... قيلُ الكُماةِ: الا أين المحامونا (٣) [م٦١]

ويُروى عـن **عليٍّ** رضي الله عنه أنّه قـال: بقـيّةُ السـيف أنمى عـدداً وأنجبُ ولداً. فاستُدِلّ على صدقه عليه السلام بأبنائه وما عمِلَ السيفُ فيهم وفي **آل الزُبير** وكثرة أعدادهم ونموّهم (٤).

وكذلك يشجّع خوفُ الذمّ بالفرار كما قال **معاوية بن أبي سفيان**:

= قُتل ابوه واخواه وعمه، إنّا والله لانموت حتْفاً، ولكن نموت قعصاً بأطراف الرماح وموتاً تحت ظلال السيوف وإنْ يقتلْ مصعب فإنّ في آل الزبير خلفاً منه. العقد الفريد ١:١٠١ ويقال: مات قَعْصاً إذا اصابته ضربة او رمية فمات مكانه.

(١) السمـوال (ت ٦٥ق.هـ = ٥٦٠م) : السموال بن غريض بن عادياء الأزدي، شاعر جاهلي حكيم، من سكان خيبر شمالي المدينة، كان يتنقّل بينها وبين حصن له سمّاه «الابلق» اشهر شعره لاميته التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكـل رداءٍ يرتديـه جميـلُ

وهي من اجود الشعر. والسموال هو الذي ضرب به المثل في الوفاء. الأعلام ٣:١٤٠ معاهد التنصيص ١: ٣٨٨ السمط ٥٩٥ وانظر مجمع الأمثال ٢: ٤٤٦ برقم ٤٤٣٢ وفيه المثل: أوفى من السموال وفيه قصة المثل.

(٢) البيتان هما العاشر والحادي عشر من الحماسية (١٥) وهي التي اولها البيت المذكور في التعليق السابق. انظر شرح الحماسة للمرزوقي ١:١١٧ برقم ١٥.

(٣) هذا البيت الثامن من الحماسية ١٤ وهي لبشامة بن جزء النهشلي او ابن حزن ويبدو ان الشاعر إسلامي انظر شرح الحماسة ١:١٠٠،١٠٧ برقم ١٤.

(٤) الخبر في العقد ١:١٠٢، ١٠٣ واشار محققوه إلى ان الخبر في البيان والتبيين ٢:١٦٨.

لقد رأيتني ليلة الهرير بصِفّين (١) وقد اثبتّ بفرسٍ أغرَّ محجَّل بعيد البطن من الأرض وأنا أريد الهربَ لشدَّة البلوى فما حملني على الإقامة إلا أبياتُ عمرو بن الإطنابة (٢) :

أبتْ لي شيمتي وأبى بلائي | وأخذي الحمدَ بالثَّمَنِ الربيحِ
وإقدامي على المكروه نفسي | وضربي هامة البطل المشيحِ
وقولي كلّما جشأتْ وجاشتْ | رُوَيْدَك تُحمَدِي أو تستريحي
لأدفعَ عن مآثرَ صالحاتٍ | وأحمي بعدُ عن عِرْضٍ صحيحِ (٣)

فأمّا عليّ بن أبي طالب فرويَ أنّه كان يخرج كلَّ يومٍ بِصِفّين حتّى يقف بين الصفّين ويقول:

أيَّ يوميَّ من الموتِ أفرْ | يومَ لا يُقْدَرُ أم يوم قُدِر
يوم لا يُقْدَرُ لا أرهبه | ومن المقدور لا ينجي الحذَرْ (٤)

---

(١) صفّين: موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي، وكانت حرب صفين بين علي بن أبي طالب ومعاوية سنة ٣٧هـ. وقد صنف في أخبارها نصر بن مزاحم كتاباً كاملاً نشر في مصر بتحقيق عبد السلام هارون. وليلة الهرير من ليالي القادسية واستعير الاسم هنا لبيان شدة القتال.

(٢) عمرو بن الإطنابة (ت؟) : هو عمرو بن عامر بن زيد مناة الكعبي الخزرجيّ، شاعر جاهلي فارس، كان أشرف الخزرج، اشتهر بنسبته إلى أمه الإطنابة بنت شهاب من بني القين. وفي الرواة مَنْ يعدّه من ملوك العرب في الجاهلية، كانت إقامته بالمدينة، وكان على رأس الخزرج في حرب لها مع الأوس. وهو الذي استشهد معاوية بأبياته يوم صفّين. عن الأعلام ٥:٨٠ والسمط: ٥٧٥.

(٣) الشعر مع الخبر في عيون الأخبار ١:١٢٦ وقد زاد فيها بيتاً خامساً والخبر مع هذا الشعر نفسه في العقد ١: ١٠٤ . ١٠٥ وهناك خلاف في رواية بعض الألفاظ. ومعنى قوله: جشأت وجاشت أي تطلعت ونهضت جزعاً وكراهةً

قال المبرد في الكامل: ٥٣: المشيح: الحامل الجاد، يقال: أشاح يشيح إذا حمل. وانظر أيضاً الكامل ٢:٣٥١.

(٤) انظر الخبر والشعر في العقد الفريد ١:١٠٥ وتكرر ذكر الشعر فيه ٥:٢٧٤.

فشجّعه رضي الله عنه الأمن منَ الأجل أنّه لا يأتيه قَبْل وقته، فهذا أشرفُ وأقوى من الذي ذكرناه عن معاوية، وذلك انّ اعتقاد هذا مشجّعٌ في كلّ حين، فالمرءُ به شجاعٌ أبداً مع انه على حَزْمٍ وحقٍ ومعرفةٍ بالعاقبة وعملٍ بما يَنْبغي.

وامّا الخوفُ من الذم فليس اعتقاده مُستَصْحباً في كلّ موضع، فربّما قرر المرءُ مرةً أنه لا يُدركه ذمٌّ، فإذا اعتقد ذلك صنعَ ما هو أحسنُ له في الحال وأيضاً فإنّه لم يَخْلُ من خَوْفِ الموتِ واستِحْبابِ الحياة، واعتقادُ هذا ضعفٌ وإن كانَ قد فضّل السلامةَ من الذمّ على السلامةِ من الموت، وهو بعد ذلك كلّه تصنّعٌ من أجلِ الناسِ لا من أجل نفسه والتصنّع للناسِ ضعفٌ، وكانت شجاعةُ عليّ رضي الله عنه طبعاً لا يُتكلّف.

قيل له: أتقتلُ أهل الشّام بالغداة وتظهرُ بالعشيّ في إزارٍ ورداء؟! فقال: بالموت تخوّفوني!! واللهِ ما أبالي سقطْتُ على الموتِ أو سقطَ الموتُ عليّ (١) . وقال **عنترة** (٢) :

بكّرتْ تخوّفني الحتوفَ كأنني	أصبحتُ عن غرض الحتوف بمعزلِ
فأجبتُها إنّ المنيّة منهلٌ	لابُدَّ أن أُسقى بكأس المنهلِ
فَاقْنَيْ حياءك لا أبالكِ واعلمي	أنّي امرؤٌ ساموتُ إنْ لم أُقْتلِ (٣)

(١) انظر الخبر في العقد ١٠٢:١ والكامل.

(٢) عنترة ت نحو ٢٢ق. هـ = نحو ٦٠٠م : عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسيّ، أشهر فرسان العرب في الجاهلية، وهو من أهل نجد، كان من أحسن العرب شيمةً ومن أعزّهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة، وقل أن تخلو قصيدة من قصائده من ذكر عبلة ابنة عمه التي كان يحبها. وشهد حرب داحس والغبراء، وقتله الأسد الرهيص أو جبار بن عمرو الطائي. عن الأعلام ٩١:٥ والأغاني ٢٣٧:٨ وخزانة الأدب ٦٢:١.

(٣) الأبيات في العقد ١٠٦:١.

وقال قَطريُّ بن الفُجاءة:

أقــولُ لهــا وقــد طارتْ شَعَاعــاً ... مــن الأبـطـالِ ويحَكِ لا تُراعــي (١)
فــإنّك لو ســألتِ مــزيدَ يومٍ ... على الأجلِ الذي لكِ لم تطاعي (٢)
فصبراً في مجال الهولِ صبراً ... فما نَيْلُ الخلودِ بمستطاعِ (٣)
ولا ثوبُ البـقـاء بثـوب عـزٍّ ... فيُطوى عن أخي الخنعِ اليراعِ (٤)
سـبـيلُ الموتِ غـايةُ كلِّ حيٍّ ... فـداعـيـه لأهل الأرض داع
ومَنْ لا يُعْتَبطْ يسـأم ويهـرمْ ... وتُسْلِمه المنونُ إلى انقطاعِ (٥)

وقال النَمرِ بن تَوْلب العُكْليّ (٦) :

إذا أنتَ لا قـيتَ في نجـدةٍ ... فـلا تَتَهـيّبْكَ أن تُقْدِمَا
فـإنّ المنيّةَ مَنْ يَخْشَـهـا ... فسوف تُصادفُه أيْنَمَـا
وإنْ تتخطّاك أسـبـابُهـا ... فإنّ قُصـاراك أنْ تُهـزما
ولو أنّ مِنْ حَتْفِه ناجـيـاً ... لألفـيـتَهُ الصدَّعَ الأعْصَمَا

---

(١) طارت شعاعاً: أي تفرقت وانتشرت من الخوف. عن شعر الخوارج ص ١٠٨.

(٢) في شعر الخوارج: ... بقاء يوم.

(٣) في شعر الخوارج .... في مجال الموت.

(٤) أخو الخنع: الذليل. واليراع: الجبان عن شعر الخوارج: ١٠٩.

(٥) يُعتبط: يموت من غير غير علة. يسأم: يملُّ من الهرم وتكاليفه وقد ورد بعد هذا البيت بيت سابع هو: وما للمرء خيرٌ في حياةٍ ... إذا ما عُدَّ من سَقَط المتاع
وتجد تخريج الأبيات في شعر الخوارج: ١٠٩.

(٦) النمر بن تولب: (ت نحو ١٤هـ= ٦٣٥م) : شاعر مخضرم، عاش عمراً طويلاً في الجاهلية، وكان فيها شاعر (الرباب) ولم يمدح أحداً ولا هجا، كان من ذوي النعمة والوجاهة، جواداً وهّاباً لماله، ادرك الإسلام وهو كبير السن فأسلم وحمل كتاب رسول الله (ﷺ) لقومه، وعُدّ في المعمّرين. وكان أبو عمرو بن العلاء يسمّيه: الكيّس لحسن شعره. عن الأعلام ٨:٤٨ والإصابة برقم ٨٨٠٤. وأبياته من قصيدة أولها:
سلا عن تذكره تكتما ... وكان رهيناً بها مغرما
والقصيدة في كتاب شعراء إسلاميون وفيه شعر النمر بن تولب ق ٣٨ ص ٣٧٨ وما بعدها نقلاً عن منتهى الطلب.

وقال ابو الطيّب :

ولوَ أنّ الحياة تبقى لحيٍّ لعددنا أضلَّنا الشُّجعانا (١)

[وقال آخر] :

جمع الشجاعة والخضوع لربّه

ما أحسن المحرابَ في المحرابِ (٢)

وبقوة (٣) القلب يصبر الجليسُ على أذى الجليس وجَفاء الصاحب، وبقوّة القلْب تُلْتقى الكلمة العوراء والفعلة الزلاّء ممّن جاءتْ، وبقوة القلب تَنْفذُ كلّ رويّةٍ وعزيمةٍ أوجبها العقلُ والعدلُ والحَزْمُ. وبقوّةِ القَلْبِ يضحكُ الرجالُ في وجوه الرجال وقلوبُهم مَشْحونةٌ بالضغائن والأحقاد كما قال أبو ذرّ: إنّا لنكشّر في وجوهِ أقوامٍ وقلوبُنا تُلعَنُهم (٤) . وقال عليّ رضي الله عنه: إنّا لنصافح أكفّاً نرى قَطْعها. وليس الصبر/ [س ٨٢] والشجاعةُ وقوّة النفس أنْ يكون المرءُ مصرّاً في المِحالِ لجوجاً في الباطل، ولا أنْ يكونَ جلْداً عند الضرْبِ صبوراً على الجهل، مصمّماً على التغرير والتهوّر، فإنّ هذه صفة الخنازير والحمير، ولكن أنْ يكونَ صابراً على أداءِ الحقوق، صَبُوراً على سماعِها وإلقائها إليه، غالباً لهواه، مالكاً لشهواته، ملتزماً للفضائل بجهده، عاملاً في ذلك على الحقيقة التي

---

(١) العرف الطيب: ٢:٢٤٧.

(٢) البيت في سراج الملوك ٢: ٦٦٩ غير منسوب. والمحراب الأولى بمعنى الشجاع الخبير بالحرب، والمحراب الثانية بمعنى مقام الإمام في المسجد.

(٣) النقل عن سراج الملوك ٢: ٦٦٩.

(٤) ذكر محقق سراج الملوك أن هذا الحديث اخرجه البخاري عن أبي الدرداء في كتاب الادب باب المداراة مع الناس ج ١٠ ص ٥٢٧ من فتح الباري.

لا يُحيلُه عنها حياةٌ ولا موت حتّى يكونَ عنده الموتُ على الخير الذي أشار به العلمُ وأوجبه العدلُ، خيرٌ من البقاء على ما أوجبه رفض العلم والعدل، كما قالَ عليٌّ لابنه الحُسين رضي اللهُ / [م٦٣] عنهما: وما يُبالي أبوك أنّ الخَلق خالفوه إذا كانَ على الحقّ، وهل الخير كلّه للحق إلاّ بعد الموت (١) .

ونختم هذا الباب بصاحبي رسول الله - ﷺ - ومتولِّيي الخلافة بعده، ونذكر محلّهما من الشجاعة.

رُوِيَ عن محمد بن عقيل (٢) قال: خطبنا عليٌّ بن أبي طالب فقال: أيُّها الناس، أخبروني بأشجع النّاس

قالوا: أنتَ يا أمير المؤمنين.

قال: أما إني ما بارزتُ أحداً إلاّ انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس.

قالوا: لا نعلم، فمن ؟

قال: أبو بكر الصدّيق إنّه لمّا كان يوم بدر جعلنا لرسول الله - ﷺ - عريشاً فقلنا: مَنْ يكون مع رسول الله - ﷺ - لئلا يهوي إليه أحدٌ من المشركين؟

فواللهِ ما دنا أحدٌ إلاّ أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله - ﷺ -/ [س٨٣] لا يهوي إليه أحدٌ إلاّ أهوى إليه، فهو أشجع الناس (٣) .

---

(١) انتهى النقل من سراج الملوك ٢ :٦٧٠.

(٢) محمد بن عقيل بن ابي طالب الهاشمي روى عن أبيه. تهذيب التهذيب ٥ :٢٠٨ برقم ٧٢٧٠.

(٣) خبر وجود ابي بكر مع رسول الله (ﷺ) في عريش واحد في السيرة النبوية ١/٤٥٩.

ورُوي أن رسول الله - ﷺ - كان يقول قبل إسلام **عمرَ بنِ الخطّاب**:
اللهّم أيّدِ الإسـلامَ **بأبي الحكم بن هشام أو بعمرَ بن الخطاب** (١) .
قال **ابن مسعود** (٢) : فلقد كنّا مـا نصلّي عند الكعبة حتّى اسلم عمر.
فلمّاً أسلمَ قاتل قُريشاً حتّى صلّى عند الكعبة وصلّينا معه. فكان إسلامُه
فتحاً وهجرتُه نصراً وإمامتُه رحمة (٣) .

فمنَ الشجاعة تستمدُ جَميعُ الفضائل وهي الثبوتُ والقوّة على ما يوجبه العلمُ والعدل

ولابدَّ مِنْ حَتْفٍ يُلاقِيكَ يَوْمُه

فَلا تَجْزَعَنْ مِنْ مَوْتةٍ هيَ ما هيا

---

(١) الخبر في السيرة النبوية ١: ٢٣١.

(٢) ابن مسعود: ٣٢ هـ = ٦٥٣م : عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، ابو عبد الرحمن، صحابي، من اكابرهم فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله (ﷺ)، وهو من اهل مكة ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادم رسول الله الأمين وصاحب سره ورفيقه في حله وترحاله وغزواته يدخل عليه في كل وقت. توفي بالمدينة ايام خلافة عثمان. عن الأعلام.

(٣) هذه العبارة الأخيرة: كان إسلام عمر فتحاً... الخ ذكرت في العقد ٤: ٢٧٠ مروية عن القاسم ابن عمر.

الباب
السابع عشر

في صفة الحرب وتدبيرها والمكيدة فيها

في صفة الحرب وتدبيرها والمكيدة فيها

الحربُ ثِقالها الصبر، وقُطْبها المكر، ومدارها الاجتهاد، وثِقَافُها الأناةُ، وزِمامُها الحذَر. ولكلّ شيءٍ من هذه ثمرة، فثمرةُ الصبرِ التأييد، وثمرة المكْرِ الظَفرُ، وثمرةُ الاجتهادِ التوفيقُ، وثمرة الأناة اليُمْنُ، وثمرةُ الحذر السلامةُ، ولكل مقامٍ مقال، ولكلِّ زمانٍ رجال، والحرب سِجال، والرأيُ فيها أبلغ من القتال (١) .

وقالوا: جسمُ الحرب الشجاعةُ، وقَلْبُها التدبيرُ، وعينُها الحذَرُ، وجناحُها الطاعةُ، ولِسَانُها المكيدةُ وقائدها الرِفْقُ وسائقُها النصرُ، قيلَ لعنترة الفوارس: صِفْ لنا الحربَ فقال: أوّلها شكْوى ووسَطها نجوى، وآخِرُها بَلْوَى (٢) .

وقال غيره:

وإذا لم يكن مــن الموتِ بدٌّ   فمن العجز أن تكون جبانا (٣)

وقال عمرو (٤) بن أبي أُمــامــة يوم قتلته مــراد بوادٍ يقــالُ له

---

(١) النص في العقد ١:٩٢.

(٢) كلام عنترة في العقد ١:٩٤.

(٣) البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة أولها:

صحب الناسُ قبلنا ذا الزمان   وعناهم من شأنه ما عنانا

انظر العرف الطيب بشرح ديوان أبي الطيب ٢:٣٤٦.

(٤) هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس وسيرد خبره في التعليق التالي.

قضيب (١) وصاحبُهم هبيرةُ بن عبد يغوث/ [م ٦٤] المرثدي فخرج عمرو عليهم بسيفٍ وهو يقول :

لقدْ عرفتُ الموتَ قبل ذَوْقِهِ　　　إنَّ الجبانَ حتفُهُ من فوقِهِ
كلُّ امرىءٍ مقاتلٌ عن طوقِهِ　　　والثَّورُ يحمي جلدَه بروْقِهِ

فقوله: من فوقه يعني من السماء بقَدَر.

وقد قالوا: لكلِّ أحدٍ يومان لابدَّ له منهما: أحدهما لا يُعجل عليه، والثاني: لا يقصِّر عنه، فما الجبان والفارّ.

قال بعضهم ويُروى لمعاوية :

---

(١) يوم القضيب كان بين الحارث وكندة، وفي هذا الوادي أسر الأشعث بن قيس وفيه جرى المثل «سال قضيب بماء أو حديد» وكان من خبره أن المنذر بن امرئ القيس تزوج هند بنت اكل المرار فولدت له اولاداً منهم عمرو بن هند ثم تزوّج اختها امامة فولدت له ابناً سمّاه عمراً، فلما مات المنذر ملك بعد ابنه عمرو بن هند وقسم لبني امه مملكته، ولم يعط ابن أمامة شيئاً. فقصد ملكاً من ملوك حمير ليأخذ له بحقّه فأرسل معه «مُراداً» فلما كانوا ببعض الطريق قالوا: ما لنا نذهب ونلقي بأنفسنا للهلكة. وكان مقدم مراد المكشوح (هبيرة بن عبد يغوث المرشدي) ونزلوا بوادٍ يقال له «قضيب» من أرض قيس عيلان، فثار المكشوح ومَنْ معه بعمرو بن امامة وهو لا يشعر فقالت له زوجته: يا عمرو أتيت أتيت، سال قضيب بماء او حديد فذهبت مثلاً. وكان عمرو في تلك الليلة اعرس بجارية من مراد، فقال عمرو: غيري نفّري. اي انك قلت ما قلت لتنفريني به فذهبت مثلاً، وخرج إليهم فقاتلهم فقتلوه وانصرفوا عنه فقال طرفة يرثيه ويحرض عمراً على الاخذ بثاره:

اعمرو بن هند ما ترى رأيَ معشر　　　اماتوا ابا حسّان جاراً مجاورا

عن معجم البلدان ٤:٣٦٩ «قضيب» وانظر معجم ما استعجم ٢: ١٠٨٠ ولم اقع على المثلين في مجمع الأمثال. والشعر في العقد ٣:١٣١ وجاء في العقد ٥:٢٨٢: قالت عائشة: وكان عامر بن فهيرة يقول: وانشدت الرجز المذكور.

أكـــان الجـــبـــانُ يرى أنّه يُدافـــعُ عـــنـــد الـــفرار الأجَلْ
فـقـد تُدْركُ الحـادثاتُ الجـبـانَ ويسلمُ منها الشـجـاع البطَلْ (١)

وفي المعنى لبعضهم :

وقَدْ يلْتقي الجمعانِ والموتُ فيهما فيُقْتَلُ مَنْ ولّى ويسلمُ مَنْ حَمَلْ

قال جريرُ بن الخطفى (٢) في مدحه للحجّاج (٣) :

قُلْ للجبانِ إذا تأخّر ســـرجُه هل أنتَ من شَرَكِ المنيّة ناجِ

فقال له الحجّاج: جرّأتَ علينا الناسَ يا بن اللخناء!!

فقال: واللهِ أيّها الأميرُ ما ألقيتُ لها بالاً إلاّ وقتي هذا (٤) .

---

(١) في عيون الأخبار ١:١٦٥ قال: وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيراً وذكر البيتين.
أما أبو العباس المبّرد فقد نسبهما في الكامل ٢:٣٠٢ لمعاوية ورواية المبرد مطابقة لما ورد في تحفة الأنفس أما في عيون الأخبار فالرواية:
أكان الجبان يرى أنه سيقتل قبل انقضاء الأجل
وكذلك في شرح الحماسة ١:١٩٧ ذكرهما المرزوقي في سياق شرحه للحماسية ٤١ ولم ينسبهما واكتفى بقوله: وقال آخر..

(٢) جرير ٢٨ - ١١٠ هـ = ٦٤٠ - ٧٢٨م : جرير بن عطية الخطفي من بني يربوع من تميم، ولد ومات باليمامة وكان هجّاءً مرّاً لم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. وكان عفيفاً من أغزل الناس شعراً. الأغاني ٨:٣، الأعلام ٢:١١٩.

(٣) الحجاج (٤٠-٩٥ هـ = ٦٦٠-٧١٤م) : الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أبو محمد، قائد داهية سفّاك خطيب، ولد ونشأ بالطائف، انتقل إلى الشام ولحق بروح بن زنباع (ت ٨٤هـ) نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته ثم مازال يظهر حتّى قلّده عبد الملك أمر عسكره. هزمَ عبدالله بن الزبير وقتله. ثم قمع ثورة في العراق، ودامت له الإمارة عشرين سنة وبنى مدينة واسط وبها توفي وهو أول من ضرب درهماً عليه (لا إله إلا الله) تهذيب التهذيب ٢:٢١٠ والأعلام ٢:١٦٨

(٤) الخبر مع الشعر في العقد ١: ١٠٦٥١٠٥ وهو في ديوانه بشرح الصاوي ص ٨٩ وأول القصيدة :

هاج الهوى لفؤادك المهتاج فانظر بتوضح باكر الأحداج.

وقال الشدّاخ (١) :

قاتل القوم يا خزاع ولا يدْ   خلكمُ من قتالهـــم فشلُ
فَهُمُ مثلكم لهم شَعَرٌ فـــي « م » الراس لا يُنْشرون إن قُتلوا(٢)

يقول: الناسُ كلّهم سواء، فلا يخفى أحدٌ عن أحدٍ.

واضعف جميع الأسباب الشجاعـةُ رجـاء المجازاة بالمـال كما قال أبو دلامة (٣) : كنت مع مروان (٤) أيام الضحاك الحروريّ (٥) فخرج

(١) الشدّاخ: يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر من كنانة، أحد حكام العرب من قريش في الجاهلية، كان يقال له: الشدّاخ. قال ابن حبيب: سمّي بذلك لشدخه الدماء بين قريش وخزاعة، وكانت قريش قاتلت خزاعة وارادوا إخراجها من مكة، فتراضى الفريقان بيعمر فحكم بينهم وساوى بين الدماء على الاّ تخرج خزاعة من مكة.. سمّي بالشدّاخ لما شدخ من الدماء ووضع منها. الأعلام ٨: ٢٠٥ السيرة النبوية ١:٨٨ قال: شدخت الدماء تحت قدمي اي وطئتها حتى تنكسر. وانظر معجم الشعراء الجاهليين: ١٨١.

(٢) البيتان هما الأول والثاني وثالثهما :

اكلما حاربتْ خزاعة تحـ   دوني كأنّي لامهم جملُ

والأبيات في الحماسة بشرح المرزوقي ١: ١٩٦ برقم ٤٠.

(٣) ابو دلامة ت ١٦١ هـ = ٧٧٨م : زند بن الجون الأسدي بالولاء ابو دلامة، شاعر مطبوع من اهل الظرف والدعابة، اسود اللون، جسيم وسيم، كان ابوه عبداً لرجلٍ من بني اسد واعتقه، نشأ في الكوفة واتّصل بالخلفاء من بني العباس فكانوا يستلطفونه ويغدقون عليه صلاتهم وله في بعضهم مدائح، الاغاني ١٠: ٢٣٥ والأعلام ٣:٤٩، ٥٠.

(٤) مروان ٧٢ - ١٣٢هـ = ٦٩٢ - ٧٥٠م : مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي، أبو عبد الملك القائم بحقّ الله، ويعرف بالجَعْديّ وبالحمار، اخر خلفاء بني امية، غزا سنة ١٠٥ هـ فافتتح قونية وغيرها وولاه هشام بن عبد الملك على اذربيجان وارمينية والجزيرة سنة ١١٤ هـ فافتتح فتوحات وخاض حروباً كثيرة، فلما قُتل الوليد بن يزيد وظهر ضعف الدولة في الشام، دعا الناس وهو بارمينية لمبايعته فبايعوه وجرت احداث كثيرة انتهت بهزيمته ايام العباسيين في معركة الزاب. قتل مروان في بوصير من اعمال مصر وحمل راسه إلى السفاح العباسي. عن الأعلام ٧:٢٠٨.

(٥) الضحاك الحروري ت ١٢٩ هـ = ٧٤٦م : الضحاك بن قيس الشيباني، زعيم حروريّ من الشجعان الدهاة، خرج مع سعيد بن بهدل سنة ١٢٦ هـ في ٢٠٠ مقاتل من حرورية =

فارسٌ منهم فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجلٌ فقتلَه، ثم ثان ثم ثالثٌ فانقبض الناس عنه، فجعل يدنو كالفحل المغتلم. فقال مروان: مَنْ يخرجُ إليه ولهُ عشرةُ آلاف؟

فلمّا سمعت بالعشرة الاف هانتْ عليّ الدنيا وسَخَوتُ بنفسي في سبيل العشرة الاف وبرزتُ إليه فإذا عليه فَرْوٌ قد بلّه المطرُ فارمعلّ، ثم أصابتْهُ الشمس فاقفعلّ، وله عينان تقدحان كأنهما جمرتان، فلمّا رآني فهمَ الذي أخرجني، فأقبلَ نحوي يرتجز ويقول:

وخارجٍ أخرجه حبُّ الطمـع   فرّ من الموت وفي الموت وقعْ

مَنْ كان ينوي أهله فما رجع

فلمّا رأيتُه قنّعت راسي وولّيتُ هارباً ومروانُ يقول مَنْ هذا الفاضحُ لا يفوت حتى دخلت/ [م ٦٥] في غمار الناس (١) .

قالت الحكماء: على مقدار الصبر على المصائب تكون شجاعة النفس.

وقال الإمام أبو بكر الطُرطوشي (٢) : إنّ كل كريهةٍ تُدفعُ أو مكرمةٍ

= الجزيرة، ومات سعيد سنة ١٢٧ هـ فخلفه الضحاك وبايع له الشراة، فقصد اراضي الموصل ثم شهر زور، واجتمعت عليه الصُفْرية «فرقة من الخوارج» حتى صار في اربعة الاف فسار إلى العراق واستولى على الكوفة وحاصر واسطاً فصالحه عاملها وكاتبه اهل الموصل فاحتلّها ثم هزمه مروان بن محمد بنواحي كفر توثا وكان من علماء الخوارج. عن الاعلام ٢١٥:٣.

(١) الخبر في العقد ١: ١٤٣ وعيون الأخبار ١: ١٨٣.

(٢) ابو بكر الطرطوشي ٤٥١ - ٥٢٠ هـ = ١٠٥٩ - ١١٢٦م : محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهدي الأندلسي، ابو بكر الطُرطوشي ويقال له ابن ابي رندقة، اديب من فقهاء المالكية الحفّاظ من اهل طرطوشة Tortosa بشرقي الأندلس، تفقّه ببلاده ورحل إلى المشرق سنة ٤٧٦ هـ فحجّ وزار العراق ومصر وفلسطين ولبنان وأقام مدة في الشام وسكن الإسكندرية، وكان زاهداً لم يتشبّث من الدنيا بشيء من كتبه سراج الملوك. الاعلام ١٣٣:٧-١٣٤، والنص المذكور في سراج الملوك ٦٦٨:٢.

تُكتسب لا تتحقق إلا بالشجاعة وقوّة النفس وثبات القلب (١) . ألا ترى أنك إذا هممتَ أن تمنح شيئاً من مالكَ خارَ طَبْعُك ووهنَ قلبُكَ وعجزت نفسكَ فشحِحتَ به. فإن حقّقتَ عزمك وقوّيت نفسكَ وقهرتَ عجزَكَ أعطيتَ ما ضَنَنْتَ به من مالك (٢) ، فعلى قوّة القلب وضعفه تطيب النفس بإخراجه أو تَكْره إخراجَه (٣) . وعلى هذا النمط جميع الفضائل فمتى ما لم تقارنها قوة النفس لم تتحقّق فكانت مخدوعة.

رُوِيَ عن رسول الله - ﷺ - أنه قال:

الشجاعة والجُبْنُ غرائزُ يضعها الله فيمن يشاءُ من عباده (٤) .

فالجبان يفرّ عن أبيه وأمّه، والشّجاع يقاتل عمّن لا يؤوب به إلى رَحْله. فبقوّة القلب يصبر المرء على امتثال الأوامر وبقوة القلب ينتهي عن اتباع الهوى والتضمّخ بالرذائل (٥) .

وقال غيره :

الحربُ شعثاء عابسة، شوهاء/ [س ٨٤] كالحة، حرون في حياض الموت، شموسٌ في الوطيس، تتغذى بالنفوس (٦) .

قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن معدِ يكرب:

---

(١) عبارة «وقوة النفس وثبات القلب» ليست في سراج الملوك.

(٢) عبارة سراج الملوك: أخرجت المال المضنون به.

(٣) عبارة سراج الملوك: وعلى قدر قوة القلب وضعفه تكون طيبة النفس بإخراجه أو كراهية النفس لإخراجه مع إخراجه.

(٤) الحديث في سراج الملوك.

(٥) نهاية النص في سراج الملوك.

(٦) سراج الملوك ٢: ٦٨٨-٦٨٩.

صِفْ لنا الحربَ. قال: مُرَّة المذاق إذا شمّرتْ عن ساقٍ، مَنْ صَبَرَ فيها عُرِف، ومَن نكلَ عنها تَلَفَ، ثم أنشأ يقول:

الحــربُ أوّلُ مــا تكون فَتــيَّةٌ تســعى بزينتــهــا لكلِّ جــهــولِ
حــتّى إذا حَميتْ وشبَّ ضِرامُهـا عــادتْ عــجــوزاً غــيـر ذات حليلِ
شــمطاءَ جزّت راسـهـا وتنكّرتْ مكروهة للشمِّ والتّقــبــيــل (١)

وقالوا: الحربُ أوّلُها الكلام وآخرُها الحِمام.

قال نصر بن سيّار (٢) **صاحب خُراسان في كتابه إلى مروان بن محمّد الجَعْديّ لمّا ظهرت الدعوة بخراسان يصف الحربَ ومبتدأ أمرها:**

أرى خَلَلَ الرّمـادِ وميضَ جمرٍ فــيـوشِكُ أن يكونَ له ضِرامُ
فــإنَّ الـنـارَ بـالعُودَيْن تُذْكى وإنَّ الحــربَ أوّلُهـا الكلامُ
فـقلت من التـعـجبِ ليتَ شِعْري أأيقــاظٌ أمــيّةُ أم نِيَامُ

فوقع التغافلُ والتّهاونُ من مروان وكان منه ما كان (٣) .

---

(١) الخبر مع الشعر في عيون الأخبار ١: ١٢٧ والعقد ١: ٩٣، ٩٤ والشعر في سراج الملوك ٢: ٦٨٩– ٦٩٠ وتنسب لامرئ القيس ولعمرو بن معدي كرب. وورد في ديوان امرئ القيس بشرح السكري ٢: ٧٣١.

(٢) نصر بن سيّار ٤٦-١٣١ هـ = ٦٦٦-٧٤٨م : نصر بن سيّار بن رافع بن حَرّي بن ربيعة الكناني، أمير من الدهاة الشجعان كان شيخ مضر بخراسان، وولي بلخ ثم ولي إمرة خراسان سنة ١٢٠ هـ وغزا بلاد ما وراء النهر، ففتح حصوناً وغنم مغانم كثيرة وأقام بمرو، وقويت الدعوة العباسية في أيامه، فحذر بني أمية بالشام فلم يابهوا للخطر، فلما خرج أبو مسلم خرج نصر من مرو، وأصبح يتنقل من مكان إلى آخر ينتظر النجدة ومات بساوة. عن الأعلام ٨: ٢٣.

(٣) الخبر مع الشعر في عيون الأخبار ١: ١٢٨ والعقد ١: ٩٤ وسراج الملوك ١/ ٢٣٠.

فمثلُ العداوة والعدوّ مثلُ النار إنْ تداركتَ أولَها سَهُلَ إطفاؤها وإنْ تركتها حتى يستحكم ضرامُها صَعُبَ مرامُها وتضاعفتْ بليَّتُها.

فمن حزْم المرْءِ أنْ لا يحتقرَ عَدواً وإنْ كانَ ذليلاً ولا يغْفُلَ عنه وإنْ كان حقيراً، فالشرُّ تَحْقِرهُ وقد ينمى (١) [س ٨٥].

وفي حكمة سليمانَ بن داود عليهما السلام: الشرُّ حلوٌ أوّله، مرٌّ آخرُه (٢).

فالحرب كالنار تكون شُعْلةً ثم ترجعُ سعيراً. فإذا قاتلت فلا تبذل مهجتكَ وقوّتك من أوّل وهلةٍ/ [م ٦٦] لئلا يأتي معظمها فتعجزَ وتكلّ، ولا تنشبْ في حربٍ وإنْ وثقتَ بشدّتك حتّى تعرف وَجْه التخلّص منها فمن استضعف عدوّه فقد اغترَّ، ومَنْ اغترَّ بقوّته فقد وهن، والحازمُ يَحْذَرُ عدوّه على كلّ حالٍ، المواثبة إنْ قرُب والغارة إنْ بَعُد، والكمين إن انكشف، والاستطراد إنْ ولّى.

وقد قالوا: لتكن أشدَّ ما تكون من عدوكَ حذراً ما كنتَ عند نفسك أكثر قوةً وعدداً، فليس من القوّة التورّطُ في الهوّةِ. قال **هُدْبةُ العُذْريَ** (٣):

ولا أتمنّى الشرَّ والشرُّ تاركي ولكنْ متى أُحْمَلْ على الشرِّ أركَبِ
ولستُ بِمِفْراحٍ إذا الدهرُ سرّني ولا جازعٍ مِنْ صرفهِ المتقلّب (٤)

(١) سراج الملوك ٢:٦٧٧. (٢) العقد ١:٩٤.

(٣) هدبة العذريّ ت ٥٠ هـ = ٦٧٠م: هدبة بن خشرم بن كرْز من بني عامر بن ثعلبة، من سعد هذيم من قضاعة. شاعر فصيح مرتجل راوية، من أهل بادية الحجاز بين تبوك والمدينة، وذكر صاحب الأغاني أن هدبة كان راوية الحطيئة. قتل في آخر حياته رجلاً وهرب ثم استسلم لوالي المدينة سعيد بن العاص فحبسه ثلاث سنوات ثم سلمه إلى أهل القتيل فقتلوه. عن الأعلام ٨:٧٨.

(٤) البيتان في العقد ١:٩٩.

وقد جمع الله تبارك وتعالى تدبير الحرب كلّها في آيتين من كتابه (١) العزيز فقال ﴿ يا أيّها الذين آمنوا إذا لقِيتُم فئةً فَاثْبُتُوا واذكروا الله كثيراً لعلّكم تُفْلحون، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلَوا وتذهبَ رِيحكُم واصْبِرُوا إنَّ اللهَ معَ الصَّابرين ﴾ (٢) .

قيل لأكثم بن صيفي (٣) : صِفْ لنا العملَ في الحرب. قال: أقلّوا الخلافَ على أمرائكم فلا جماعةَ لمن اختُلِفَ عليه، واعلموا أنّ كثرة الصياح من الفشل، وربّ عجلةٍ/[س٨٦] تعقبُ ريثاً، فتلبثوا فإنَّ أحزمَ الفريقين الركين (٤) .

وقالت عائشة رضي الله عنها يوم الجمل (٥) وسمعتْ منازعة القوم وكثرة صياحهم: المنازعةُ في الحرب خَوَرٌ، والصياح فيها فشل .

---

(١) في سراج الملوك ٢: ٦٩٠: قال بعض الحكام: قد جمع الله تعالى آداب الحرب في قوله تعالى.. وذكر الآيتين وكذلك في عيون الأخبار ١:١٠٨.

(٢) سورة الأنفال ٨/ الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٣) أكثم بن صيفي ت ٩هـ = ٦٣٠م : بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي، حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين، عاش زمناً طويلاً وأدرك الإسلام وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق، ولم ير النبي (ﷺ)، وأسلم مَنْ بلغ المدينة من أصحابه. وهو المعنيّ بالآية «ومَنْ يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله» عن الأعلام ٢:٦.

(٤) الخبر في العقد ١:٩٧ وتمام القول في العقد: وربَّ عجلة تُعقب ريثاً، وادّرعوا الليل فإنه أخفى للويل وتحفظوا من البيات وورد أيضاً في سراج الملوك ٢: ٦٩٠ على النحو التالي: واستوصى قوم أكثم بن صيفيَ في حربٍ أرادوها فقال: أقلّوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصياح فشلٌ، ولا جماعة لمن اختلف، وتثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين. وانظر عيون الأخبار ١:١٠٨. انظر أخبار يوم الجمل في العقد ٤:٣١٢.

(٥) العقد ١:٩٧ وتمام قولها: وما برأيي خرجت مع هؤلاء.

وقال عتبةُ بن ربيعة يوم بَدْرٍ لأصحابه لمَّا نظر إلى عسكر النبي – ﷺ – أمَا ترَوْنَهم خُرْساً لا يتكلمون يتلمَّظون تلمّظ الحيَّات (١) .

قال الله تعالى ﴿ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّةٍ ﴾ (٢) فقوله سبحانه «ما استطعتم» مشتملٌ على ما في مَقْدور البشر من العدَّة والآلة والحيلة، وفسّر النبيَّ – ﷺ – القوّةَ بالرمْي (٣) .

وكان بعض الصحابة إذا أراد الغزوَ لا يقصّ أظفاره ويتركها عدّةً ويراها قوّة (٤) .

قال مَسْلَمةُ بن عبد الملك: ما أخذتُ أمراً قطّ بحزمٍ فَلُمْتُ نفسي فيه وإنْ كانت العاقبةُ عليّ ولا أخذتُ أمراً قط وضيّعتُ الحزْم فحمدت نفسي فيه وإن كانت العاقبة لي (٥) .

وكان بعضُ أهل التمرّس بالحرب يقول لأصحابه: شَاوِروا في حروبكم الشجعانَ من أولي العَزْم والجبناءَ من أولي الحزم، فإنّ الجبان لا يألو برأيه ما يَقي مُهجَكم، والشجاع لا يعدو ما يَشُدُّ به نصرتكم ثمّ خلصوا

---

(١) الخبر في العقد ١:٩٧ وعيون الأخبار ١:١٠٨
وورد في سراج الملوك ٢:٦٩٠: وقال عتبة بن ربيعة يوم بدرٍ لأصحابه: الا ترون اصحاب محمد جثياً على الركب كانهم خرس يتلمظون تلمظ الحيات.
ومعنى قوله: يتلمظون .... اي يخرجون السنتهم كالحيات كناية عن الغيظ والتحفّز
(٢) الأنفال ٨/ من الآية ٦٠.
(٣) جاء في سراج الملوك: ٦٧٨: فقوله تعالى «ما استطعتم» مشتمل على كل ما في مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة. وفسّر النبيّ (ﷺ) القوة، فمرّ على اناس يرمون فقال: الا إنّ القوة الرميُ، الا إنّ القوة الرميُ، الا إنّ القوة الرميُ»
(٤) سراج الملوك ٢:٦٧٨.
(٥) العقد ١:١٢٢.

من الرأيين نتيجةُ تحملُ عنكم مَعَرّةَ الجبناءِ وتهوّر الشجعان، فتكونُ أنْفَذَ من السهم الوالج ومن الحسام الدالج (١) .

قال عمرو بن العاصي لمعاوية: والله - يا أمير المؤمنين - ما أدري أشجاعٌ أنتَ أم جبان؟!! فقال:

شجاعٌ إذا ما أمكنتني فرصة وإنْ لم تكن لي فرصةٌ فجبان (٢)

قال بعض الحكماء: انتهز الفرصة فإنها خلْسة وثِبْ عند راسِ الأمرِ، ولا تثبْ عند/ [س ٨٧] ذَنَبه، وإياك والعجز فإنه أوطأ مركبٍ (٣) .

وقال شبيبُ الحروريّ: الليل يكفيك الجبان ونصفَ الشجاع، وكانَ إذا أمسى يقول لأصحابه: أتاكم المدَد (٤) .

وقيل لبعضهم: أيّ المكيدة في الحرب أحزم؟

قال: إذكاء العيون، وإفْشاء الغلبة واستطلاع الأخبار، وإظهار السرور وإماتةُ الفَرَق، والاحتراس من البِطانة من غير إقصاء لمستنصحٍ ولا استنصاحٍ لمستَغِشّ، وإشغال الناس عمّا هم فيه من الحرب بغيره (٥) .

قال حبيبُ بن أوس (٦) :

---

(١) العقد: ١٢٣:١.

(٢) الخبر والشعر في العقد ٩٩:١.

(٣) العقد ٩٨:١.

(٤) العقد ٩٧:١.

(٥) عيون الأخبار ١١٢:١ والعقد ١٢٢:١. والفَرَق: الخوف.

(٦) حبيب بن أوس ١٨٨-٢٣١هـ = ٨٠٤ - ٨٤٦م : هو أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، الشاعر الأديب، أحد أمراء البيان، ولد في جاسم من قرى حوران بسورية ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدّمه على شعراء وقته، فأقام في العراق، ثم ولي بريد الموصل، فلم يتمّ سنتين حتّى توفي فيها، كان يحفظ كثيراً من الشعر وترك تصانيف منها كتاب الحماسة والوحشيات ونقائض جرير والأخطل إضافةً إلى ديوانه.

والحربُ تركبُ رأسها في مشهدٍ عُدِلَ السفيهُ فيه بألفِ حليمِ
في ساعةٍ لو أنّ لُقْماناً بها وهو الحكيمُ لكان غير حكيمِ (١)

قال الأحنفُ بن قيس :

ما قلّ سفهاءُ قومٍ قطّ إلاّ ذلّوا، فأكرموا سفهاءكم فإنّهم يكفونكم العارَ والنّار (٢) .

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي (٣) رحمه الله تعالى: والشأنُ كلُّ الشأن في الحرب انتخاب الأمراء واستجواد القوّاد وأصحاب الألوية (٤) ، فقد قالت حكماء العجم: أسدٌ يقودُ ألف ثعلب خيرٌ من ثعلبٍ يقودُ ألف أسد، فلا ينبغي أنْ يقدّم على الجيش إلا الرجلُ ذو البسالة والنجدةِ والشجاعة والجراة، ثَبْتُ الجنان، صارمُ القلبِ جريئة، رابط الجأش صادق البأس قد توسّط الحروب، ومارس الرجال ومارسوه، ونازلَ

---

(١) البيتان هما ٣٧ و٣٨ من قصيدة مدح بها أبو تمام أبا إسحاق المصعبيّ وأولها:

يا ربع لو ربعوا على ابن همومِ مستسلمٍ لجوى الفراق سقيمِ
قد كنت معهوداً بأحسنِ ساكنٍ منا وأحسن دمنةٍ ورسومِ

ديوانه ٢: ١٣٦ ق ١٥٨ والعقد ٩٥/١

ولقمان المذكور مذكور في القرآن الكريم في سورة سميت باسمه وذكر القرطبي في تفسيره ٥٩:١٤ في تفسير سورة لقمان في الآية الثانية عشرة أقوالاً عدة في لقمان ونسبه وخلاصة القول أنه كان ولياً ولم يكن نبياً، فقد كان رجلاً حكيماً بحكمة الله تعالى - وهي الصواب في المعتقدات والفقه والدين والعقل - قاضياً في بني إسرائيل وكان في أيام النبي داود، وكان يوازر داود بحكمته.

(٢) الأحنف بن قيس سبقت ترجمته. الأعلام ٢٧٦:١ وتهذيب التهذيب ١٩١:١.

(٣) العقد ٩٥:١.

(٤) سراج الملوك ٦٧٩:٢ وقد نقل صاحب التحفة النص بتصرّف ولن نذكر إلا الفروق التي لها أهمية ما. في سراج الملوك: الشأن كلّ الشأن في استجارة القوّاد وانتخاب الأمراء وأصحاب الولاية.

الأقـران (ونـازلوه) (١) وقـارعَ الأبطال، عـارفـاً بمواضـع الـفـرص، خـبـيـراً بمواقعِ القلْب والميـمنة والميـسـرة من الـحـروب، ومـا الذي يجب سـدّه (٢) بالـحـمـاة والأبطـال من ذلك، بـصـيـراً بـصـفـوف الـعـدوّ ومـواضـع الـغـرّة ومواقع العدّة ومواضع/ [س ٨٨] الشدّة، فإنه إذا كان كذلك وصدر الكلُّ عن رأيه كان جميعهُم كأنّهم مثلُه، فإنْ رأى لقِراعِ الكتـائبِ وجهاً وإلاّ ردّ الغنمَ إلى الزّريبـة (٣) ، فـإنّ الـحـربَ خُدْعَة، واخـر مـا يجب ركـوبه قـرع الكتائب وقرع (٤) الجيوش بعضها على بعض.

فلْنَبدأ بتصريف الحيلة في نيلِ الظَّفر:

فأوّل (٥) ذلك أنْ يبثَّ جواسيسَه في عسكر عدوّه يستعلمُ اخبارَه مع الساعات، ويستعلم رؤساءهم وقادتهم وذوي الشجاعة منهم ويدسُّ إليهم ويعدهم وعداً جميلاً ويوجّه إليهم بضروب الخداع، ويقوّي أطماعهم في أن ينالوا مـا عنده من الهِباتِ الفـاخرة والولايات السنيّة، فإنْ رأى وجهاً لمعاجلتهم بالهدايا والتّحف فعل ذلك وسامهم الغَدْرَ لصاحبهم واعتزاله وقت اللقاء، وينشيء على السنتهم كتباً مُدَلَّسةً إليه ويبثّها في عسكرهم، ويكتب على السهام أخباراً مزوّرةً ويرمي بها في جيوشهم، ويضرب

---

(١) زيادة من سراج الملوك.

(٢) في سراج الملوك: يجب شحنه.

(٣) في سراج الملوك: واعلم أن الحرب خُدْعة عند جميع العقلاء.

(٤) في سراج الملوك: وحمل الجيوش...

(٥) النقل عن سراج الملوك ٢:٦٨١ بشيء من التصرّف.

بينَهم بما فيه الشرّ من ذلك، فإنّ جميع ما ذكرنا تُنْفَقُ فيه الأموال والحيل، واللقاء تُنْفَق فيهِ الأرواحُ والرؤوس.

ووجوه (١) **الحيل** لا تُحصى، والحاضر فيها أبصرُ من الغائب، ولله درُّ **المهلّب** لمّا كتب إليه **الحجّاج** يستعجله في حرب **الأزارقة**، جاوبه بأنْ قال: إنّ من البلاءِ أنْ يكونَ/[م ٦٨] الرأيُ عند مَنْ يملكه لا عندَ مَنْ يُبْصره.

ومن الحَزْمِ (٢) المألوفِ عند سوّاسِ الحروبِ أن يكونَ حُماةُ الرجالِ وكُفاةُ الأبطالِ في القلْب، فإنه مهما انكسرَ/ [س ٨٩] الجناحان فالعيون ناظرةٌ إلى القلب، فإذا كانت راياتُه تخفُقُ وطبولُه تدقُّ، كانَ حصْناً للجناحين يأوي إليه كلُّ منهزمٍ، فإذا انكسَر القلب تمزّق الجناحان، مثال ذلك أنّ الطائر إذا انكسر إحدى جَناحَيهِ ترْجَى عودتُه ولو بعد حين، وإن انكسر رأسه ذهب الجناحان، فلا يضرّ انكسارُ جناحَي العسكر مع ثبات القلب، فإنّ الفارّين يتراجعون إلى القلب ويكون الظَفَرُ لهم. وقلّ عسكرٌ انكسر قلبُه فأفلح أو تراجع إلاّ أن تكون مكيدةً من صاحب الجيش فَيُخْلي القلبَ قصداً وتعمّداً ولا يغادر به كبير أمرٍ، حتّى إذا توسّط العدوّ واشتغل بنهبه أطبقتْ عليه الجناحان، فقد فعله رجالٌ من أهل الحرب.

---

(١) النقل عن سراج الملوك ٢:٦٨٢.

(٢) النقل عن سراج الملوك ٢: ٦٨٣ - ٦٨٤.

ومن أعظم (١) المكايد في الحروب الكَمينُ، ولا يُحصى كثرةً كم عسكرٍ استُبيحَتْ بيضتُه وفُلَّ غَرْبُه بالكمين، وذلك أنَّ الفارسَ لا يزال على جهة من الدفاع وحمى الذِّمار حتَّى يلتفت فلا يرى وراءه بنداً منشوراً ولا يسمعُ ضربَ الطَّبْل، فحينئذٍ همَّتُه خلاص نفسه، ولتكن همَّتك وراء ذلك. ومدار الحرب في اصطناع الشجعان واختيار الأبطال، فاصطنع ذوي البسَالةِ والإقدام والحُماة والكُماة، ولا عليك أن لا يكثروا، وبعيدٌ عليك أن يكثروا، ولا تَنْسَ قول الشاعر:

والناسُ ألفٌ منهمُ كواحدٍ   وواحدٌ كالألفِ إنْ أمرٌ عنا

بل قد جُرِّبَ ذلك فوُجِدَ الواحدَ خيراً من العشرة الآلاف وسأحكي لك من/ [س ٩٠] ذلك ما تقضي فيه بالعجب، فهم في الجيش وإنْ قلّوا كالإنفحة (٢) في اللبن.

فمن (٣) ذلك لمَّا التقى المستعين الصغيرُ ابنُ هودٍ (٤) مع الطَّاغية ابن رذمير النصرانيّ - قصمه الله - على مدينة وشقةَ من ثغور بلاد

(١) النقل من سراج الملوك بشيء من التصرّف ٢:٦٨٤ - ٦٨٥.

(٢) الإنفحة - بتشديد الحاء المهملة وتخفيفها - مادة تستخرج من معدة الرضيع من العجول والجداء أو نحوهما بها خميرة تجبِّن اللبن (عن محقق سراج الملوك).

(٣) سراج الملوك ٢:٦٨٥.

(٤) ابن هود ت ٥٠٣ هـ = ١١٠٩م: احمد (المستعين) بن يوسف (المؤتمن) ابن احمد (المقتدر) ابن سليمان بن محمد بن هود، رابع ملوك الدولة الهودية (من دول الطوائف بالأندلس) وكان مقام ملوكها في سرقسطة. ولي بعد وفاة أبيه سنة ٤٧٨ هـ وكان من الغزاة، وله وقائع مع الإفرنج، وكانت في أيامه وقعة وشقة Huesca سنة ٤٨٩ هـ = ١٠٩٦م قتل فيها نحو عشرة آلاف من جيشه واستمر في الإمارة إلى أن قتل شهيداً في معركةٍ لدفع العدو بظاهر سرقسطة. عن الأعلام ١:٢٧٣.

الأندلس – جَبَرها الله – وكان العسكران كالمتكافئَيْن، كلٌّ واحدٍ منهما يراهق عشرين ألف مقاتل بين خيلٍ ورجال، فمن حَضَر الوقيعةَ من الأجناد قال: لمّا دنا اللقاء قال الطاغية ابن رذمير لِمَنْ يثقُ بعقله ومراسته للحروب من رجاله: استعلم لي مَنْ في عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفوننا ،مَنْ غاب منهم ومَنْ حضر؟

فذهب ثمّ رجع فقال: فيهم فلانٌ وفلانٌ حتّى عَدّ سبعةَ رجالٍ، فقال: انظر الآن مَنْ في عسكري من الرجال المعروفين بالشجاعة ومَنْ غاب منهم، فعدّوهم فوجدوهم ثمانية رجال لا يزيدون. فقام الطاغية ضاحكاً مسروراً وهو يقول: يابياضكَ من يومٍ.

ثمّ تناشبا الحربَ فلم تزلْ المضاربةُ بين الفريقين، ولم يولِّ واحدٌ منهم دُبُرَه ولاتزحزحَ عن مقامه حتّى فني أكثر العسكرين ولم يَفرَّ واحدٌ منهم. ولمّا كان وقتُ العصر نظروا إلينا ساعةً ثمّ حملوا علينا [م ٦٩] حملةً واحدةً وداخلونا مداخلةً وفرّقوا بيننا، وصرنا شطرين، وحالوا بيننا وبين أصحابنا وصاروا بيننا، فكان ذلك سببَ وهْننا وضعفنا، ولم تقُم الحربُ إلا ساعةً ونحن في خسارةٍ معهم. فأشار مقدّمُ العسكر على السلطانِ أنْ ينجوَ بنفسه فكُسِرَ عسكرُ [س ٩١] المسلمين وتفرّق جمعُهم، وملَكَ العدوُّ مدينة وشْقَة. فليعتبرْ ذو الحزم والبصيرة في جمْعٍ يحتوي على أربعين ألف مقاتل، ولا يحضر من الشجعان المعدودين إلا خمسةَ عشرَ. وليعتبرْ بضمان العِلْج بالظَّفر والغنيمة لمّا زاد في أبطاله رجلٌ واحد (١) .

---

(١) انتهى النص في سراج الملوك.

قال (١) : وسمعتُ أستاذنا القاضي أبا الوليد الباجي (٢) - رحمه الله - قال: بينما المنصورُ بنُ أبي عامر (٣) في بعض غزواته إذْ وقفَ على نشزٍ من الأرض مُرْتفعٍ فرأى جيوش المسلمين بينَ يديه ومن خلْفِه وعن يمينه وعن يساره، قد ملؤوا السهل والجبل. فالتفتَ إلى مقدَّم العسكر - وكان رجلاً يعرفُ بابن المصحفيّ (٤) - وقال: كيف ترى هذا العسكرَ أيّها الوزير؟

قال ابن المصحفيّ: أرى جمعاً كثيراً و جيشاً واسعاً.

---

(١) النقل من سراج الملوك ٢: ٦٨٦، ٦٨٧.

(٢) ابو الوليد الباجي سبقت ترجمته.

(٣) المنصور بن ابي عامر ٣٢٦ - ٣٩٢ هـ = ٩٣٨ - ١٠٠٢م : محمد بن عبدالله بن عامر بن محمد بن ابي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري القحطاني، ابو عامر، المعروف بالمنصور بن ابي عامر، أمير الاندلس في دولة المؤيد الأموي، وأحد الشجعان الدهاة، اصله من الجزيرة الخضراء، قدم قرطبة شاباً طالباً للعلم فبرع واستخلف على قضاء كورة (ريّة) ثم عُهد إليه بوكالة السيدة (صبح) ام هشام المؤيد، فولي النظر في اموالها وضياعها وعظمت مكانته عندها وولي الشرطة والسكة والمواريث وأضيف إليه القضاء بإشبيلية، ولما مات المستنصر الأموي كان المؤيد صغيراً، وخيف الاضطراب، فضمن ابن أبي عامر لأم المؤيد سكون البلاد واستقرار الملك لابنها وقام بشؤون الدولة وغزا وفتح ودامت له الإمرة ٢٦ عاماً غزا فيها بلاد الإفرنج ٥٦ غزوة لم ينهزم له فيها جيش، وكانت الدعوة في ايامه للمؤيد (وهو محتجب عن الناس) والملك لابن أبي عامر لم يضطرب عليه شيء منه أيام حياته لحسن سياسته وعظم هيبته. مات في إحدى غزواته بمدينة سالم. وكان محباً للعمران عن الاعلام ٦:٢٢٦.

(٤) ابن المصحفي ت ٣٧٢ هـ = ٩٨٢م : جعفر بن عثمان بن نصر، ابو الحسن، الحاجب المعروف بالمصحفي، وزير، اديب اندلسيّ، من كبار الكتّاب، وله شعر كثير جيد، أصله من بربر بلنسية، استوزره المستنصر الأموي إلى ان مات، وولي جزيرة ميورقة في ايام الناصر، ولما ولي الحكم استوزره وضمّ إليه ولاية الشرطة والت الخلافة إلى هشام المؤيد بن الحكم، فتقلّد حجابته وتصرّف في امور الدولة، وقوي عليه المنصور بن ابي عامر، فاعتقله وضيّق عليه، ثم صادره في ماله، ثم قتله وبعث بجسده إلى اهله. الأعلام ٢:١٢٥.

فقال له المنصور: لا يعجزنا أنْ يكونَ في هذا الجيش ألف مقاتلٍ من أهل الشجاعة والبسالة.

فسكت ابنُ المصحفيِّ، فقال له المنصور: وما سكوتُك؟!!

أليس في هذا الجيش ألفُ مقاتل؟

قال: لا.

فتعجّب المنصور ثم عطف عليه فقال: فبهم خمسمئة مقاتل.

قال: لا

قال: فحنِقَ المنصور ثم قال: أفيهم مئة رجلٍ؟

قال: لا

قال: أفيهم خمسون من الأبطال؟

قال: لا

فَسبَّه المنصور واستخفَّ به وأمرَ به فأُخرج على أقبحِ صفةٍ.

فلمّا توسطوا بلاد المشركين اجتمعت الروم وتصافَّ الجمعان فبرز علجٌ من الروم شاكٍ في السلاح يكرّ ويفرّ ويقول:

هل من مُبارز. فبرزَ إليه رجلٌ من المسلمين فتجاولا ساعةً فقتلَه العِلجُ ففرحَ المشركون وصاحوا [س ٩٢] واضطربت لها المسلمون. ثم جعل العلجُ يمرح بين الصفّين وينادي:

هل من مبارز: اثنين لواحدٍ؟ فبرز إليه رجلٌ من المسلمين، فتجاولا

ساعةً فقتلَهُ العِلْج، وجعلَ يكرّ ويحمل وينادي: هل من مبارزٍ: ثلاثة بواحد؟ فبرز إليه رجلٌ من المسلمين فقتلَهُ العلجُ. فصاحَ المشركون وذلّ المسلمون وكادت تكون كسرةٌ.

فقيل للمنصور: مالها غير ابن المصحفيّ، فبعث إليه فحضر فقال له المنصور: ألا ترى ما يصنعُ هذا العلجُ الكلبُ منذ اليوم؟

قال: بعيني ما جرى

قال: فما الحيلةُ فيه

قال: وما الذي تريد؟

قال: أن يُكفَى المسلمون شرَّه

قال: نعم إنْ شاء الله

ثم قصد إلى رجالٍ يعرفهم فاستقبله رجلٌ من رجال الثغور على فرسٍ قد قشرت أوراكها هزالاً وهو يحمل قِرْبة ماءٍ بين يديه على الفرس، والرجل في نفسه وحليته غير متصنّعٍ، فقال له ابن المصحفيّ: ألا ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم؟

قال: قد رأيتُه

قال: فماذا ترى فيه؟

قال: أتريدُ رأسه الآن؟

قال: نعم

فحمل القِرْبةَ إلى رَحْله ولبس لأمةَ حَرْبه وبرز إليه فتجاوَلاَ ساعةً، فلم يرَ الناس إلا المسلمَ خارجاً إليهم من تحت الغبار [م ٧٠] يركض فرسه

ولا يدرون ما هنالك، وإذا الرجلُ يحملُ رأسي العِلْج. فألقى الرأسَ بين يدي المنصور. وقال له ابنُ المصحفيِّ: عن هؤلاء الرجالِ أخبرك أنَّه ليس في عسكرك منهم ألف ولا خمسمئة ولا مئة ولا خمسون ولا عِشْرون ولا عشرة.

قال: فردَّ المنصورُ المصحفيَّ إلى منزلتهِ وأكرمه (١) .

واعلم (٢) - أرشدكَ اللهُ - أنَّ اللهَ سُبحانَه قَدْ أوضحَ لنا في كتابه علّة النصر / [س ٩٣] وعلّة الهزائم والفِرار فقال تعالى: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا إنْ تنصروا الله ينصرْكم ويثبّتْ أقدامكم ﴾ (٣) يعني إنْ تنصروا دين الله ورسوله، وأمّا الفرار فَبِغَلبة المعاصي، قال الله العظيم: ﴿ إنّ الذين تولّوا منكم يومَ التقى الجمعان إنما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ﴾ (٤) أي بشؤم ذنوبهم وتَرْكهم المركز الذي رسمه لهم الرسول - ﷺ - وذلك أنّه رتّب - عليه السلام - الرّماة يوم أُحُد على ثلمة الجبل ليمنعوا قُريشاً أنْ يُخْرجوا عليهم كميناً من تلك المواضع. ثم التقى المسلمون والكفّار فقال الرماةُ: لا تفوتُنا الغنائمُ، فأقبلوا على الغنائم وتركوا المركز الأوّل. فخرجتْ خيلُ المشركين منْ هنالك وأقبلوا على المسلمين فكانت مقتلةُ أُحد (٥) .

وَلْيُخْفِ (٦) قائد الجيش العلامةَ التي هو مستعلمٌ بها، فإنّ عدوّه إن

(١) انتهى الخبر في سراج الملوك.
(٢) سراج الملوك ٢:٦٩١.
(٣) سورة محمد ٤٧ الآية ٧.
(٤) سورة آل عمران ٣ / الآية ١٥٥.
(٥) انظر السيرة ٢: ٦٢٥ (ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن).
(٦) سراج الملوك ٢:٦٩١.

استعلمَ حِليتهُ وألوان خيله ورايتهُ قصدَ قَصْده، وكذلك لا يلزم خباءه كي لا يلتمسَ عدوُّه غرَّتَه. وإذا سكنت الحربُ فلا يمشِ في النَّفر اليسير من قومه خارج عسكره، فإنّ عيونَ عدوِّه قد أُذْكيت. وعلى هذا الوجه كسرَ المسلمون جيوش إفريقية عند فتحها وذلكَ أنّ الحربَ سكنَتْ في وسطِ النهار، فخرجَ مقدّمُ العدوّ يمشي خارجَ العسكر يتميّز عساكر المسلمين، فجاء الخبر إلى عبدالله بن ابي سَرْحٍ (١) وهو جالسٌ في قُبّته، فخرج لوقته ووجّه مَنْ وثِقَهُ من رجاله، فحملَ على العدوّ فقتلَ الملك وكان الفتح وسيأتي ذكرُ ذلك بعدُ إنْ شاء الله.

ولمّا (٢) عبرَ طارق (٣) مولى موسى [س ٩٤] بن نصير (٤) إلى بلاد

---

(١) عبدالله بن ابي سرح ت ٣٧ هـ = ٦٥٧م : عبدالله بن سعد بن ابي سرح القرشي العامري، فاتح إفريقية، فارس بني عامر من ابطال الصحابة، أسلم قبل الفتح، وكان من كتّاب الوحي، وكان على ميمنة عمرو بن العاص حين فتح مصر، وولي مصر سنة ٢٥ هـ فاستمرّ نحو ١٢ عاماً زحف في خلالها إلى إفريقية بجيش فيه نفر من كبار الصحابة، فافتتح طرابلس الغرب وطنجة. وغزا الروم بحراً وظفر بهم في معركة ذات الصواري سنة ٢٤ هـ. اعتزل الحرب بين علي ومعاوية ومات بعسقلان وهو يصلّي. عن الأعلام.

(٢) سراج الملوك ٢:٦٩٢.

(٣) طارق ٥٠ - ١٠٢ هـ = ٦٧٠ - ٧٢٠م : طارق بن زياد الليثيّ بالولاء، فاتح الأندلس، اصله من البربر، اسلم على يد موسى بن نصير، فكان من أشدّ رجاله، ولمّا تمّ لموسى فتح طنجة ولّى عليها طارقاً سنة ٨٩ هـ فاقام فيها إلى سنة ٩٢ هـ. ثم ارسله موسى على رأس حملة إلى الأندلس فتمّ له فتحها، والتقى موسى في طليطلة عام ٩٣ هـ ثم استدعاهما الوليد إلى الشام سنة ٩٦ هـ. عن الأعلام ٣: ٢١٧.

(٤) موسى بن نصير ١٩ - ٩٧هـ = ٦٤٠ - ٧١٥م : موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد اللخمي بالولاء، ابو عبد الرحمن، فاتح الأندلس، أصله من وادي القرى بالحجاز، نشأ موسى في دمشق وولي غزو البحر لمعاوية. غزا قبرس وبنى بها حصوناً وولي اعمالاً جليلة لبني أمية، وولي إفريقية سنة ٨٨ هـ وأقام بالقيروان، ثم أرسل طارق بن زياد إلى الأندلس وتبعه في حملة عام ٩٣ وفتح عدداً من المدن، عاد إلى دمشق سنة ٩٦هـ وحجّ مع سليمان ومات بالمدينة. كان شجاعاً عاقلاً لم يهزم له جيش قط. عن الأعلام ٧: ٣٣٠.

الأندلس ليفتحها، وموسى إذْ ذلك بإفريقية، خرجوا بالجزيرة الخضراء وتحصّنوا في الجبل العظيم الذي يُسمّى اليوم بجبل الفتح وجبل طارق نسبةً إليه وهو في ألفٍ وسبعمئة رجل، وطمعت الرومُ فيهم فاقتتلوا ثلاثةَ أيّامٍ وكانَ على الرّوم تَدْمير استَخْلفه لِذريق ملك الروم. وكانَ قد كتبَ إلى لذريق يُعلمه بأنّ قوماً لا يدرى أمنْ أهلِ الأرض أم من أهل السماء قد وصلوا إلى بلادنا وقد لقيتُهم فلْتَنْهضْ إليّ بنفسك.

فأتى لذريق في تسعين ألف زِمامٍ، ولقيهم طارق، وعلى خيله مغيث الروميّ (١) مولى الوليد بن عبد الملك، فاقتتلوا ثلاثة أيام أشدّ قتال، فرأى طارق ما الناسُ فيه من الشدّة فقام يعظهم ويحضّهم على الصبر ويُرغّبهم في الشهادة وبسط / [م ٧١] في آمالهم ثم قال:

أين المفرُّ؟ البحرُ من ورائكم، والعدوّ أمامكم، فليس إلا الصبر منكم، والنصرُ من ربّكم، وأنا فاعلٌ شيئاً فافعلوا كفعلي، والله لأقصدنّ طاغيتهم، فإمّا أنْ أقتلَهُ وإمّا أن أُقتلَ دونَه.

فاستوثق طارقٌ من خيله وكان قد عرف حِلْية لذريق وعلامته، وفَعَل ما قال، فقتلَ اللهُ لذريقَ بعدَ قتْلٍ ذريع في العدوّ، وحمى اللهُ المسلمينَ فلم يُقْتَلْ منهم كبيرُ شيءٍ، وانهزمت الرّوم وأقام المسلمون يقتلونَهم ثلاثة أيامٍ. وأخَذَ طارق رأسَ لذريق وبعث به إلى موسى بن نُصير، وبعث به

(١) مغيث الرومي ت ١٠٠هـ = ٧١٨م : مغيث الرومي، فاتح قرطبة، وهو ليس برومي في الحقيقة، وتصحيح نسبه أنه مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني، سُبي من الروم وهو صغير، فأدّبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد، وقد أنجب مغيث في الولادة وصار منه «بنو مغيث» الذين نجبوا في قرطبة. تعلّم مغيث الفروسية وأفصح بالعربية ووجهه عبد الملك إلى الأندلس غازياً مع طارق بن زياد فقدّمه طارق لفتح قرطبة فافتتحها بـ ٧٠٠ فارس وعاد مع طارق إلى دمشق في عهد سليمان، ثم عاد إلى الأندلس. الأعلام ٧:٢٧٦.

موسى إلى الوليد بن عبد الملك فهذا ما يتأتّى على الملوك من لزومهم مكاناً واحداً في الحرب.

واعلم (١) أنَّ القدماء قالوا: للكثرة الرعب، وللقلّة النصر. قال [س ٩٥] الله العظيم ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلمْ تُغْنِ عنكم شيئاً، وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبَتْ ثمَ وليتُم مُدْبرين ﴾(٢) فالكثرة أبداً يصحبها الإعجابُ ومع الإعجاب الهلاكُ.

قال النبيّ - ﷺ - خير الأصحاب أربعةٌ، وخيرُ الطلائع أربعون، وخير السرايا أربعُمئةٍ، وخير الجيوشِ أربعةُ آلاف، ولن يُغلب جيشٌ يبلغونَ اثني عشر ألفاً من قلّةٍ إذا اجتمعت كلمتُهم (٣) .

سأل سليمانُ بنُ عبد الملكِ (٤) موسى بنَ نُصيرٍ حين قدِمَ من الأندلس فقال: أيُّ الأمم كانوا أشدَّ قتالاً لك؟

قال: هم أكثرُ من أنْ أصِفُهم لك

قال: فأخبرني عن الرّومِ (٥)

---

(١) النقل من سراج الملوك ٢: ٦٩٨.

(٢) سورة التوبة ٩ / ٢٥.

(٣) في كتاب شرح السير الكبير ١:٦٧ عن ابن عباس، وآخره: إذا كانت كلمتهم واحدة وفي سنن الترمذي: ٢٠٩، ٢٧٩ تح إبراهيم عطوة عوض. وفي عيون الأخبار ١:١١١ وقد ذكره صاحب سراج الملوك دون أن ينسبه إلى النبي (ﷺ) ٢:٦٩٨.

(٤) سليمان بن عبد الملك ٥٤ - ٩٩ هـ = ٦٧٤ - ٧١٧م : سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب، الخليفة الأموي، ولد في دمشق وولي الخلافة، يوم وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦هـ وكان بالرملة، ولم يتخلّف عن مبايعته أحد كان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح. وفي عهده فتحت جرجان وطبرستان. جهز جيشاً وأرسله إلى القسطنطينية بقيادة أخيه مسلمةَ. توفي في (دابق) بين حلب والمعرّة. خلافته سنتان وثمانية أشهر إلا أياماً عن الأعلام ٣:١٢٠.

(٥) الروم: الإسبان، والإفرنج: الفرنسيون وسائر الأوروبيين.

قال: أسُدٌ في حصونهم، عِقْبانٌ على خيولهم، ونساءٌ في مواكبهم، إنْ رأوا فُرْصةً افترصوها، وإنْ رأوا غَلبةً فهم أوعال تذهب في الجبال لا يرون الهزيمة عاراً.

قال: فأخبرني عن البربر:

قال: هم أشبه الناس بالعرب لقاءً ونجدةً وصبراً وفروسيةً وسماحةً غير أنّهم أغْدرُ الناس لا وفاء لهم ولا عهدَ.

قال: فأخبرني عن الإفرنج:

قال: هنالك العدَدُ والعُدَّةُ والنجدةُ والتجلّدُ والشدّة والبأس

قال: فأخبرني كيف كانت الحرب بينك وبينهم أكانت لك أم عليك؟

قال: أما هذا فوالله ما هُزِمتْ لي رايةٌ قط، ولا بُدّدَ جمعي ولا نُكبَ المسلمون معي منذ اقتحمتُ الأربعين إلى أنْ بلغتُ الثمانين. فضحك سليمان وعجب من قوله.

وذكر الطرطوشيّ (١) في كتابه كيفيّةً من كيفيّات الحرب قال: وهو أحسنُ ترتيبٍ رأيناه في بلادنا، وهو أرْجَى تدبيرٍ نفعله في لقاء عدوّنا، وذلك أن يتقلّدَ (٢) / [س ٩٦] الرجّالة بالدّرق الكاملة والرماح الطّوال والمزارق (٣) المسنونة النافذة، فيصفّوا صفوفهم ويركزوا مواخر رماحهم خلف ظهورهم في الأرض وصدورها شارعة إلى العدوّ وهم جاثونَ في

---

(١) النقل من كتاب سراج الملوك ٢: ٦٩٨.

(٢) في سراج الملوك: نقدّم.

(٣) المزارق والمزاريق جمع مزراق وهو الرمح القصير.

الأرض (١) ، كلّ رجل منهم قد ألقم ركبتَه اليُسرى الأرضَ، وترسُه قائمٌ بين يديه، وخلفَهم الرماةُ المختارون الذين تمزّق سهامُهم الدروعَ، والخيلُ خلفَ الرماة، فإذا جاءت الرّوم على المسلمين لم تتزحزح الرجّالة عن هيئتها ولا قامَ رجلٌ منهم على قدميه، فإذا قرُبَ العدوّ رشقتهم الرّماة بالسهام/ [م٧٢] والرجّالةُ بالمزارقِ، وصدور الرماح تلقاهم فيأخذوا يمنةً ويَسْرةً فتخرجُ خيل المسلمين فتنال منهم ما شاء الله تعالى.

قال بعضهم (٢) في معترك الحرب (٣) :

ومعتركٍ تهزُّ له المنايا ... ذكورَ الهنْدِ في أيدي ذكورِ
لوامعُ يبصرُ الأعمى سناها ... ويعمى دونَها طَرْف البصير
وخافقة الذوائب قد أنافتْ ... على حمراءَ ذاتِ شباً طريرِ
تحوّم حولها عِقبانُ موتٍ ... تخطّفت القلوبَ من الصدورِ
بيومٍ راحَ في سِرْبالِ ليلٍ ... فما عُرِفَ الأصيلُ من البُكورِ
وعينُ الشمس ترنو في قتامٍ ... رنوّ البكْر من خلف الستُّورِ (٤)

قال **ارسطاطاليس** (٥) **للإسكندر** (٦) : اعلم أن الحربَ جسدٌ وروح

---

(١) عبارة سراج الملوك: فيصفّوا صفوفهم، ويركّزوا مراكزهم، ورماحهم خلف ظهورهم في الأرض، وصدورهم شارعةٌ إلى عدوّهم وهم جاثمون في الأرض.

(٢) هو ابن عبد ربه الأندلسي، احمد بن محمد المتوفى سنة ٣٢٨ هـ صاحب كتاب العقد الفريد.

(٣) الأبيات في العقد الفريد ١:٩٦ وفي شعر ابن عبد ربه ص ١٦٣ ق ١٢٥ وفي يتيمة الدهر ٢: ٧٥، ٧٦ ونهاية الأرب ٦: ١٩١، ١٩٢.

(٤) وبعده يأتي البيت الأخير: فكم قصّرن من عمرٍ طويلٍ ... به، واطلْن من عمرٍ قصيرِ

(٥) **ارسطاطاليس** ٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م : فيلسوف ومعلم وعالم يوناني، يعدّ هو وأستاذه افلاطون أهم فيلسوف بين جميع فلاسفة اليونان القدماء. وقد ألّف بالعربية عدد من الكتب عنه وترجمت كتبه إلى العربية قديماً وحديثاً انظر الموسوعة العربية العالمية ١: ٥٠٦.

(٦) **الإسكندر المكدوني** ٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م : ملك مكدونيا (الإسكندر الاكبر) هو احد كبار =

تقوم من ضدين يتغالبان، فروحهما اعتقاد الغلبة والظفر، من كلِّ واحدٍ [س ٩٧] من الفريقين، وجسمهما تلاقي الفئتين، فإذا لم يقعْ اعتقادُ الظَّفر منهما ماتت الحروب، وبقي الحربُ مادام التكافؤ، وفناؤه بغلب إحدى الطائفتين. فليكنْ همُّك في إقامة همّة جيشك، والإيقاع في نفوسهم أنكَ غالبٌ وأنّ عندك دلائلَ بذلكَ، وأرهم برهاناتٍ تقوّي بها نفوسَهم، وألِّفْ كلمـتَهم وعدْهم بالصّلاتِ والكُسْوةِ وأوفِ بذلك. وتوعّدْ مَنْ كعَّ وأحجمَ منهم بمؤلم العقوبة والتمثيل والفضيحة، وإنْ أمكنك أنْ تكونَ أمورُكَ كلّها في الحروب خَدائعَ فافْعَلْ.

وكان المهلّب يقولُ لبنيه: عليكم في الحرب بالمَكيدةِ فإنّها أبلغُ من النجدة (١) .

وفسّرَ بعضهم النجدة فقال: النجدةُ هي الجراةُ على الإقدام عند ازورارِ الأقدام.

وعن أسامةَ بنِ زيدٍ الليثيِّ (٢) قال: كان النبيّ - ﷺ - إذا غزا أخذ طريقاً وهو يريد أُخرى ويقول: الحرب خُدْعَةٌ (٣) .

= القادة العسكريين. فتح كثيراً من بلاد العالم المتمدن المعروفة آنذاك ونقل إليها الأفكار الإغريقية. أبوه فيليب الثاني وأمه أولمبياس. تربّى الإسكندر مفعماً بأحلام البطولة، وكان يحفظ الإلياذة ويحمل معه نسخة منها. تتلمذ وهو في سن الثالثة عشرة على أرسطوطاليس.
لما بلغ العشرين مات والده فأصبح ملكاً على مكدونيا. وفي عام ٣٣٤ ق.م هزم الإسكندر الفرس وفتح آسيا الصغرى ثم فتح صور وغزة ومصر وفي عام ٣٣١ ق.م هزم الفرس هزيمة ساحقة وفي عام ٣٢٦ق.م اتجه نحو الهند حتى وصل إلى سهولها الغنية. أصيب الإسكندر بحمّى الملاريا في بابل ومات في ٣٢٣/٦/١٣ ق.م... عن الموسوعة العربية العالمية ٢:٢١، ٢٣.

(١) العقد ١: ١٢٢.

(٢) هكذا ذكر في العقد ١: ١٢٧ والمعروف في الصحابة هو أسامة بن زيد. وقد سبقت ترجمته.

(٣) جاء في شرح السير الكبير ١:١١٨: ذكر عن سعيد بن ذي حُدّان قال: أخبرني مَنْ سمع علياً رضي الله عنه يقول: قال رسول الله (ﷺ) الحرب خُدْعة أو خَدْعةٌ - بالنصب- وكلاهما لغة قال السرخسيُّ: وفيه دليلٌ على أنه لا بأس للمجاهد أن يخادع قرنه في حالة القتال، وأن ذلك لا يكون غدْراً منه والخبر المذكور في كتابنا هو في العقد ١:١٢٧.

وكان مالك بن عبدالله الخثعميّ (١) وهو على الصائفة يقوم في الناس كلّما أرادَ أن يرحَلَ، فيحمدُ الله تعالى ويُثْني عليه ثمّ يقول: إنّي دَارِبٌ بالغَدَاةِ إن شاء الله دربَ كذا وكذا فيتَفرّقُ الجواسيس عنه بذلك، فإذا أصبح سلك بهم طريقاً أخرى، وكانت الرومُ تسمّيه الثعلب (٢) .

قال ابن الكلبي (٣) : لمّا فتح عمرو بنُ العاصي قيساريّةَ (٤) سار حتّى نزل على غزّة (٥) ، فبعث إليه علْجُها أنْ أرسلْ إليّ رجلاً من أصحابك أكلّمهُ ففكّر عمروٌ وقال: ما لهذا أحدٌ غيري. قال: فخرج حتى دخل على العلْج فكلّمه فسمع كلاماً [س ٩٨] لم يسمع قطُّ كلاماً مثلَه. فقال له العلجُ: حدّثني هلْ في أصحابك أحدٌ مثلُك؟

قال: لا تسلْ عن هَواني عليهم إذْ بَعثُوني إليكَ وعرّضوني لمَا عرّضُوني له ولا يَدْرُونَ ما تصنعُ بي.

قال: فأمر لي بجائزةٍ وكُسْوةٍ، وبعثَ إلى البوّاب:

---

(١) في أصلنا: عبدالله بن مالك الخثعمي والصواب ما أثبتناه كما ورد في العقد ١: ١٢٧ ونهاية الأرب ٦: ١٧٦ ومالك هو ابن عبدالله بن سنان بن سرح الخثعمي أبو حكيم المعروف بمالك السرايا ومالك الصوائف. تابعيٌ، من كبار القادة، من أهل فلسطين ولي الصوائف زمن معاوية ثم يزيد ثم عبدالملك ومات غازياً في أرض الروم، فكسر المسلمون على قبره أربعين لواءً حداداً عليه - عن الأعلام ٦ : ٢٦٣.

(٢) الخبر في العقد ١٢٧:١ ونهاية الأرب ١٧٦:٦.

(٣) ابن الكلبي تـ ٢٠٤ هـ = ٨١٩م : هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي أبو المنذر، مؤرخ عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها كأبيه. من أهل الكوفة ووفاته فيها. الأعلام ٨٧:٨.

(٤) قيساريّة: بلد على ساحل الشام، تعدّ في أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، كانت قديماً من أعيان أمهات المدن واسعة الرقعة طيبة، كثيرة الخير والأهل وذكر ياقوت أنها في أيامه هي أشبه بالقرى منها بالمدن. عن معجم البلدان ٤٧٨:٤.

(٥) غزة: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان معجم البلدان ٢٢٩:٤.

إذا مرَّ بك [م ٧٣] فاضربْ عنقَه وخُذْ ما معه.

فخرج من عنده، فمرَّ برجلٍ من النَّصارى من غَسَّان فعرفَهُ فقال له: يا عمرو، قد أحسنت الدخولَ فأحسنِ الخروجَ. فَفطِن عمرو لما أراده فرجعَ فقال له الملك: ما ردّك إلينا؟

قال: نظرتُ فيما أعطيتني فلم أجدْ ذلك يَسَعُ بني عمّي، فأردتُ أنْ آتيك بعشرةٍ منهم فتُعْطيهم هذه العطيةَ الجزيلة، فيكون معروفكَ عند عشرةٍ خيراً من أن يكون عند واحدٍ.

قال: صدقت، عجّل بهم. وبعثَ إلى البوّاب أنْ خلّ سبيله.

فخرج عمرو وهو يلتفتُ، حتى إذا أمنَ قال: لا عدتُ لمثلها أبداً.

فلما صالحه عمرٌو دخل عليه العلجُ فقال له: أنت هو!!

قال: نعم، على ما كان من غدرك (١) .

وذكروا أنّ ملكاً من ملوك العجم كان معروفاً ببُعْدِ الغور ويقَظة الفطنة وحُسْن السياسة، وكان إذا أراد محاربة ملك من الملوك وجّه إليه مَنْ يبحث عن أخباره وأخبار رعيّته قَبْلَ أنْ يُظْهر محاربتَه فيكشف عن ثلاث خصالٍ من خِلاله، فكان يقولُ لعيونه: **انظروا** هل تَرِدُ على الملك أخبار رعيّته على حقائقها أم يختدعُه عنها المُهْدِي ذلك إليه، **وانظروا** إلى الغنيّ في أيّ صفٍّ هو من رعيته؟ أفي [س ٩٩] مَنْ اشتدّ أنَفُه وقلّ شرهُه أم في مَنْ قلّ أنَفُهُ واشتدَّ شرهه. **وانظروا** إلى أيّ صِنْفيْ رعيّتِه القوّام بأمره، أممّن نظر ليومه وغده أم ممّن شغلَه يومُه عن غده؟

---

(١) الخبر في العقد ١:١٢٤.

فإنْ قيل له: لا يُختدع عن أخباره، والغِنى فيمن قَلّ شرهُه واشتدَّ أنَفُهُ، والقَوّام بأمره ممّن نظر ليومه وغده... قال: اشتغلوا عنه بغيره، وإنْ قيل له ضدُّ ذلك قال: نارٌ كامنةٌ تنتظرُ موقِداً وأضغانٌ مزمّلةٌ تنتظرُ مخرجاً، اقصدوا له، فلا حِينٌ أحينُ من سلامةٍ مع تضييع، ولا عدوٌّ أعدى من أمنٍ أدّى إلى اغترار (١) .

فمَنْ جاور عدوّه كأهل هذا القطر، وساكنَه بنحو هذا القرب، فَمِنٌ أنْ يوقظ عين بصيرته، ويذكيَ قلبَ حَزَامته، ويكونَ بالحيلة أوثقَ منه بالشدّة، وبالحذَر أفرحَ منه بالنّجدة، ويعلم أنّ الحرب حَرَبٌ، وترك الحذَرِ فيها عطبٌ، وإنْ كان الحذرُ لا يُنجي من القَدر، كما أنّ الصبرَ من أسباب الظّفر، ولينتهز الفرصةَ عند إمكانها، ولا يؤخرها في وقتها وإبانها.

ولا بأسَ أنكى مـــن تَثَبّتِ حَازمٍ ... ولا دِرْعَ أوقى للنفوس من الصّبْرِ

(١) الخبر في العقد ١:١٢٦.

الباب الثامن عشر

في الفروسية والتجنّد

في الفروسية والتجنّد

قال رسول الله - ﷺ - من خير معاشِ الناسِ لهم رجلٌ ممسكٌ عِنانَ فرسه في سبيل الله، كلّما سمع هَيْعَةً أو فزعةً طار على مَتْنِه يبتغي الموتَ مَظَانَّهُ (١).

وقال - ﷺ - طُوبى لعبدٍ آخذ بعِنان [س ١٠٠] فرسه في سبيلِ الله، أشعثُ رأسُه مُغْبرَّةٌ قدماه، إنْ كانَ في الحِراسة كان في الحراسة، وإنْ كان في السّاقة كان في السّاقة، وإنْ استأذنَ لم يؤذَنْ له، وإنْ شفعَ لم يُشَفَّع (٢).

وقال عليه السلام: [م ٧٤] ارموا واركبوا (٣).

وعُرِضتْ عليه - ﷺ - الخيلُ وعنده عُيينةُ بنُ حِصنٍ بنِ حذيفةَ بنِ بدرٍ الفزاريّ(٤) فقال عليه السلام لعيينةَ: أنا أفرسُ بالخَيل منك (٥).

وقال - ﷺ - لو أنّ هذه الأمةَ انتهتْ عند ما أُمِرتْ لأكلوا غيرَ زارعين لأنّ الله تعالى جعل أرزاقها في سنابكِ خيلها وأسنّةِ رماحها.

---

(١) ورد الحديث في عين الأدب والسياسة ٨٩٢ نقلاً عن تحفة الأنفس. وهو في البخاري ومسلم وابن ماجة وغيرها.

(٢) الحديث في عين الأدب والسياسة ٢٩٨.

(٣) ارموا واركبوا: في الجامع الصغير ١: ٣٩ ارموا واركبوا وإن ترموا أحبّ إليّ من أن تركبوا. كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا رمي الرجل بقوسه أو تأديبه فرسه أو ملاعبته امرأته فإنهن من الحق. ومن ترك الرمي بعدما علمه فقد كفر الذي علمه... عن أحمد والترمذي والبيهقي في شعب الإيمان عن عقبة بن عامر.. وانظر شرح السير الكبير ١: ١١٢ والعقد ١: ١٨٩ وعين الأدب: ٢٩٨.

(٤) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري أبو مالك. أسلم قبل الفتح وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف. كان من المؤلفة قلوبهم، ارتد في عهد أبي بكر، ثم عاد إلى الإسلام وكان فيه جفاء سكان البوادي. سماه الرسول (ﷺ) بالأحمق المطاع، يعني في قومه، وعاش إلى خلافة =

(٥) عين الأدب : ٢٩٨.

وقال - ﷺ - جُعلَ رِزْقي تحت ظلّ رُمحي، وجُعِلَ الصَّغارُ والذلّةُ على مَنْ خالفَ أمري (١) .

وكتب عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهل حمص:

علّموا أولادكم السّباحةَ والرمايةَ والفروسيةَ واخشَوْشِنوا، وانزوا على الخيل نزْواً (٢) .

ويروى عنه أنّه قال: لن تزالوا أصحّاءَ مانزعتُمْ ونَزَوْتم. يعني نزعتم بالقِسيّ ونَزَوْتم على ظهور الخيل (٣) .

وقال أسلمُ مولاه: رأيتُ عُمَرَ يُمْسكُ بأذنِ نفْسهِ ثم يُمسكُ بأذن فرسه فينزو عليه (٤) .

= عثمان وله ذكر في شعر النابغة الذبياني - الإصابة ٥: ٥٥ برقم: ٦١٤٦ وخزانة الأدب ١: ٧٣، ٧٤ وقد أعطاه الرسول مئة من الابل انظر الخبر في السيرة النبوية ٢: ٩٣٠.

(١) في فيض القدير ٥: ٢٥٩٤ برقم ٣١٥٢ بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له. وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على مَنْ خالف أمري ومَنْ تشبه بقوم فهو منهم. عن ابن عمر قال محققه وهو في المسند ٢: ٥٠ وأبو يعلى في مسنده ٤: ٥٢٨ كنز. وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ٢٩ والديلمي في الفردوس ٢: ١٩٢١ والبيهقي في شعب الإيمان ٢: ١١٩٩ وأخرجه الطبراني في الكبير ٥: ٢٦٧ عن ابن عمر وصححه الألباني في صحيح الجامع ١: ٢٨٣١. وعين الأدب : ٢٩٨.

(٢) خبر نزو عمر على الخيل في عيون الأخبار ١: ١٣٣ وفي شرح السير الكبير ١: ١١٣ وذكر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: علموا أولادكم السباحة والفروسية ومروهم بالاحتفاء بين الأغراض. وفي العقد ١: ١٩٠ اتزروا وارتدوا وانتعلوا واحتفوا وارموا الأغراض والقوا الرُكُب، وانزوا على الخيل نزواً، وعليكم بالمعدّية أو قال: بالعربية ودعوا التنعم وزيّ العجم. وانظر عيون الأخبار ١: ١٣٢. وعين الأدب : ٢٩٨.

(٣) العقد الفريد ١: ٩٠ وفيه: لن تخور قواكم ما نزوتم ونزعتم يعني: نزوتم على ظهور الخيل ونزعتم بالقسي. وانظر عيون الأخبار ١: ١٣٢. وعين الأدب : ٢٩٨.

(٤) الخبر في عيون الأخبار ١: ١٣٣ وفيه: كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى اذنه (اي اذن فرسه) اليمنى وبيده اليسرى اذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزه ويثب فكأنما خلق على ظهر فرسه. وانظر عين الأدب : ٢٩٩.

وكان يقال قديماً: العزُّ في صدور الصفوف (١) .

وقال رسول الله - ﷺ - الجنةُ تحت ظلال السيوف (٢) .

والفروسيّةُ أفضل مدارجها، وأكرم معارجها، وارتباط الجياد أعزّ اعتداداً وأقوى لذلك استنجاداً، فبها تُشَنُّ الغارات وتُدركُ الثارات، فيجبُ على الفارس أنْ يشمّرَ عن ساعد الجدّ والعزم / [س ١٠١] ويكشفَ عن ساق الحذَر والحزْم فيأخذَ نفسَه في كل حينٍ بالاستعداد والتأهّب للجهاد، وينظرَ قولَ مَنْ عرفَ الحربَ وباشرَ فيها الطعنَ والضربَ فقال:

وأعددتُ للحـــربِ أوْزَارها   رِمَاحاً طِوالاً وخيلاً ذُكُورا

قال بعض السلَف :

غزا المسلمونَ أرضَ الرّوم فمرَّ فارسٌ منهم إلى جانب صومعةِ راهبٍ، فقال الراهبُ: يا صاحبَ الفرسِ أمنَ المتطوّعةِ أنتَ أم من أهل الديوان؟

قال: بل من المتطوّعة.

قال له: ومالكَ والديوان؟! فإنّا نجدهم في بعضِ كُتبنا أنّهم عُدّةُ اللهِ في الأرض.

عن ابن عبّاس أنّ رسول الله - ﷺ - قال: إنَّ مَثَلَ الذين يغزونَ من أُمّتي ويأخذون الجُعْلَ ويُنْفقونه على عدوّهم كمثل أمّ موسى ترضع ولدها وتأخذُ أجرها (٣) .

---

(١) عين الأدب : ٢٩٩.

(٢) الحديث في كتاب امثال الحديث للرامهرمزي ١١٨ برقم ٨١ قال: وهذا حث منه على الجهاد ومعناه أن حامل سيفه في سبيل الله مطيعاً لله به يصل إلى الجنة. وهو في فيض القدير برقم: ٣٦٤٣ وثمة تخريجه مفصلاً في الحاشية وانظر عين الأدب : ٢٩٩.

(٣) الحديث بسنده في عيون الأخبار ١: ١٣٤.

قال ابن مُحَيْرِيز (١) : أصحاب العطاء أفضل من المتطوّعة لما يَرُوعُونَ.

وقال مكحول : رَوْعاتُ البعوث تقي روعات يوم القيامة (٢) .

قال الطرطوشيُ - رحمه الله - (٣)

اعلم أنّ الجُنْدَ هُمْ عُدَدُ المُلْكِ وحصونُه ومعاقلُه وأوتادُه، وهم حُماةُ البيضة والذابّونَ عن الحَوْزة، والدّافعون عن العورة، وهم جُنَنُ الثُّغور وحرّاسُ الأرض والعُدَّةُ للحوادث، وأمْدادُ المسلمين والحدُّ الذي يلقى العدوَّ، والشّوكةُ عليه، والسهمُ الذي يُرمى به، والسلاحُ المدفوع في نحره، وبهم يُذَبُّ عن الحريم، ويُؤْمَنُ السبيل، وتُسدُّ الثغور.

قال أبو ذرّ الخُشَنَي (٤):

بقاءُ الدّينِ والدُّنيا جميعاً ... بكُلِّ مقاتلٍ ثَبْتِ الجَنَانِ[س١٠٢] [م ٧٥]
إذا شَهِدُوا الحروبَ رأيتَ أُسْداً ... تهشُ كرامةً نحو الطّعان
همُ بِيضٌ وفي الأيمانِ بيضٌ ... فما تدري مَنِ السيفُ اليماني (٥)

وللإمام إعطاءُ جنده من بيتِ المال على ما يراه من النظر، وبحسَبِ ما عندَ الرجلِ من المُنّة والغَنَاء والإبلاء. قال الإمام أبو محمد بن حَزْم (٦) -

---

(١) ابن محيريز: عبدالله بن محيريز ت ٩٩ هـ وفي سنة وفاته خلاف، وقد روى عن عدد من الصحابة انظر تهذيب التهذيب ٣: ٢٥١ برقم: ٤١٧٦. والخبر في عين الأدب : ٢٩٩.

(٢) انظر عين الأدب : ٢٩٩.

(٣) النص في سراج الملوك٢: ٤٩٢.

(٤) أبو ذر الخشني ت ٦٠٤ هـ = ١٢٠٨م: مصعب بن محمد بن مسعود الخشني الجياني الأندلسي، أبو ذر، ويعرف كأبيه بابن أبي الركب قاض من العلماء بالحديث والسير والنحو. وله شعر. أصله من مدينة جيان، ولد ونشأ فيها وتحوّل في العدوة والأندلس، وولي القضاء في جيّان في أيام المنصور، واستقر بفاس وتوفي فيها. عن الأعلام ٧: ٢٤٩.

(٥) الأبيات في عين الأدب : ٣٠٠.

(٦) أبو محمد بن حزم ٣٨٤ - ٤٥٦هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٤م :علي بن أحمد بن سعيد بن حزم =

رحمه الله - يرزُقُ الإمامُ جُنْداً يكونون حواليْه في مَوْضع سُكْناه وفي الثغور التي لا يَسْتَقلُّ أهلُها بأنفسهم على عدوِّهم، يقْوى بهم على دفاعِ مَنْ أراد الفساد أوْ عِنْدَ إنفاذ الحقِّ عليه ، ولا يكونُ ذلك الجُنْدُ إلاّ من خَيارِ الناسِ وأهل الدين والحظّ الصالح من العلم من أهل الجد ومن ذوي الأحساب الذين يأنفون من الفرار، ويكون فيهم العددُ الصالح من أبناء المهاجرين والأنصار - رضي الله عنهم - فهم أحقُّ الناس بالبرِّ والرِّفعة وبالدَّفْع عن الدِّين وعن الخلافة، ويكون فيهم أيضاً من جميع قبائل العرب، وقطعةٌ من أبناء مَنْ أسلم من العجم من أهل الدين والعلم أيضاً، فواحدٌ من ذوي البصائر ممّن يُقاتل ديانةً وحفيظةً خيرٌ وأغنى في الحَوْزة من ألفٍ لا يقاتلون إلا طمعاً، وقد تقدّم قبلُ ذكر رُتَبهم ونظارهم ليدفع ببعضهم تعصّب سائرهم وتزاح عِلَلُهم في السلاح الكامل المنتخب والخيل الفُرَه والجنائب المعدّة، والزواملِ لما لابدَّ منه. ويطرح ما أمكنَ أنْ يُسْتَغْنى عنه من آلاتِ أهل السَّرَفِ. ويأمر الإمامُ نظّارهم بتعاهدهم بإقامة الصلوات والسؤال عن الدين واجتناب [س ١٠٣] الفواحش، ولا يكون شغلُهم إلا هذا والتدربَ في العمل بالسلاح وعلى الخيل والمسابقة بها وعلى الإقدام، ولا يكنْ فيهم ذِمّيٌّ أصلاً ولا مَنْ لا يَدْري فَرائضَ الإسلام ولا رقيعٌ ولا خليعٌ ولا كثيرُ الشَّغب بطول لسانه، فليُبْعَدْ أهل هذه الصِّفة ولْيُوقَعوا تحت الرِّقْبةِ الشديدة. فَمَنْ مات من الجُنْدِ أو قُتِل أجْري على

= الظاهري أبو محمد، عالم الأندلس في عصره وأحد أئمة الإسلام، ولد بقرطبة وكانت له ولأبيه من قبله الوزارة وتدبير المملكة، فزهد فيها وانصرف إلى العلم والتأليف فكان من صدور الباحثين فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة بعيداً عن المصانعة، وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء، فتمالؤوا على بغضه وأجمعوا على تضليله، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم على الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية، (لبلة) من بلاد الأندلس فتوفي فيها وله مصنفات كثيرة. عن الأعلام ٤: ٢٥٤.

مخلّفيهم ما يَسَعُهم ولا يضيعون معه فإنهم ماتُوا في خِدْمة المسلمين، وقد قال رسول الله - ﷺ - «مَنْ ترك كلّاً أو ضَياعاً فإليَّ أو عليَّ» ومَنْ شاخ منهم أو زَمِنَ أجْرِيَ عليه ما يقومُ به وبِعياله على السَّعة، وحُذف له ما كان يجري عليه من أجْلِ فرسِه وسلاحِه ومؤونة سفره.

وعلى الجُنْدِ مع ذلك الجدّ عند اللقاء والصبر عند البلاء، فإنْ كانت لهم الغلبةُ فْليُمعِنوا في الطّلب، وإن تكن عليهم فليقصروا الأعنّة وليجمعوا الأسنّة وليذكروا أخبار غدٍ.

قال عبدُالله بنُ عباسٍ لصعصعة بنِ صَوْحانَ (١) : مَن الفارسُ فيكم؟ حُدَّ لي حداً أسمعه منك فإنك تضعُ الأشياء مواضعها يا بن صوحان.

قال: الفارسُ مَنْ قَصُر أجلُه في نفسه، وضَغَم على أصله بضرسه، وكانت الحربُ أهونَ عليه من أمْسِه، ذلك الفارسُ إذا وقَدت الحرب، واشتدّ بالأنفسِ الكَرْبُ وتَدَاعَوْا للنّزال وتراجعوا للقتال وتخالسوا المُهجَ واقتحموا بالسيوف اللُّجَج.

قال: أحسنت والله يا بن صوحان، إنّك لسليلُ أقوامٍ كرام خطباءَ فصحاءَ ما ورثتَ هذا عن كلالةٍ. زِدْني.

قال: نعم، الفارسُ كثيرُ الحذر مديدُ النّظر [م ٧٦] يلتفتُ بقلبه ولا يُدير خَرَزات صُلْبه.

---

(١) صعصعة بن صوحان ت ٥٦ هـ = ٦٧٦م: صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي، من سادات عبد القيس، من أهل الكوفة، مولده في دارين قرب القطيف، كان خطيباً بليغاً عاقلاً، له شعر، شهد صفين مع عليّ، وله مع معاوية مواقف. نفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة أوال في البحرين فمات فيها عن نحو سبعين عاماً. عن الأعلام.

قال: [س ١٠٤] أحسنت والله يا بن صوحانَ الوصفَ. فهلْ في مثل هذه الصفة من شعرٍ؟

قال: نعم، لزهير بنِ جَنَابٍ (١) الكلبيِّ في ابنه عمروٍ حيث يقول:

فـارسٌ تُكلأُ الصحابةُ منه ... بحسامٍ يمرُّ مرَّ الحريقِ
لا تراهُ لدى الوغى في مجالٍ ... يعقِلُ الطرف لا ولا في مضيقِ
مَنْ يراه يخْلَه في الحرب يوماً ... أنه أخْرقٌ مضلُّ الطريق
فإذا الحربُ أوقدتْ وتَلظّتْ ... واغَصّتْ كُماتِها بالرِّيقِ
عَمّم السيفَ كلَّ قِرْنٍ كَميٍّ ... باسلِ البأس هبرزيٍّ عريقِ

وينبغي للفارس أنْ تكون فيه ثمانية أخلاقٍ من أخلاق البهائم: شجاعةُ الأسد، وحَمْلةُ الخنزير، وروَغان الثعلب، وصبْرُ الكلب على الجراحة، وغارة الذئب، وحراسة الكركيّ، وحَذَرُ الغراب، وسِمَن يعْدُو، وهي دُوَيبّةٌ تكونُ بخراسان تسمنُ على التعب والشقاء.

وينبغي للإمام أنْ يجعلَ أيام أسْفَار جُنْدِه أكثرَ من أيام دَعَتهم أو على السواء، ولا تكون أيام الدَّعة إلا بمقدار ما لا يضرّ تواترُ الأسْفار بأبدانهم وعيالهم (٢) .

قيل للمهلّب بن أبي صُفْرةَ: ما أعجبَ ما رأيتَ في حرب الأزارقة؟

قال: فارساً كان يخرجُ إلينا في كلّ غداةٍ فيقفُ ويقولُ:

---

(١) زهير بن جناب الكلبي ت نحو ٦٠ ق. هـ = ٥٦٤م: من بني كنانة بن بكر، خطيب قضاعة وسيدها وشاعرها وبطلها ووافدها على الملوك في الجاهلية، كان يدعى الكاهن لصحة رأيه، وعاش طويلاً، وقائعه تناهز المئتين. أشهرها أيامه مع بكر وتغلب. عن الأعلام ٣: ٥١.

(٢) النقل عن سراج الملوك ٢: ٦٨٠.

وسائلةٍ بالغيب عنّي ولو دَرَتْ   مُقارعتي الأبطالَ طال نحيبُها
إذا ما التقينَا كنتُ أولَ فارسٍ   يجودُ بنفسٍ اثقلَتْها ذنوبُها[س ١٠٥]

ثمّ يحمل فلا يقومُ له شيءٌ إلا اقْعدَهُ، فإذا كان من الغدِ عاد لمثْلِ ذلك (١).

وأولى ما يأخذُ به الفارس نفسَه بعد استقراه المركوب وإحكام الركوب مطالعةُ كتب السّير والغزوات واستِحْضار ما وقع في ذلك لكُماةِ الشعراء من الأبيات.

قال عمرُو بنُ معديكَرِب الزُّبَيْديّ (٢):

اعاذِل عُدّتي بدني ورُمْحي   وكلُّ مقلّصٍ سلسُ القيادِ
اعاذل إنّما افنى شبَابي   إجابتيَ الصريخ إلى المنادي
مع الأبطال حتّى سُلَّ جِسْمي   وأقرحَ عاتقي حملُ النّجادِ
ويبقى بعد حِلْم القوم حِلْمي   ويفنى قبلَ زادِ القومِ زادي
ومنْ عجبٍ عجبتُ له حديثٌ   بديعٌ ليسَ من بِدَعِ السدادِ
تمنّى انْ يلاقِيَني قُبيسٌ   وددْتُ وأينما مني ودادي
تمنّاني وسابغة قميصي   كأنّ قتيرها حدقُ الجرادِ [م٧٧]
وسيفٌ لابن ذي قينان عندي   تُخُيِّرَ نَصلُه من عهد عادِ
فَلوْ لاقَيْتَني لَلَقيتَ ليثاً   هَصُوراً ذا ظُبىً وشَبَاً حدادِ

---

(١) الخبر في العقد ١: ١٠٣ وانظر شعر الخوارج ص ١٣٩ ق ١٤٠ ب ١ – ٢.

(٢) الأبيات في شعره المجموع بعنوان: شعر عمرو بن معديكرب ص ١١٠ ق ٢٣ والبدن: الدرع. والأبيات أيضاً في العقد ١: ١٣١.

والمقلّص: الفرس الطويل القوائم المشمر. والصرّيخ: المستغيث. وقتير الدرع مساميرها.

والقصيدة في الأغاني في ترجمة عمرو بن معديكرب.

ولا ستيقنتَ أنّ الموتَ حقٌّ وصرّح شحمُ قلبك عن سوادِ
أنا المرءُ الذي حُدِّثْتِ عنه أبيٌّ في الشدائد ليث عادِ
خفيُّ الحسِّ أخرسُ غيرُ نِكْسٍ ولا متعلمٌ قتلَ الوحادِ
وفارسُ بُهْمةٍ ورئيسُ جيشٍ تُخَوِّفُ باسْمِه شُوسُ الأعادي [س١٠٦]
فَمَنْ ذا عاذِري من ذي سفاهٍ يُريد بنفسه شرُّ المرادِ
أريدُ حياته ويريد قتلي عذيرَك من خليلك من مُرادِ

وقال السّموال بن عادياء (١) :

وإنّا لقومٌ ما نرى القَتْلَ سُبّةً إذا ما رأتْهُ عامرٌ وسلولُ
يقرّبُ حبُّ الموتِ آجالنا لنا وتكرهُه آجالهم فتطولُ
وما ماتَ منّا سيّدٌ في فراشِه ولا طُلَّ منّا حيثُ كان قتيلُ
تسيلُ على حدِّ الظباتِ نفوسنا وليستْ على غيرِ السيوفِ تسيلُ
وأيّامنا مَشْهورةٌ في عَدوّنا لها غُرَرٌ معْلُومةٌ وحُجُولُ
وأسيافُنا في كلّ غربٍ ومَشْرقٍ لها من قِراعِ الدّارعين فلولُ
معوّدةٌ أنْ لا تُسلّ نصالُها فتُغْمَد حتّى يُستباحَ قتيلُ (٢)

---

(١) السموال = نحو ٦٥ ق.هـ = ٥٦٠م: تقدمت ترجمته.

(٢) الابيات من ابيات له في الحماسة بشرح المرزوقي ١: ١١١ ق: ١٥ والأبيات المختارة هنا هي: ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٨، ١٩، ٢٠ معنى قوله: ولا طُلّ منّا حيث كان قتيل اي لم يُطل دم قتيلٍ منا حيث كان. ويقال: طُلّ دمُه يُطَلّ طلاً إذا أهدر. والمراد بالظبات: السيوف. وقوله: لها غرر معلومة وحجول أي إن وقعاتنا مشهورة في اعدائنا معلومة، فهي بين الايام كالافراس الغر المحجلة بين الخيل يُعرف بلاؤنا فيها. والتحجيل في الخيل: ابيضاض مواضع الحِجْل وهو القيد والخلخال.

وقال أبو سعيد المخزوميّ (١) :

في الخيلِ والخافقاتِ البيضِ لي شُغُلٌ ليسَ الصَّبابةُ والصهباءُ من شُغُلي
سل الجـرادةَ عنّي وهي تحـملني هلْ فـاتني بطلٌ أوْ خِمْتُ عن بطلِ
وهل شـآني إلى الغـاياتِ سـابقُها وهل فـزِعْتُ إلى غـيـر القنا الذُّبُلِ
ننبي إلى الخيلِ كـرٌّ في جَوانبـهـا إذا مشى الليثُ فيـها مشيَ مُخْتَبلِ
ولي من الفـيلق الجـأواء غَمْرتُهـا إذا تَقَحَّمـهـا الأبطال بالحـيل
كم جـانبٍ خـشنٍ صـبَّحتُ عـارضَه بعـارضٍ للمنايا مُسْبلٍ هَطِلِ [س١٠٧]
وغَمْرةٍ خُضْتُ أعْلاهَا وأسـفَلهـا بالطّعنِ والضّربِ بينَ البيض والأسلِ
ومَا يُريـدونَ لـولا الجُبْنُ مـن رجـلٍ بالليل مشـتملٍ بالجَمْرِ مُكْتَحِلٍ[م٧٨]
لا يشـرب الماءَ إلاّ منْ قليب دمٍ ولا يبـيتُ له جَارٌ على وجلِ (٢)

وقال بكرُ بن النطّاح (٣) :

ومَنْ يفـتـقـرْ منّا يعشْ بحـسَامـه ومَنْ يَفْتَقـرْ من سـائر الناس يسـألِ
ونـحـنُ وُصِفْنَا دون كلّ قـبـيلةٍ بشـدّةِ بأسٍ في الكتـاب المنزّلِ
إنّا لنلهـو بالسـيـوف كـمـا لهتْ فـتـاةٌ بعـقـدٍ أو سَخـاب قَرَنْفُلِ (٤)

---

(١) لم نقع له على ترجمة وهو مذكور في كتاب الأمالي للقالي والعقد وغيرهما.

(٢) أبيات أبي سعيد في كتاب الأمالي للقالي ١ : ٢٥٩، وقوله: شأني أي سبقني. الجأواء: الكدراء اللون في حمرة وهو لون صدأ الحديد لكثرة ما عليها من الدروع.

(٣) بكر بن النطاح ت ١٩٢ هـ = ٨٠٨م: من بني حنيفة، أبو وائل، شاعر غزل من الفرسان، من أهل اليمامة انتقل إلى بغداد في زمن الرشيد واتصل بأبي دلف العجليّ فجعل له رزقاً سلطانياً عاش به إلى أن توفي. ورثاه أبو العتاهية بقوله:

مات ابن نطّاح أبو وائل بكرٌ، فاضحى الشعر قد ماتا

عن الأعلام ٢:

(٤) البيتان الأول والثالث في الأغاني ١٩ : ٣٩ ط دار الثقافة.

وقال قَطَريُّ بن الفُجاءة المازني (١) :

يا رُبَّ ظلِّ عُقابٍ قد وقيتُ به ... مُهري من الشمسِ والأبطالُ تجتلدُ (٢)
ورُبَّ يومِ حِمىً أرعيتُ عَقْوتَه ... خَيلي اقتسَاراً وأطرافُ القَنَا قِصَدُ (٣)
ويومِ لهوٍ لأهلِ الخَفْضِ ظلّ به ... لهوي اصطلاء الوغى ونارُه تقدُ
مشمّراً موقفي والحربُ كاشفةٌ ... عنها القناعَ وبحرُ الموتِ يطّردُ
ورُبَّ هاجرةٍ تغلي مراجلُها ... نَحَرْتُها بمطايا غارةٍ تَخِدُ (٤)
فإنْ أمُتْ حتف أنفي لم أمت كَمَداً ... على الطعان وقَصْرُ العاجز الكمدُ
ولم أقُلْ لم أساقِ الموتَ شاربَه ... في كأسِه والمنايا شُرَّعٌ وُرُدُ (٥)

وقال بعضُهم :

وإنّا لضَرّابونَ للهامِ في الوغَى ... وأسيافُنا في حَوْمةِ الموتِ شُرَّعُ[س١٠٨]
وأبطالُ أبطالٍ وفرسانُ غارةٍ ... حُماةٌ كُماةٌ سِرْبُها لا يُفزّعِ
وإنّا لَمِثْلُ الشمسِ بلْ نحنُ فَوْقَها ... فطَرْفُ الأعادي دونَنا يتقطّعُ
وإنّا لورّادُون كلَّ حفيظةٍ ... ترى الموتَ في أظْلالها يتضجّعُ

---

(١) قطريّ ت ٧٨ هـ = ٦٩٧ : تقدمت ترجمته والأبيات في شعر الخوارج : ١٠٥ .
(٢) العُقاب : الراية.
(٣) العَقْوة : الساحة. وفي شعر الخوارج: اقتصاراً اي دون مجاوزة اما (اقتساراً) فتعني القهر والغلبة. والقِصَد: المكسّرة.
(٤) تخدُ: تسرع في المشي. وقد ورد في شعر الخوارج بعد هذا البيت قوله:
تجتاب أودية الأفزاع آمنةً ... كأنها أسدٌ تقتادها أُسُدُ
(٥) الأبيات في شعر الخوارج ١٠٩، ١١٠ برقم ١٠٧ وقد أخذنا الشرح من حواشي التحقيق. وهي أيضاً في الأمالي للقالي ١: ٢٦٥.

وأنشد المبرّدُ (١) لرجلٍ من بني أميّة:

إذا ما وُتِرْنا لم نَنَمْ عن تِراتنا
ولم نكُ أوغالاً نُقيم البواكيا (٢)
ولكننا نُمضي الجياد شوازباً
ونرمي بها نحوَ التّراتِ المراميا (٣)

وقال أبو دُلَف (٤):

سيفي بليلي قَبَسي | وفي نهاري أُنُسي
إنّي فتىً عوّدني | مُهري ركوبَ الغَلَسِ
يَحْمَدُني سيفي كما | يَحْمَدُ كَرّي فَرَسي(٥) [م٧٩]

وقال النابغةُ الجَعْدي (٦):

---

(١) المبّرد: ٢١٠ - ٢٨٦ هـ = ٨٢٦ - ٨٩٩م: محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثمالي الازدي، أبو العباس المعروف بالمبرد، إمام العربية ببغداد في زمنه وأحد ائمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. من اشهر كتبه: الكامل، والمقتضب، والتعازي والمراثي، والفاضل.. والخبر المذكور في كتاب الكامل ٢: ١٢٠ وفي الكامل ط الدالي ٣: ١٠٧٤.

(٢) وُترنا: قتل منّا قتيل، والتّرات جمع تِرة وهي الذّحل والثأر. والأوغال جمع وغْل وهو من الرجال النذل الضعيف. عن رغبة الآمل ٧: ٧٣ نقلاً عن المحقق الدالي.

(٣) الشوازب من الخيل: الضامرة. والترات سبق شرحها في التعليق السابق.

(٤) أبو دلف ٢٢٦ هـ = ٨٤٠م: أبو دلف العجلي القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل من بني عجل من لجيم أمير الكرخ وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء. قلّده الرشيد العباسي أعمال «الجبل» ثم كان من قادة جيش المأمون، وأخبار ادبه وشجاعته كثيرة وللشعراء فيه أماديح، وله مؤلفات منها سياسة الملوك والبزاة والصيد. وكان عالماً بصناعة الغناء يقول الشعر ويلحنه، توفي في بغداد. الأعلام ٥: ١٧٩ والأغاني ٨: ٢٤٨.

(٥) الأبيات في العقد ١: ١٠٣ بغير الترتيب الذي وردت عليه.

(٦) النابغة الجعدي ت نحو ٥٠ هـ = ٦٧٠م: قيس بن عبدالله بن عُدَس بن ربيعة الجعدي العامريّ، ابو ليلى، شاعر مُفْلق صحابي، من المعمّرين، اشتهر في الجاهلية، وسمي النابغة =

ونحنُ أناسٌ لا نعـــــوّدُ خَيْلنا إذا مـا التـقـينا أن تَحـيدَ وتَنْفِرا
وتُنكرُ يـوم الـرّوع ألـوانُ خَيـلـنـا من الطّعْن حتى تحسب الجَوْنَ اشقرا
فليس بمعــــروفٍ لنا انْ نردّها صحـاحـاً ولا مستنكراً انْ تُعقرا
نحلّي بأرطالِ اللجينِ سـيـوفَنا ونعلو بهـا يوم الهـيـاج السَّنوّرا
بلغنا السـمـاءَ مجدُنا وفـعـالُنا وإن لنرجـو فـوق ذلك مظهـرا (١)

وقال **محمد بن عبدالله بن طاهر** (٢) [س ١٠٩] :

لسـتُ لريحـــانٍ ولا راحِ ولا علـى الجـــارِ بِنَبّاحِ
فـإنْ أردت الآنَ لي مـوقـفـاً بين أسـيــافٍ وأرمـــاحِ
ترى فـتـىً تحتَ ظلال القَنَا يقبض أرواحـــاً بأرواحِ (٣)

= لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر، ثم نبغ فقاله. وكان ممن هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام، ووفد على النبي (ﷺ) فأسلم وأدرك «صفّين» فشهدها مع علي ثم سكن الكوفة، فسيره معاوية إلى اصبهان مع احد ولاتها فمات فيها وقد كف بصره وجاوز المئة. وأخباره كثيرة - عن الأعلام ٥: ٢٠٧.

(١) ديوانه : ٧٨ (ق ٢٦ ب) والأبيات المختارة هنا هي الأبيات ٧١، ٧٠، ٧٢ - ٧٣ والبيت الرابع هنا مذكور في الرواية الأولى للقصيدة برقم ٨٥ وقد سقط من الرواية الثانية وانظر تخريج القصيدة في ديوانه: ٥٤.

(٢) محمد بن عبدالله بن طاهر ٢٠٩ - ٢٥٣ هـ = ٨٠٤ - ٨٦٧م: محمد بن عبدالله بن طاهر الخزاعي، أمير، حازم، من الشجعان، من بيت مجدٍ ورئاسة ولي نيابة بغداد ايام المتوكل العباسي وتوفي بها، له في فتنة المعتز بالله اخبار كثيرة أورد ابن الأثير بعضها، وكان فاضلاً اديباً جواداً. قال الخطيب: كان مألفاً لاهل العلم والأدب. وقال الشابشتي لما مات محمد بن عبدالله بن طاهر اشتد وجد المعتز عليه وكان يرى ان الأتراك يهابونه من اجله ورثاه - عن الأعلام ٦: ٢٢٢.

(٣) الأبيات في العقد الفريد ١: ١٠٣.

وقال عبدالله بن المعتزّ (١) :

يا رُبَّ حـرب تخطّيتُ القنا قِصَداً — فـيـهـا وخُضْتُ المنايا ثمَّ لم أخم
بحيثُ تستكرهُ الأبطالُ موقفها — ويُحرزُ النفسَ غَرْبُ الصّارم الخذِم
إذ لا ظلالَ لنا إلا صوارمُنا — ولا مشاربَ إلاّ من حياض دم
انتابُ ثمَّ المنايا في مواطنها — حتّى تنالَ يدي أفعالَ منتقم
فَسَلْ قَنا الخطّ هل رَوَيتُ أكْعُبَهُ — من الدّماء غداةَ الجَحْفل النّهِم
لَصَرْفُ اركان صَرْفِ الدهر ايسر من — صرفي غداة الوغى عن منتهى قدم
ولي حسامٌ يهابُ الدهرُ شفرته — أمضى وأعضب من حدّيه عَضْبُ فم
تأبى لي الذمُّ كفٌّ غيرُ جامدةٍ — يغنيكَ عارضُها عن عارضِ الدِّيمِ

وقال أبو فِراس الحَمْداني (٢) :

---

(١) عبدالله بن المعتزّ ٢٤٧ - ٢٩٦ هـ = ٨٦١ - ٩٠٩م: عبدالله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد العباسي، ابو العباس، الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة، ولد في بغداد وأولع بالادب وصنّف كتباً كالبديع وطبقات الشعراء، الت الخلافة في ايامه إلى المقتدر العباسي وكان طفلاً فبايع القواد ابن المعتز، لكن غلمان المقتدر وثبوا به فخلعوه وسلّموه إلى مؤنس فخنقه. وله ديوان شعر كبير. الأعلام ٤: ١١٨ - الأغاني ١٠ : ٢٧٤.

(٢) أبو فراس ٣٢٠ - ٣٥٧هـ = ٩٣٢ - ٩٦٨م: الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي أبو فراس الحَمداني، أمير، شاعر فارس، وهو ابن عم سيف الدولة. له وقائع كثيرة قاتل بها بين يدي سيف الدولة. وكان سيف الدولة يحبه ويجلّه ويستصحبه في غزواته ويقدّمه على سائر قومه، وقلّده منبجاً وحرّان وأعمالها فكان يسكن بمنبج (بين حلب والفرات) ويتنقل في بلاد الشام، وجرح في معركة مع الروم فاسروه سنة ٣٥١هـ فامتاز شعره في الأسر بروميّاته، وبقي في القسطنطينية أعواماً ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة.

بعد وفاة سيف الدولة تملك حمص وسار ليتملك حلب فقتله أحد أتباع سعد الدولة ابن سيف الدولة في صدد على مقربة من حمص - عن الأعلام ٥: ١٥٥.

والأبيات التي اوردها صاحب تحفة الأنفس هي ابيات مختارة من قصيدة لأبي فراس تبلغ اربعين بيتاً وأولها: =

بأطراف المثقّفة العوالي تعزّزنا بأوساط المعالي (١)
وما تحلو مجاني العزّ يوماً إذا لم تَجْنِها سُمْرُ العوالي (٢)
وتلقى دونها سُقْبَ المنايا بمرّ الطّعن في مُرّ المجالِ
كذا دأبي ودأب سَراة قومي على العلأت في شرف الفَعالِ [س١١٠]
ومَنْ عرفَ الحروبَ ومارستَه أطابَ النفسَ بالحرب السَّجالِ [م ٨٠]
ومَنْ وردَ المهالكَ لم تَرُعْهُ رزايا الدهرِ في أهلٍ ومالِ
الم اثبتْ لها والخيلُ فوضى بحيث تخفّ أحلام الرجال
تركْتُ ذوابلَ المرّان فيها مخضّبةً محطّمةَ الأعالي
وعُدْتُ أجرّ رُمحي عن مقامٍ تحدّثُ عنه ربّاتُ الحجالِ
فقائلة تقولُ: جُزيت خيراً لقد حاميت عن حرم المعالي
وقائلةٍ تقول: أبا فِراسٍ أعيذُ عُلاك من عين الكمالِ
ومُهري لا يمسُّ الأرض زهواً كأنّ تُرابها قطبُ النّبَالِ (٣)
كأنّ الخيلَ تعرفُ مَنْ عليها ففي بعضٍ على بعضٍ تعالِ
علينا أنْ نُعاوِدَ كلَّ يومٍ رخيصٍ عنده المُهَجُ الغوالي
فإنْ عِشْنا نخرناها لأخرى وإنْ متنا فموتاتُ الرجالِ

= ضلالاً ما رأيتَ من الضلال معاتبة الكريم على النوال
وإنّ مسامعي عن كل عذلٍ لفي شغْلٍ بحمدٍ أو سؤال
وهي في ديوانه (حسب الرواية المغربية) ص ١٧٥ وما بعدها.

(١) في الديوان: تفرّدنا.

(٢) قرأها محقق الديوان: إذا لم نُجنِها سُمْرَ العوالي.

(٣) في الديوان : قطب النصالِ.

وقال بعضُ بني قيس بن ثعلبة (١) :

إنّا لَنُرْخِصُ يومَ الروع أنفـــسنا ... وَلَوْ نُسَامُ بها في الأمنِ أُغْلينا (٢)

بيضُ مــفــارقنا تغلي مــراجلُنا ... نـأســو بـأمــوالنا آثارَ أيدينا (٣)

إنّا لمــن مَعْشَرٍ أفــنــى أوائــلَهــم ... قيلُ الكُماةِ: الا أينَ المحامونا (٤)

لو كانَ في الألفِ منّا واحدٌ فَدَعوا ... مَنْ فــــارسٌ خَالهم إياه يَعْنُونا

إذا الكُمَاةُ تنحوا أنْ يُصــيـبــهمُ ... حدُّ الظباة وصلناها بأيدينا(٥) [س١١١]

---

(١) جاء في الحماسة بشرح المرزوقي ١: ١٠٠ برقم ١٤.

قال بعض بني قيس بن ثعلبة ويقال إنها لبشامة بن جَزْء النهشلي، ونقل محقق الكتاب عن خزانة الأدب ٣: ٥١٥ أن هذا الشاعر إسلامي كما يظهر من شرح المبرد لأبياته، ونسب ابن قتيبة الأبيات في الشعر والشعراء إلى نهشل بن حَرِي وفي عيون الأخبار ١: ١٩٠ إلى بشامة وكذلك في الكامل ١: ٦٦ والأبيات من قصيدة في الحماسة بلغت اثني عشر بيتاً ذكر منها صاحب تحفة الأنفس البيت السادس وما بعده ومطلع القصيدة.

إنا محيّوك يا سلمى فحيينا ... وإن سقيتِ كرام الناس فاسقينا

(٢) أغلينا: وُجدت غالية او جعلت غالية. يقول: نبتذل انفسنا في الحروب ولا نصونها، ولو عُرض علينا إزالتُها في غيرها لامتنعنا. وهذا لحرصهم على تخليد الذكر الجميل والإبانة عن محل النفس في الشجاعة. عن شرح المرزوقي ١: ١٠٥.

(٣) بيض مفارقنا ويروى بيض معارفنا (الوجوه) والمراد من ذلك نقاء العرض وانتفاء الذم والعيب. أما بياض المفارق فإنما هو لاعتياد لبس المغافر والبيض (الخوذ) وغليان المراجل يكون كناية عن الضيافة كما يمكن أن يكون كناية عن الحرب.

(٤) معنى البيت: إني لمن قوم اهلك اسلافَهم قولُ الابطال لهم: الا اين الذابّون والمحامون؟ فكانوا يتقدمون ويفنون. عن المرزوقي ١: ١٠٧.

(٥) الكماة: الفرسان. وحدّ الظبات: حد السيوف ومعنى البيت: إذا الأبطال تباعدوا عن المصادمة والمكافحة مخافة أن ينالهم حدُّ السيوف مددنا أبواعنا إليهم بها أو وصلناها.

ولا تراهم وإنْ جلّت مصيبتُهم ... مع الرجال على مَنْ مات يبكونا (١)
ونركب الكُرْهَ أحياناً فيفرُجُهُ ... عنّا الحِفاظُ وأسيافٌ تواتينا (٢)

وقال أبو زهير الحَمْداني (٣) :

وقَدْ علمتْ بما لا قَتْه منّي ... قبائل يعربٍ وابنا نزارِ
أتيناهم بأرماحٍ طوالٍ ... تبشّرهم بأعمارٍ قِصارِ (٤)

وقال أبو العشائر الحَمْداني (٥) :

ألخا الفوارس لو شهدتَ مواقعي ... والخيلُ بي تحت العجاجة تَنْحِطُ
لقرأتَ فيها ما تخطُّ يدُ الوغى ... والبيضُ تشكُل والأسنّةُ تَنْقُطُ (٦)

---

(١) يصف تعوّدهم للثكل، وإلفهم المصائب والقتل، وأن قلوبهم قد مرنت عليها حتى قست، فلا يبكون مع البكاة على مَنْ قتل منهم. شرح المرزوقي ١: ١٠٩.

(٢) يجوز انه اراد بالسيوف رجالاً كانهم السيوف مضاءً ونفاذاً، والأول اولى. وإنما يصف خطارهم بمهجهم وركوبهم المهالك ورميَهم بأنفسهم المرامي المُعْطبة، فيقول: إذا فعلنا ذلك في الوقت بعد الوقت وسعت المضايق عنا محافظُتنا على الكرم وصبرُنا على الشدائد واستعمالُنا المطاوعة لنا- شرح المرزوقي ١: ١٠٩ والابيات في الكامل ٦٦.

(٣) ابو زهير الحمداني: قال ابن خالويه: ابو زهير المهلهل بن نصر بن حمدان افرس العرب وأشعرها. له ذكر في كل موقف شريف. وله شعر مليح اكثره في مكاتبات الامير ابي فراس. عن شرح ديوان أبي فراس لابن خالويه: ٨٧.

(٤) البيتان في يتيمة الدهر ١: ١٠٤.

(٥) ابو العشائر الحمداني: قال ابن خالويه: ابو العشائر يحيى بن علي بن حمدان رحمه الله، كبسته عساكر الإخشيدية مع يانس المؤنسي وهو منصرف بانطاكية من الميدان واصابته نشابة في وجهه أخرج نصلها بعد ايام، فشد في اوساطهم فلم يزل يضرب ويحتمي حتى تخلص وأسر وتوفي في الأسر – عن شرح ديوان ابي فراس ص ٨٩.

(٦) البيتان في يتيمة الدهر ١: ١٠٤.

وقال سعيد بنُ جودي [م ٨١] (١) :

الدرعُ قد صارتْ شعاري فما أبسُطُ - حاشاها - لِتهْجَاع
والسيفُ إنْ قصّرهُ صانعٌ طولَهُ يوم الوغى باعي
وما كُميتي لي بمستقصرٍ إذا دعاني للّقا داع
هذا الذي أسعى له جاهداً كلّ امرىءٍ في شأنه ساعٍ (٢)

وأشعارُ الأبطالِ والكُماةِ من الرجال لا تُحصى في هذا المعنى لكثرتها، ولا تخفى عن أحدٍ لشهرتها، لكن في ذكرها ما يَبْعثُ على الإقدام، ويحملُ على ورودِ مناهل الحِمام.

قال هارون الرشيد :

نعمَ العَوْنُ على الخير الشعرُ، لقد رأيتُني وأنا ببلادِ الرّوم وقد ضاقت

---

(١) سعيد بن جودي ت ٢٨٤ هـ = ٨٩٧م: سعيد بن سليمان بن جودي بن إسباط بن إدريس السعدي من هوازن، أبو عثمان أمير ثائر في الأندلس، يعدّ من أدباء الملوك، كان شجاعاً بطلاً جواداً خطيباً شاعراً، تراس القيسية بعد مقتل سوار بن حمدون سنة ٢٧٧ هـ واستولى على حاضرة البيرة فاقطعه الأمير عبدالله بن محمد كورتها وقتله بعض أصحابه غيلة بسبب امرأة – كما في كتاب الحلّة السيراء – ويقول ابن حيان في «المقتبس» إنه استخف بأصحابه حتى دبّر عليه كبيران منهم حيلةً قتلاه بها ونسبوه إلى انه أسرَّ الخلاف للأمير عبدالله وعزوا إليه ابياتاً من الشعر جعلوها ذريعة إلى قتله منها:

يا بني مروان خلّوا ملكنا إنما الملك لأبناء العرب

وقال: كان قيامه بأمر العرب سبع سنين ولم ينتظم لهم أمرٌ بعده. وقال في موضع آخر: قتل غدراً وذلّت العرب بعد مقتله وهانت على المولدين المناضلين لهم بحاضرة البيرة. وانظر رثاء المقدم بن المعافى لسعيد بن جودي في نفح الطيب ٣: ٥٣٨ – عن الأعلام ٣: ٩٥.

(٢) الأبيات في شعره المجموع في كتاب «سعيد بن جودي السعدي الألبيري الأندلسي: سيرته ومجموع شعره» ص ٨٧، ٨٨ نقلاً عن الحلة السيراء ١:١٥٧ لابن الأبّار.

عليّ الأرضُ بما رَحُبَتْ شــدةً، إذ خَطَرتْ لي أبيــاتُ مـالك بن عَوْف **النَّصْريّ:**

وإذا اشــتكى مُهْري إليّ حــرارةً عند اختلاف الطعن قلت له: اقْدَمِ

إنّي بنفـسي في الحـروبِ لتـاجـرٌ تلكَ التـجـارة لا انتـقـادُ الدرهمِ

فلمـا تمثّلت بهـذا سكّنت من جـأشي، ثم عدتُ إليـهـا، وحملتُ وحـملَ المسلمون فما قضيت الأبيات حتّى فتح الله علينا.

فـالإقدام ليسَ يُدْني من الوفـاة، ولا الإحـجامُ يزيد في الحـيـاة، والطعنُ في ثُغَر النحور أكرم منه فـي الأعجاز والظهور، والهالك المصدور خيرٌ من الناجي الفَرُور:

وهل يحملُ الضَّيمَ الفَتى وهو آخذٌ بقائمِ سيـــفٍ او عنان لجامِ

الباب
التاسع عشر

في ذكر مشاهير فرسان العرب في الجاهلية والإسلام

في ذكر مشاهير فرسان العرب في الجاهلية والإسلام

في الخبر أن الشجاعة عشرة أجزاء، تسعةٌ في العرب، وواحد في سائر الناس.

وكان فارسَ العرب في الجاهلية **ربيعةُ بن مكْدَم** (١) من بني فراس بن غَنْم بن مالك بن كنانة وكان يُعْقَر على قبره في الجاهلية، ولم يُعْقر على قبر احدٍ غيره، وكان بنو فِراس بنِ غَنْم بنِ مالك بن كنانةَ أنجدَ العرب، كان الرجلُ منهم يُعدلُ بعشرةٍ من غيرهم، وفيهم يقولُ **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه لأهل الكوفة: يا معشرَ **أهل الكوفة**: مَنْ فازَ بكم فقد فاز بالسهم الأخيب، أبدلكم اللهُ بي مَنْ هو شرٌّ لكم وأبدلني بكم من هو [س ١١٣] خيرٌ منكم، ودِدْتُ والله أنّ لي بجمعكم وأنتم مئة ألف ثلاث مئةٍ من بني **فراس بن غَنْم** (٢) .

ومن فرسان العرب في الجاهلية :

- عنترة الفوارس
- وعتيبةُ بن الحارث بن شهاب (٣)

---

(١) ربيعة بن مكدم: نحو ٨٥ - ٦٢ق. هـ = نحو ٥٣٤ - ٥٥٨م : ربيعة بن مكدّم بن عامر بن حرثان من بني كنانة، احد فرسان مضر المعدودين في الجاهلية وهو الذي حمى الظعن بعد مقتله. انظر سمط اللآلئ ٩١٠ وبلوغ الأرب للآلوسي ٢: ١٤٤ والأعلام ٣: ١٧

(٢) الخبر بتمامه في العقد ١: ١١٦.

(٣) عتيبة بن الحارث .. التميمي، فارس تميم في الجاهلية، كان يلقب «سمّ الفرسان» و «صياد الفوارس» ويضرب به المثل في الفروسية. قال ابن أبي الحديد: كانوا يعدّون ابطال =

- وأبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنّة (١)
- وزيد الخيل (٢)
- وبسطام بن قيس (٣)
- والأحيمر (٤)

= الجاهلية ثلاثة: عامر بن الطفيل وبسطام بن قيس وعتيبة بن الحارث. قتله ذؤاب بن رُبيعة – بالتصغير، بن عبيد. الأعلام ٤: ٢٠١.

(١) ابو براء ت ١٠ هـ = ٦٣١م : عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، ابو براء، فارس قيس، واحد ابطال العرب في الجاهلية، وهو خال عامر بن الطفيل. سُمّي «مُلاعب الأسنّة» ادرك الإسلام وقدم على رسول الله (ﷺ). الإصابة ٤:١٦ برقم ٤٤١٧ والأعلام ٤:٢٥٥.

(٢) زيد الخيل ت ٩هـ = ٦٣٠م : زيد بن مهلهل بن منهب بن عبد رضا من طيىء، كنيته ابو مكنف، من ابطال الجاهلية، ادرك الإسلام ووفد على النبي (ﷺ) سنة ٩ هـ في وفد طيىء فاسلم وسُرّ به رسول الله (ﷺ) وسمّاه «زيد الخير» مات وهو راجع على ماء يقال له «فردة» الإصابة ٢:٢٤ برقم ٢٩٣٥.

(٣) بسطام بن قيس ت ١٠ق. هـ – ٦١٢ هـ : بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني، ابو الصهباء، سيد شيبان، ومن أشهر فرسان العرب في الجاهلية، يضرب المثل بفروسيته، وكان يقال: اغلى فداءً من بسطام بن قيس، اسره عيينة بن الحارث، فافتدي باربعمئة ناقة وثلاثين فرساً، وادرك الإسلام ولم يسلم، وقتله عاصم بن خليفة الضبيّ يوم السّقيفة بعد البعثة النبوية. قال الجاحظ: بسطام افرس مَنْ في الجاهلية والإسلام. الأعلام ٢:٥١ ومجمع الأمثال ٢:٤٣٠ برقم ٢٧١٣.

(٤) ذكر الزركلي الأحيمر السعدي نقلاً عن السمط ١٩٥ على أنه من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية والخبر الذي ورد عنه في عيون الأخبار ٢:٨٨ يفيد هذا ووصفه أبن عبدربه في فرسان الجاهلية ومؤلفنا ينقل عنه فمن هنا ورد التوهم والأحيمر السعدي توفي نحو سنة ١٧٠هـ = ٧٨٧م وقد أورد الزركلي ترجمته في الأعلام ١/٢٧٧ على هذا النحو:

الأحيمر السعدي، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان لصاً فاتكاً مارداً من أهل بادية الشام، أتى العراق وقطع الطريق، فطلبه أمير البصرة (سليمان بن علي) ففرّ فأهدر دمه وتبرأ منه قومه وطال زمن مطاردته فحنّ إلى وطنه ونظم قصيدته:

لئن طال ليلي بالعراق لربما ... اتى لي ليلٌ بالشآم قصير

ومنها البيت: =

- وعامر بن الطُّفيل (١)
- وسُليك المقانب (٢)
- وعمرو بن معديكرب
- وعمرو بن عبد ودّ. وغيرهم.

وفي الإســـلام :

- علي بن أبي طالب
- وعمه حمزة بن عبد المطلب
- والزبير
- وطلحة (٣)

= عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوّت إنســانٌ فكــدتُ أطيــر

وتاب بعد ذلك عن اللصوصية.

(١) عامر بن الطفيل ٧٠ ق. هـ - ١١هـ = ٥٥٤ - ٦٣٢م : ابن مالك بن جعفر العامري، من بني عامر بن صعصعة، فارس قومه، وأحد فتّاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. كنيته أبو علي، ولد ونشأ بنجد، خاض المعارك الكثيرة، وأدرك الإسلام شيخاً، فوفد على رسول الله (ﷺ) يريد الغدر به فلم يستطع ورجع ولم يسلم فمات في الطريق.

خزانة الأدب ١:٤٧١ - ٤٧٤ رغبة الأمل ٢:١٧٦ و ٨:١٦٥، ٢٤٣ والأعلام ٣:٢٥٢.

(٢) سُليك المقانب ت نحو ١، ق. هـ = ٦٠٥م : السليك بن عمير بن يثربي بن سنان السعديّ التميمي. والسُلكة أمه، فاتك، عدّاء، شاعر أسود، من شياطين الجاهلية، يلقّب بالرئبال. كان أدلّ الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها. له وقائع وأخبار. قتله أسد بن مدرك الخثعمي. عن الأعلام ٣:١١٥.

(٣) طلحــة بن عـبـيـد الله ٢٨ ق. هـ - ٣٦هـ = ٥٩٦ - ٦٥٦م: طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني، أبو محمد، صحابي، شجاع من الأجواد وهو أحد العشرة المبشرين =

- وعبدالله بن خازم السلمي (١)

- وطُليحة الأسدي (٢)

- وعباد بن الحصين (٣)

- وعمير بن الحباب (٤)

= واحد الستة اصحاب الشورى، واحد الثمانية السابقين إلى الإسلام. قال ابن عساكر: كان من دهاة قريش ومن علمائهم. ويقال له: طلحة الجود وطلحة الخير وطلحة الفياض وكل ذلك لقّبه به رسول الله (ﷺ) في مناسبات مختلفة. شهد احداً وثبت مع رسول الله وبايعه على الموت فاصيب باربعة وعشرين جرحاً. شهد الخندق وسائر المشاهد. قتل يوم الجمل وكان بجانب عائشة ودفن في البصرة - الأعلام ٢٢٩:٣.

(١) عبدالله بن خازم ت ٧٢هـ = ٦٩١م : عبدالله بن خازم بن اسماء بن الصلت السُلمي البصري، ابو صالح، امير خراسان، له صحبة، كان من اشجع الناس، اسود اللون كثير الشعر، يتعمم بعمامة خزٍّ سوداء يلبسها في الجمع والاعياد والحرب، ويقول: كسانيها رسول الله (ﷺ). قال البغدادي: هو احد غربان العرب في الإسلام. له فتوحات وغزوات. وليَ إمرة خراسان لبني أمية واستمر عشر سنين. وفي ايامه كانت فتنة ابن الزبير، فكتب إليه ابن خازم بطاعته، واقرّه على خراسان، فبعث إليه عبدالملك بن مروان يدعوه إلى طاعته فابى فلما قتل مصعب بن الزبير بعث إليه عبدالملك براسه فغسله وصلى عليه ثم انتقض عليه اهل خراسان فقتلوه وارسلوا راسه إلى عبدالملك. الإصابة ٦٠:٤ برقم ٤٦٣٢ والعقد ١١٧:١ والأعلام ٨٤:٤.

(٢) طليحة الأسدي ٢١هـ = ٦٤٢م : طليحة بن خويلد الأسدي، من أسد خزيمة، متنبئ شجاع، من الفصحاء، يقال له «طليحة الكذاب» كان من الشجعان، قدم على النبي (ﷺ) في وفد بني أسد سنة ٩ هـ فاسلم واسلموا، ولما رجعوا ارتد طليحة وادعى النبوة وكثر أتباعه. هزمه خالد ابن الوليد، ففر إلى الشام، ثم أسلم بعد ان اسلمت اسد وغطفان كافة ووفد على عمر فبايعه وخرج إلى العراق وحسن بلاؤه في الفتوح واستشهد بنهاوند الأعلام ٢٣٠:٣.

(٣) عباد بن الحصين ت نحو ٨٥ هـ= ٧٠٥م : عباد بن الحصين بن يزيد بن عمرو الحبطي التميمي، أبو جهضم، فارس تميم في عصره، ولي شرطة البصرة أيام ابن الزبير وكان مع مصعب ايام قتل المختار، وشهد فتح كابل مع عبدالله بن عامر، وأدرك فتنة ابن الأشعث وهو شيخ مفلوج، ورحل إلى كابل فقتله العدو هناك. المعارف ١٨٢ ورغبة الأمل ٦٦:٣ والأعلام ٢٥٧:٣.

(٤) عمير بن الحباب ٧٠هـ = ٦٩٠م : عمير بن الحباب بن جعدة السلمي، راس القيسية في =

- ورجالٌ من الأنصار (١)
- والأشتر النخعيّ (٢)
- وقطريّ بن الفُجاءة
- والحريش بن مالك السعديّ (٣)
- وشبيب الحروري. وغيرهم (٤)

قالوا: ما استحيا شجاعٌ قط أن يفرَّ عن عبدالله بن خازم وقطري ابن الفُجاءة صاحب الأزارقة.

= العراق، وأحد الأبطال الدهاة، كان ممن قاتل عبيد الله بن زياد مع إبراهيم بن الأشتر بالخازر ثم أتى إلى قرقيسيا خارجاً على عبدالملك بن مروان، وتغلب على نصيبين، واجتمعت عليه كلمة قيس كلها، ونشبت بينه وبين اليمانية وبني كلب وتغلب وقائع منها يوم ماكسين ويوم الثرثار الأول ويوم الثرثار الثاني... وقتل عمير يوم الحشاك قتلته فيه بنو تغلب.

(١) في العقد ١١٨:١ ورجال الأنصار أشجع الناس....

(٢) الأشتر النخعي ت ٣٧هـ = ٦٥٧م : مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بالأشتر، أمير، من كبار الشجعان، كان رئيس قومه، أدرك الجاهلية، وأول ما عرف عنه أنه حضر خطبة عمر بالجابية وسكن الكوفة وكان له نسل فيها وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها، وكان ممن ألّب على عثمان وحضر حصره بالمدينة وشهد يوم الجمل وأيام صفّين مع علي. وولاه علي على مصر فقصدها فمات في الطريق وهو من الأجواد. الأعلام ٢٥٩:٥.

(٣) الحريش. ذكر في الإصابة ٤٧٩/١ وغيره حريش بن هلال القريعي وقال: ذكر له أبو تمام أبياتاً في الحماسة ثم ذكر بيتين مما نسب إلى الجحاف بن حكيم وقد مرّت الأبيات في موضع سابق ولم نقع على الحريش بن مالك.

(٤) شبيب الحروري ٢٦ - ٧٧هـ = ٦٤٧ - ٦٩٦م : شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني، أبو الضحاك، من الأبطال، وهو أحد كبار الثائرين على بني أمية، كان داهية طماحاً إلى السيادة، خرج على الحجاج، ونادى بنفسه خليفة فبايعه ١٢٠ رجلاً، وهزم جيوش الحجاج، ولم يستطع الحجاج التغلب عليه إلى أن أنجده عبدالملك بجيشٍ من الشام بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبي، وقتل أصحاب شبيب ونجا هو مع قليل منهم. فمر بجسر دجيل في نواحي الأهواز فنفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل. فألقاه في الماء فغرق. الأعلام ١٥٧:٣ وانظر العقد ١١٧:١ - ١١٨.

وقالوا: ذهب حاتمٌ (١) بالسخاء والأحنف بن قيسٍ بالحِلْم، وخُرَيم (٢) بالنعمة، وعُمير بن الحبَاب بالشدّة، وكان شبيب الحروري يصيح في جنباتِ الجيش فلا يُلوي أحدٌ على أحد. وفيه يقول الشاعر:

إنْ صاحَ يوماً حَسِبْتَ الصخرَ مُنْحَدِراً والريحَ عَاصِفةً والموج يلتطمُ

ولمّا قُتلَ أمرَ الحجّاج بشقِّ صدره، فإذا له فؤادٌ مثل فؤاد الجمل، فكانوا إذا ضَربوا به الأرضَ يَنْزُو كما تَنْزُو المثانة المنفوخة (٣) .

وقال عبدُالله بن الزبير: التقيتُ بالأشتر النخعي يوم الجمل فما ضربتُه حتّى ضربني [س ١١٤] خمساً أو ستّاً ثم أخذ برجْلي فألْقَاني في الخندق وقال: والله لولا قرابتُك من رسول الله - ﷺ - ما اجتمع منك عُضْو إلى آخر الدهر. وكان عبدالله بن الزبير من مشاهير الفرسان (٤) .

---

(١) حاتم الطائي ت ٤٦ ق.هـ = ٥٧٨م : حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عديّ، فارس، شاعر، جواد، جاهلي، يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج ماوية بن حجر الغسانية ومات في عوارض (جبل في بلاد طيىء) عن الأعلام ١٥١:٢ وخزانة الأدب ٤٩٤:١ - ١٦٤:٢ والعقد ١١٧:١.

(٢) خُريم بن خليفة بن الحارث بن خزيمة الغطفاني المرّي يضرب به المثل في التنعّم فيقال: انعم من خريم. كان معاصراً للحجاج الثقفي وله معه خبر. انظر الأعلام ٢٠٤:٢ ومجمع الأمثال ٤١١:٣ برقم ٤٢١٥ «انعم من خُريم».

(٣) الخبر مع الشعر في العقد ١١٧:١، ١١٨ وانظر العقد ٦٩:٣

(٤) الخبر في العقد ١١٩:١، ١٢٠.

وذكَر متمَمٌ (١) بن نُويرةَ أخاه مالكاً (٢) وجَلَده فقال: كان يخرج في الليلة الصِنَّبْرِ عليه الشملة الفَلُوتُ بين المزادتين النَّضوحين على الجَمل الثقال معتقل الرمح الخطّيّ قالوا: وأبيك إنّ هذا لَهوَ الجَلَدُ (٣) .

كتب عمر بن الخطّاب رضي الله عنه إلى النعمان بن مُقْرن وهو على الصائفة: أن استعن في حَرْبكَ بعمرو بن مَعْدِ يكرب وطليحة الأسدي ولا تولّهما من الأمر شيئاً، فإنّ كلّ صانع أعلم بصناعته .

وكان خارجة بن حُذَافة (٤) أحدَ فرسان قريش يُعدَلُ بألف فارس. كتب عمرو بن العاصي إلى عمرَ رضي الله عنه يستمدّه بثلاثة الاف

---

(١) متمم بن نويرة ت ٣٠ هـ = ٦٥٠م : متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو نهشل، شاعر فحل، صحابي، من أشراف قومه، اشتهر في الجاهلية والإسلام. وكان قصيراً أعور. أشهر شعره رثاؤه لأخيه مالك. سكن متمم المدينة أيام عمر. عن الأعلام ٥:٢٧٤.

(٢) مالك بن نويرة ت ١٢ هـ = ٦٣٤م : مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو حنظلة، فارس، شاعر من أرداف الملوك في الجاهلية، يقال له: فارس ذي الخمار، وذو الخمار فرسه، وفي أمثالهم «فتىً ولا كمالك» (مجمع الأمثال برقم ٢٧٦٢) وكانت فيه خيلاء، وله لمة كبيرة. أدرك الإسلام وأسلم، وولاه رسول الله (ﷺ) صدقات قومه، ولما صارت الخلافة إلى أبي بكر اضطرب مالك في أموال الصدقات وفرقها، وقيل: ارتد، فتوجه إليه خالد بن الوليد وقبض عليه وأمر ضرار بن الأزور فقتله. عن الأعلام ٥:٢٦٧.

(٣) الخبر في العقد ١:١٢٠ والصنبر: البرد الشديد. والمزادتان النضوحتان: قربتا الماء، والجمل الثفال: البطيء. والرمح الخطيّ: منسوب إلى الخط، وهي بلدة بالبحرين تنسب إليها الرماح الجيدة. وانظر عيون الأخبار ٤:٢١ ففيه حديث لمتمم يصف نفسه لعمر بن الخطاب.

(٤) خارجة بن حذافة ت ٤٠هـ = ٦٦٠م : خارجة بن حذافة بن غانم من بني كعب بن لؤي، صحابي، من الشجعان، كان يعد بألف فارس. أمد به عمر بن الخطاب عمرو بن العاص فشهد معه فتح مصر وولي شرطته. واتفق أن عمر اشتكى بطنه ليلة الائتمار بقتله وقتل علي ومعاوية فاستخلف خارجة على الصلاة بالناس، فقتله عمرو بن بكر الذي انتدب لقتل عمرو بن العاص. وقال قاتله لما علم خطأه: أردت عمراً وأراد الله خارجة. الأعلام ٢/ ٢٩٣.

فارس فأمدّه بخارجةَ بن حذافة والزبير بن العوّام والمقداد بن الأسود (١) .

وقُتلَ خارجة - رحمه الله - بمصر، قتله الخارجيّ الذي أراد قتل عمرو بن العاصي وهو يظنّه عمراً. فقال: اردتُ عمراً وأراد الله خارجةَ (٢) .

وكان المِقْداد بن عمرو البهرانيّ (٣) تَبَنّاه في الجاهلية الاسودُ بن عبد يغوث الزهري فكان يقال له: المقداد بن الأسود، وكانَ من الفرسان الأبطال والمهاجرين الأولين، وهو الذي قال لرسول الله - ﷺ - والله لا نقول لك كما قال أصحابُ موسى لموسى (٤) : اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنّا ها هنا [س١١٥] قاعدون (٥) . ولكننا نُقَاتلُ من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شِمالك (٦) .

---

(١) المقداد بن الاسود ٣٧ ق. هـ - ٢٢هـ = ٥٨٧ - ٦٥٣م : المقداد بن عمرو ويعرف بابن الأسود الكندي البهراني الحضرمي، أبو معبد أو أبو عمرو - صحابي، من الأبطال - هو أحد السبعة الذين كانوا أول من اظهر الإسلام، وهو اول من قاتل على فرس في سبيل الله. وكان في الجاهلية من سكان حضرموت واسم أبيه عمرو بن ثعلبة البهراني الكندي. ووقع بين المقداد وابن شمر بن حجر الكندي خصام فضرب المقداد رجله بالسيف وهرب إلى مكة فتبناه الاسود بن عبديغوث الزهري. فصار يقال له: المقداد بن الاسود إلى ان نزلت الآية. «ادعوهم لآبائهم» شهد بدراً وغيرها وسكن المدينة وتوفي على مقربة منها الاعلام ٧: ٢٨٢.

(٢) الخبر في العقد ٤:٣٦٠.

(٣) المقداد بن عمرو البهراني هو المقداد بن الأسود. انظر خبره في السيرة : ٤٤٩.

(٤) الأسود بن عبد يغوث. انظر خبره في السيرة ١:٤٤٩.

(٥) سورة المائدة ٥/ ٢٤.

(٦) انظر الخبر في السيرة النبوية ١:٤٤٩ (اخبار وقعة بدر).

والزُّبير بن العوّام هو أوّلُ رجلٍ سلَّ سيفَه في الله. قال رسول الله - ﷺ - لكلِّ نبيٍّ حواريٌّ وحَواريّي الزُّبيْرُ (١) . والحواريُّ الناصر.

ورويَ أنّ أميّة بن خلف (٢) سأل عبد الرحمن بنَ عَوْف يوم بدر وأميةُ أسيرٌ عِنْدَه قبل أن تقتلَه الأنصار فقال: مَن الرجلُ منكم المُعْلَمُ بريش نَعامةٍ في صدره؟

قال: قلتُ: ذلك حمزةُ بن عبد المطلب أسدُ الله وأسدُ رسوله وعمّ نبيّه. قال: ذلك واللهِ الذي فَعَل بنا الأفاعيل (٣) .

وكان أبو بكر – رضي الله عنه – إذا ذُكِرَ يوم أُحدٍ يقول: ذاك يومٌ كلّه أو جلُّه لطلحة. وقُتل طلحةُ يوم الجمل فتمثّل فيه عليٌّ رضي الله عنه بقول [م ٨٣] الشاعر:

---

(١) أخبار الزبير مبثوثة في السيرة، أما الحديث فقد ورد في فيض القدير ٤:٢٠٩٧ برقم ٢٤٣١ على هذا النحو: إن لكل نبي حوارياً وإن حواري الزبير. قال محققه: صححه الألباني في صحيح الجامع ١:٢١٥٤ وأخرجه البخاري في صحيحه ٦:٢٨٤٦ والترمذي في سننه ٥:٣٧٤٥ عن جابر وفي ٥:٣٧٤٤ عن علي وأخرجه الحاكم في المستدرك عن الزبير وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي والحواري: الوزير والناصر والخليل وخاصة الأصحاب. ومناسبة الحديث أنّ رسول الله (ﷺ) قال يوم الأحزاب: مَنْ يأتيني بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا. وأخرجه مسلم في الفضائل عن جابر ولفظه: ندب رسول الله (ﷺ) الناس يوم الخندق فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال رسول الله (ﷺ): لكل نبي حواري وحواريَّ الزبير. وانظر إعراب الحديث للعكبري: ٢٣٠ برقم ٢٢٦.

(٢) أمية بن خلف ٢ هـ = ٦٢٤م : أمية بن خلف بن وهب من بني لؤي أحد جبابرة قريش في الجاهلية ومن ساداتهم، أدرك الإسلام ولم يسلم، وهو الذي عذب بلالاً الحبشي في بداءة ظهور الإسلام. أسره عبدالرحمن بن عوف يوم بدر، فرآه بلال فصاح بالناس يحرضهم على قتله فقتلوه. قتله رجل من الأنصار من بني مازن. السيرة النبوية ١: ٥٣٦ والأعلام ٢:٢٢.

(٣) الخبر في السيرة النبوية ١:٤٦٣.

فتىً كانَ يُعطي السيفَ في الحرب حقّه

إذا ما هو استغنى وتشقّى به الجُزْرُ

وروي عن رسول الله - ﷺ - أنّه قال: منّا خيرُ فارسٍ في العرب. قالوا: مَنْ هو يا رسول الله قال: عُكاشة بن مِحْصَن فقال ضِرار بن الأزور (١): ذلكَ منّا يا رسول الله. قال: ليس منكم ولكنه منّا، شهد مع رسول الله - ﷺ - سائر المشاهد واستشهد في يوم بُزاخة (٢) قتله طُليحة (٣).

وكانَ يُقال للأخرم الأسدي (٤): فارسُ رسول الله، كما كان يقال لأبي قَتادة الأنصاري (٥).

وكان خالد بن الوليد من فرسان العرب وشجعانهم، رُويَ أنّ رسول

---

(١) ضرار بن الأزور ت ١١هـ = ٦٣٣م: ضرار بن مالك (الأزور) بن اوس بن خزيمة الاسدي، احد الابطال في الجاهلية والإسلام، كان شاعراً مطبوعاً له صحبة، وقاتل يوم اليمامة اشد قتال حتى قطعت ساقاه، فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل والخيل تطؤه ومات بعد ايام في اليمامة. الإصابة ٢٦٩:٢ برقم ٤٢٦٧ والأعلام ٢١٥:٣.

(٢) يوم بزاخة: بزاخة ماء لبني أسد بن خزيمة التقى عليه خالد بن الوليد وطليحة بن خويلد الأسدي المرتد وهزمهم خالد. ثم عاد طليحة إلى الإسلام. البلاذري. البلدان: ١١٢ - ١١٣.

(٣) انظر السيرة النبوية ٤٦٨:١.

(٤) الأخرم الأسدي ت ٦هـ = ٦٢٧م: واسمه محرز بن نضلة بن عبدالله بن مرة، من بني غنم من أسد بن خزيمة، صحابي، من الشجعان، يعرف بالأخرم الأسدي، أبو نضلة، شهد بدراً، وقتله عبدالرحمن بن عيينة الفزاري في غزوة ذي قرد. انظر خبره في غزوة ذي قرد في السيرة النبوية ٧٥٤:٢ والإصابة ١: ٢٢ برقم ٥٦ و ٤٨:٦ برقم ٧٧٤٠ والاعلام ٢٨٤:٥.

(٥) ابو قتادة ت ٥٤هـ: أبو قتادة الأنصاري السلمي فارس رسول الله (ﷺ) واسمه الحارث بن ربعي، وقيل: النعمان وقيل: عمرو .. والمشهور: الحارث بن ربعي بن بلدمة قال النبي (ﷺ): خير فرساننا أبو قتادة. انظر السيرة النبوية ٧٥٤:٢ وتهذيب التهذيب ٤١٠:٦ برقم ١٠١٨٦.

الله - ﷺ - ذكره فقال: نِعْم عبدالله، ونِعْمَ أخو العشيرة، سيف [س١١٦] من سيوف الله (١)، سلّه اللهُ على الكفّار والمنافقين. وكان رجلاً عظيماً جلْداً مَهيباً لا ينظرُ إليه رجلٌ إلا ملأ صدرَه، وإليه كانت القُبّة والأعنّةُ في الجاهلية.

فأمّا القُبّةُ فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به جيوشهم. وأمّا الأعنّةُ فإنّه كان يكون على خيل قريش في الحروب. وكان على خيل رسول الله - ﷺ - يوم الحُدَيبية (٢) ولم يزلْ من حينِ أسلمَ يوليه رسول الله - ﷺ - أعنّة الخيل فيكون في مقدّمتها في محاربة العرب.

وكان عمّار بن ياسر العنسيّ من الفرسان الأبطال، شهد جميع المشاهد مع رسول الله - ﷺ - وقُتل بصفّين وهو يقول: أيّها الناس، هل من رائحٍ إلى الجنّة تحت العوالي. وكان رسول الله - ﷺ - قد قال له: تقتلُك الفئةُ الباغية (٣).

---

(١) في عارضة الأحوذي جزء من هذا الحديث ٣:٢٣٤.

(٢) لم يكن خالد قد أسلم يوم الحديبية، بل إنه كان في خيل قريش كما في السيرة النبوية ٢:٧٧٧ فقد قال بشر بن سفيان الكعبي: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذي طوى، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم. «العوذ المطافيل: الإبل ذات الألبان».

(٣) تقتلك الفئة الباغية: جاء في السيرة النبوية ١:٣٤٦ (مقام رسول الله (ﷺ) بالمدينة ومنازله بها وبناء مسجده) قال ابن إسحاق: فدخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللبن فقال: يا رسول الله، قتلوني يحملون عليّ ما لا يحملون. قالت أم سلمة زوج النبي (ﷺ): فرأيت رسول الله (ﷺ) ينفض وفرته بيده وكان رجلاً جعداً، وهو يقول: ويح ابن سمية، ليسوا بالذين يقتلونك، إنما تقتلك الفئة الباغية. وفي الجامع الصغير: عمار تقتله الفئة الباغية ٢:٦٦ عن أبي نعيم في الحلية عن أبي قتادة. وانظر العقد ٤:٣٤١.

وكذلك قُتل عبدالله بن بَديل بن ورقاء الخُزَاعي (١) بصفّين وكان من مشاهير الفرسان، فتمثّل فيه معاويةُ بقول حاتم الطائي:

أخو الحرب إنْ عضّتْ به الحربُ عضّها
وإنْ شمّرت يوماً بـه الحـربُ شمّرا
كليثٍ هِزَبْرٍ كـان يحمـي ذِماره
رَمَتْه المنايـا قَصْدَها فتفطّرا (٢)

ولمّا غطّاه عبدالله بن عامر (٣) بعمامته وواراه قال له معاويةُ: لقد واريتَ كبشاً من كباش القوم وسيّد خُزاعةَ غيرَ مُدافَع.

وكان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إذا رأى همدان وغناها في الحرب يوم صفّين يقول [س ١١٧] :

ناديتُ همدانَ والأبواب مُغْلقةٌ   ومثل همدان سنى فتحة الباب
كالهِنْدوانيّ لم تُفْلَلْ مضاربُه   وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وجّابِ (٤)

(١) عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ٣٧هـ = ٦٥٧م : صحابي، كان من الدهاة الفصحاء، انتهت إليه السيادة في خزاعة. أسلم يوم الفتح، شهد حنيناً والطائف وتبوك. وقاتل مع عليّ بصفّين، فكان قائد الرجالة، وكاد يصل إلى معاوية فتكاثر عليه أصحاب معاوية فقتل. الإصابة ٤:٢٩ برقم ٤٥٥٠ والأعلام ٤:٧٣.

(٢) البيت الأول في ديوان حاتم الطائي ص ٢٥٦ ق ٦٨ بـ ٢٠ والبيت الثاني من فوائت الديوان.

(٣) عبدالله بن عامر ٤ - ٥٩ هـ = ٦٢٥-٦٧٩م : عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي، أبو عبد الرحمن، أمير فاتح،ولد بمكة، وولّي البصرة في أيام عثمان سنة ٢٩ هـ فوجه جيشاً إلى سجستان فافتتحها صلحاً وافتتح بلاداً كثيرة حتى كابل. شهد وقعة الجمل مع عائشة ولم يحضر صفّين. ولأه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجتماع الناس على خلافته ثم صرفه عنها. فأقام بالمدينة ومات بمكة بعرفات. كان شجاعاً سخياً وصولاً لقومه رحيماً محباً للعمران. قال الإمام علي: ابن عامر سيد فتيان قريش. الإصابة ٥:٦١ برقم ٦١٧٥ والأعلام ٤:٩٤.

(٤) الخبر في العقد الفريد: ٣:٢٩٠ ونسب إليه (إلى علي) صاحب العقد في الموضع نفسه انه قال:
=

وسـأل عـمـر رضـيَ الله عنه عمرَو بن مَعْدِيكرب فقـال: يا أبا ثور أيُّ العرب أبغضُ إليك أنْ تلقاه (١) ؟

قال: أمّا من قومي:

فوَداعة من همدان

وعُطَيفٌ من مُراد،

وبلحارث من مَذْحِج

وأمّا من معدّ:

فعديٌ من فَزَارة

ومُرّة من ذبيان

وكلاب من عامر

ومنان من بكر بن وائل

وشَنّ من عبد القيس

والأرقم من تغلب

ثمّ لو جُلْتُ على مياه معدّ ما خفتُ هيجَ أحدٍ ما لم يَلْقني حُرّاها أو عبداها.

قال: أمّا حُرّاها فعامرُ بن الطّفيل وعُتيبة بنُ الحارث [م ٨٤] بن شهاب وأمّا عَبْداها فعنترة الفوارس وسُليك المقانب .

= لهمدانَ أخلاقٌ ودينٌ يزينُهم وبأسٌ إذا لاقَوا وحسن كلام
فلو كنتُ بواباً على باب جنّةٍ لقلت لهمدانَ ادخلوا بسلام

(١) أسماء القبائل التي يذكرها ابن عبد ربه في العقد ٣: ٣١٢ وما بعدها في «كتاب اليتيمة في النسب وفضائل العرب».

وسُئل المهلّب: مَنْ أشجعُ الناس وأفرسهم؟

فقال: ثلاثةٌ:

ابن الكلبية (١)

واحمر قريش (٢)

وراكب البغلة (٣)

فابن الكلبية مصعب بن الزبير أُفْردَ في سبعةٍ وأعْطيَ الأمان وولاية العراقين فأبى ومات كريماً.

وأحمر قريشٍ عمر بن عبيدالله بن مَعْمر ما لقيَ خيلاً قطّ إلا كان في سرعانها.

وراكب البغلة عبّاد بن الحُصين ما كنّا في كرْبةٍ قطّ إلاّ فرّجها.

---

(١) ابن الكلبية = مصعب ٢٦- ٧١ هـ = ٦٤٧ - ٦٩٠م : مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أبو عبدالله، احد الولاة الأبطال في صدر الإسلام، كان عضد اخيه عبدالله في توطيد ملكه بالحجاز، ثم ارسله أخوه إلى البصرة سنة ٦٧ هـ نقصدها وضبط أمورها وقتل المختار الثقفيّ، ثم عزله عبدالله عنها مدة سنة وأعاده في اواخر سنة ٦٨ هـ واضاف إليه الكوفة وأحسن سياستها. وجه إليه عبد الملك بجيوشه فهزمها مصعب، ثم خرج له بنفسه وعرض عليه عرضاً سخياً على أن يتراجع عن القتال فأبى مصعب، وقتل في معركة دير الجاثليق، قتله زائدة بن قيس السعدي وبمقتله نقلت بيعة اهل العراق إلى بني أمية بالشام. الأعلام ٧: ٢٤٧.

(٢) احمر قريش عمر بن عبيدالله ٢٢- ٨٢ هـ = ٦٤٢ - ٧٠١م : عمر بن عبيدالله بن معمر ابن عثمان التيمي القرشي، سيد بني تيم في عصره، من كبار القادة الشجعان الأجواد. كان من رجال مصعب بن الزبير أيام ولايته بالعراق. وولي له بلاد فارس وحرب الأزارقة سنة ٦٨ هـ وكان قبل ذلك على البصرة، أرسله عبد الملك بن مروان لقتال ابي فديك الخارجي سنة ٧٣ هـ فقتل من اصحابه نحو ستة الاف واسر ثمانمائة وعاد بعد ذلك إلى عبد الملك فكان من جلسائه. عن الأعلام ٥: ٥٤.

(٣) عباد بن الحصين: سبقت ترجمته.

فقال له **الفرزدق** (١) وكان حاضراً: ويحك فأين أنت عن **عبدالله بن خازم السلمي وعبدالله بن الزبير**؟

فقال: ويحك إنّما ذكرنا الإنسَ وأمّا الجنّ فلم نذكرهم.

وعبدالله بن الزبير من الفرسان الشجعان، كان فيمن انْتُدِب لغزو إفريقية [س ١١٨] مع **عبدالله بن أبي سَرْح** وهو الذي قتل **جرجير** ملك إفريقية. وكان جرجير في حين القتال قد أبرز ابنته لجيوشه وجعلها على دَيْدَبان خشب في عدّةٍ من خدمها في الحلْي والحُلَل سافرةً عن وجهها، وحلف لهم بالمسيح والنصرانية: لا قتل عبدَالله بنَ أبي سَرْحٍ رجلٌ منكم إلاّ زوّجتُه إيّاها وأنزلتُه في المنزلة التي لا يطمع فيها أحد غيره. فحرّضَ بذلك الرومَ تحريضاً شديداً. وإنّ عبدالله بن أبي سرْح لمّا انتهى إليه ما فعل جرجير نادى في أهل عسكره:

والله لا قتل أحدٌ منكم جرجيراً إلا نَفَلْتُه ابنتَه وما معها. ثمّ زحفَ بمن معه من المسلمين فاستحرّ القتال واضطرمت الحرب، وكان المسلمون عشرين ألفاً، وجرجير في مئة وعشرين ألفاً، فضاق بالمسلمين أمرُهم واختلفوا على ابن أبي سَرْح في الرأي، فدخلَ فُسْطَاطه يخلو بنفسه ويفكّر في أمره. قال عبدالله بن الزبير: فرأيت عورةً من جرجير والناسُ على مَصافّهم وهو خلف أصحابه منقطعاً منهم على برْذَونٍ أشهب، ومعه جاريتان له تظلّلانه من الشمس بريش الطواويس، فأتيت فسطاط ابن أبي

---

(١) الفرزدق: تـ ١١٣ هـ = ٧٣٢م : همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق، شاعر من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، كان شريفاً في قومه، عزيز الجانب، وكان أبوه من الأجواد الأشراف وكذلك جدّه. عن الأعلام ٨:٩٢، وللدكتور شاكر الفحام كتاب كبير عن الفرزدق صحح فيه الكثير مما قيل في أخباره. طبع في دار الفكر بدمشق.

سَرْح فقال: ما الخبرُ؟ فقصصتُ عليه القصة وقلت له: اخرُج واندب الناسَ لأني أخشى الفَوْت.

فخرج وقال: أيّها الناس انتدبوا مع ابن الزّبير إلى عدوكم.

قال: فتسرّع إليَّ جماعةٌ اخترتُ منهم ثلاثين فارساً ثم قلت لهم: إني حاملٌ فاصرِفوا عن ظهري مَنْ أرادني فإنّي سأكفيكم ما أمامي [س١١٩] إنْ شاء الله تعالى.

قال: فحملتُ في الوجه الذي هو فيه وذبّوا عني واتّبعوني حتّى خرقتُ صفوفهم إلى أرضٍ خالية فضاء بَيْني وبينه، فوالله ما حسبني إلا رسولاً حتّى رأى ما رأى من السلاح فثنى بِرْذونه هارباً، فأدركتُه فطعنتُه فسقط، فرميتُ بنفسي عليه فقطعتُ راسه ورفعتُه على رُمْحي، وجالَ اصحابُه جولةً، وحمل المسلمونَ في ناحيتي وكبّروا وقتلوهم كيف شاؤوا.

ولمّا تنازعَ المسلمون في قتله وابنتُه تنظر فيهم قالت: ما للعرب يتنازعون؟ فقيل لها: في قتل أبيك، فبكتْ وقالت: قد رأيت الذي قتلَ أبي. فقال عبدُالله بنُ أبي سَرْح لعبدالله بن الزبير: لمَ كتَمْتنا يا أبا بكر قتلكَ إياه؟ فقال: قد علمَ [م ٨٥] الذي قتلْتُه له. فَنَفَّلَهُ ابنُ أبي سرحٍ ابنة الملك جرجير.

فيقال إنّه اتّخذها أمَّ ولدٍ، وكان **ابن الزبير** في ذلك الوقت ابنَ بضعٍ وعشرين سنةً. وقُتل - رحمه الله - في الكعبة في أيام **عبد الملك بن مروان**، حصرهُ **الحجّاجُ** سبعة أشهر وقتلَه بعد قتالٍ شديد في خبر طويل لا يَسَعُ شرحَه هنا.

ورجال الانصار اشجعُ الناسِ وأفْرَسُهم، قال **عبدالله بن عباس**:

ما سُلّت السيوفُ، ولا زحفت الزّحوف، ولا أقيمت الصفوف حتى أسلمَ ابناء قيلةَ يعني الأوسَ والخزرجَ وهم الأنصار (١) .

قال رسول الله – ﷺ – للأنصار: إنكم لتقلّونَ عند الطّمع وتكثرون عند الفزع.

وقال معاوية يوماً: يا معشرَ الأنصار، ما تطلبون عندي؟ فوالله لقد كنتم قليلاً معي كثيراً عليّ. ولقد فلَلْتُم حدّي يوم صفّين حتّى رأيتُ المنايا تتلظّى من اسنّتكم.

فقال له قيس بن سعد (٢) : أمّا فَلُّنا حدكَ يوم صفّين فأمرٌ لا نعتذر منه.

وكانت بيعة الأنصار لرسول الله – ﷺ – على الموت.

قال غيلانُ بن جرير (٣) : قلتُ لأنس بن مالك: يا أبا حمزة أرأيت اسمَ الأنصار؟ اسمٌ سمّاكم الله به أم أنتم كنتم تسمّون به أنفسكم؟

---

(١) الخبر في العقد ١: ١١٨.

(٢) قيس بن سعد تـ ٦٠ هـ = ٦٨٠م : قيس بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني، والٍ صحابي، من دهاة العرب ذوي الراي والمكيدة في الحرب والنجدة وأحد الأجواد المشهورين، كان شريف قومه غير مدافع، ومن بيت سيادتهم، وكان يحمل راية الأنصار مع النبيّ ويلي اموره. وفي البخاريّ انه كان بمنزلة الشرطيّ من الامير. صحب علياً في خلافته فاستعمله على مصر سنة ٣٦ – ٣٧ هـ وعزل بمحمد بن ابي بكر وعاد إلى عليّ فكان على مقدمته يوم صفين ثم كان مع الحسن بن علي حتّى صالح معاوية، فرجع إلى المدينة وتوفي بها في آخر خلافة معاوية، وقيل: هرب من معاوية سنة ٥٨ هـ وسكن تفليس فمات فيها ولم يكن في وجهه شعر وكان من اطول الناس واجملهم. الاعلام ٥: ٢٠٦.

(٣) غيلان بن جرير ابو زيد المعولي الازدي البصري العتكي الطيبي توفي سنة ١٢٩هـ = تهذيب التهذيب ٨: ٢٥٣ عن موسوعة رجال الكتب التسعة ٣: ٢٣١ برقم ٧٢١٥.

قال: بل اسمٌ سمّانا الله به (١) . قال **حسّان بن ثابت الأنصاري** (٢) :

سمّــاهمُ اللهُ أنصــاراً بنصــرِهمُ ... دينَ الهُدَى وعَوَانُ الحــربِ تستَعِرُ
وسَارعوا في سبيلِ اللهِ واعترَمُوا ... للنّائباتِ وماخاموا وما ضجروا
والنّاسُ إلْبٌ علينا فـيكَ ليس لنا ... إلاّ السـيـوف وأطْرَافُ القَنا وزَرُ
نُجالدُ الناسَ لا نبقي على أحدٍ ... ولا نضـيّعُ مـا تُوحي به السُّوَرُ
ومـا يهــزُّ جناةُ الحــرب نادِيَنَا ... ونــحــنُ حينَ تلـظّى نارُهـا سُعُرُ
كمَا رَدَدْنَا ببـدْرٍ دون مـا طلبـوا ... أهل النفـاقِ وفـينا ينزلُ الظَّفَرُ
ونحنُ جُنْدُك يوم النعْبِ من أُحـدٍ ... إذ حـزّبتْ بطراً أحـزابَهـا مُضَرُ
فـمـا ونينَا ومـا خِمْنا ومـا خَبـروا ... منّا عِثـاراً وكلُّ الناس قـد عَثَروا (٣)

وقال **كعبُ بن زهير** (٤) :

---

(١) في جمع الفوائد ٣: ٦٥١: غيلان بن جرير: قلت لأنس: أرأيتم اسم الأنصار؟ أكنتم تُسمَّون به أم سمّاكم الله تعالى؟ قال: بل سمّانا الله. وكنا ندخل على أنس يحدثنا بمناقب الأنصار ومشاهدهم.

(٢) حسان بن ثابت تـ ٥٤ هـ = ٦٧٤م : حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي شاعر النبي (ﷺ) وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، من سكان المدينة، مدح الغساسنة وملوك الحيرة قبل الإسلام. كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبيّ في النبوة وشاعر اليمانين في الإسلام، وكان شديد الهجاء. لم يشهد مع النبيّ (ﷺ) مشهداً لعلةٍ أصابته. الأعلام ٢: ١٧٥ - الإصابة ٢: ٨ برقم ١٦٩٩ وللدكتور إحسان النص كتاب: حسان بن ثابت الأنصاري. ط دمشق.

(٣) القصيدة في ديوانه برقم ١٢٩ والأبيات مختارة منها وقدّم لها محقق الديوان بقوله: وقال حسان لبني سليم يوم قدّمهم رسول الله يوم فتح مكة.

(٤) كعب بن زهير ٢٦ هـ = ٦٤٥م : كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرّب، شاعر عالي الطبقة من أهل نجد له ديوان شعر طبع مراراً، كان ممن اشتهر فـي الجاهليـة، =

مَنْ سرّه كرم الحياة فلا يزل   في مقْنبٍ من صالحي الأنصارِ[س ١٢١]
ورثوا المكارمَ كابراً عن كابرٍ   إنّ الخيار همُ بنو الأخيارِ
المكرهين السمهريَّ بأذْرعٍ   كسوالف الهنديّ غير قصار
والناظرين بأعينٍ مُحْمَرّةٍ   كالجَمْر غير كليلة الأبصار
والبائعين نفوسَهم لنبيِّهم   للموتِ يوم تعانقٍ وكرارِ [م٨٦]
يتطهّرون يرونَه نسْكاً لهم   بدماءِ مَنْ علقوا من الكفّار
دَرِبُوا كما دَرِبتْ ببطنِ خفيّةٍ   غُلْبُ الرقاب من الأسود ضوار
وإذا حللت ليمنعوك إليهم   أصبحتَ عند معاقل الأغيار
لو يعلمُ الأقوام علمي كلَّه   فيهم لصدَّقني الذين أماري (١)

ولو تعرّضنا لنأتيَ بما قيلَ في تقريظ الأنصار ومدحهم وافتخاراتهم والتعريف بفرسانهم وأبطالهم واحداً واحداً لخَرمْنا نظام التأليف وخرجنا عن مقصود التصنيف لاتّساع مجال القول في ذلك.

= ولما ظهر الإسلام هجا النبيَّ (ﷺ) فهدر دمه، فجاءه كعب مستأمناً وقد أسلم، وأنشده لاميته (بانت سعاد) فعفا عنه النبي (ﷺ) وخلع عليه بردته. الإصابة ٥: ٣٠٢ برقم ٧٤٠٥ والأعلام ٥: ٢٢٦.

(١) أبيات مختارة من أبيات أوردها ابن هشام في السيرة النبوية ٢: ٩٤٤ وانظر القصيدة كاملةً في ديوان كعب - ط بيروت ١٩٨٧ ص ١٩ - ٢٣.

الباب العشرون

في الأمور المحْصنة من التفرير الداعية إلى النصّر في الحرب

في الأمور المُضَنة من التغرير الداعية إلى النصر في الحرب

اعلمْ أنَّ عِمادَ كلِّ صناعة، وثبات كلِّ جماعة، القيِّمُ العالم بالسياسة، المتحمِّل للرياسة. فيجبُ أن يكون صاحب الجيش مطبوعاً في صناعته، شجاعاً في إقدامه، جباناً في تحرُّزِه، صادقاً في نيّته، مُسْتيقظاً في حركته، ذكياً في بديهته، رؤوفاً في رعيته، فإذا اجتمع [س ١٢٢] لمقدّم الجيش ما ذكرناه تولّد في فكره منْ أنواع الحيل ووجوه المكايد في حالٍ يتصرّف فيها من محاربة عدوّه ما يكون مؤدّياً للظّفر.

فأول هذه الصفات السياسية: لينٌ في غير ضعف، وشدة في غير عنف، وحسن السياسة يولّد الرياسة، قدّم الخوفَ على الرجاء، احْذرِ العجلَ تأمنُ الزلل، تقحّمُ الحرب يشجّع القلب، مَنْ تهيّب عدوّه جهّز إلى نفسه جيشاً، الهزيمةُ تحلّ العزيمة. الحِيَلُ ابلغُ من العمل. الراي السديد أجرا من الأيّد الشديد. أظهر خلافَ عَزْمك موريّاً عنه. احسم الأراجيف من جواسيس عدوك. شدّة الصبر فاتحة النصر. توقّ مُشَاورةَ الجاهل. لا تشاورْ مَنْ تميل به رغبتُه أو رهبته.

خلّ العدوّ حتّي يزحفَ إليك. ارتصد الفرصَ حتّي يقالَ أبطأ. التأخّر بعد التمكّن هزيمة. التسرّع في غيرِ قوّة يورث النكث. يسيرُ النكث يكسر معظم العسكر. دارِ القلوبَ بما يقوّيها. قدّر زحفَك وزحْفَ العدوّ إليك. قدّمْ

أهل الظِنّة أمامك. احذر العدوّ الباطن. احذر الإخلال بالمراكز. لا تجرّنك ورطةٌ سلمت منها على معاودة مثلها. احذر كيدَ الجواسيس. أطع الكبير يُطعْكَ الصغير. احذر كيدَ المستأمنة إليك. اعمل على أنّ كلَّ مَنْ في عسكرك عليك. خالف الإعجاب تجد الصواب. الطفْ في الأمر قبل إرهاق المكر.

قدّم أهل الشجاعة أمامك. لا تنسَ وضع الكمين عند اللقاء. [س ١٢٣] احذر كمين عدوّك، في هذه الحال لا ترضَ [م ٨٧] أنْ تأخذَ من عدوّك مثل الذي تعطيه.

قوة النفسِ في الحرب أبلغُ من قوّة البدن. كُن في عسكرك مجهولاً عند لقاء العدوّ. لا تستَضْعف العدوّ فتفتر. لا تستهزئ بأوليائك فتهون على أعدائك. إنْ بخلتَ بالمال على إخوانك جُدْتَ به على أعدائك.

لا تدع المقدّمةَ المنكوبة تدخل العسكر إلاّ في سِتْر. لا تحاربْ بمَنْ لا يخافك. لا تحارب بِمَنْ لا يرجوك. لا تُحارِبْ بمَنْ لا يحتاج إليك. لا تبلغ في آثار المنهزمين. احذر التعريض للنهّب إلا بعد الإبلاغ في النكاية. تفقّد تعبئتك عند المواقعة. لا تُهملْ التعبئة عند المُناوشة فإنّ فساد التعبئة من أعظم الخَلل. بذلُ الأمان عند دفعك على العدوّ فرصة. احذر اختلاف أصحابك. استملْ رؤساء عدوّك. لا تجعل النهر وراءك عند الزحف. إذا حاربتَ عدوّك فعدّه كفؤاً. بالغ في الهزيمة ثم تعرّضْ للغنيمة. مَنْ خَفَر ضمانه بطل أمانُه. أخّرِ الحرب ما استطعت فإنّ النّفقةَ فيها من النفوس فإن لم يكن منها بدٌّ فاجعلها آخر النهار. الأناةُ محمودةٌ إلا عند إمكان الفرصة. ربّ مكيدةٍ أبلغُ من نجدةٍ. رُبّ كلمةٍ هزمت عسكراً. النصر مع

التدبير. التدبير قَبْل التدمير. التقديرُ قبل التغرير. الحذر أنصحُ ذوّادك وأمتع أجنادك مع معونة الله تعالى لك. التفكّرُ في العاقبة عند التلبّس بالحرب أمارة الجزع. الجهلُ في الحرب أحزمُ من العقل. الفكرةُ تصلح الراي قبل التحام الحرب وتفسده بعده.



المراجع

مراجع التحقيق
منسوقة على الحروف

- **الإحاطة في أخبار غرناطة** – لسان الدين بن الخطيب . تح محمد عبدالله عنان/ الخانجي – القاهرة ١٩٧٧م.

- **الأحكام السلطانية** – الماوردي – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٢م.

- **الأذكار** – النووي. البابي الحلبي – القاهرة ١٩٥٥م.

- **أسد الغابة** – ابن الأثير – ط – كتاب الشعب – القاهرة.

- **الإصابة** – ابن حجر – تح البجاوي – مط – نهضة مصر ١٩٧١ – ١٩٧٢م.

- **إعراب الحديث النبوي** – العكبري – تح عبدالإله نبهان – دار الفكر – دمشق ١٩٨٩م.

- **الأعلام** – خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٠م.

- **الأغاني** – أبو الفرج الأصفهاني – دار الكتب المصرية والهيئة العامة، القاهرة.

- **الأمالي** – أبو علي القالي – دار الجيل – بيروت ١٩٨٧م.

- **أمالي المرزوقي** – المرزوقي أحمد بن محمد – تح د. يحيى وهيب الجبوري – دار الغرب الإسلامي . بيروت ١٩٩٥م.

- **البلدان وفتوحها واحكامها** - البلاذري - تح د .سهيل زكار - دار الفكر - بيروت ١٩٩٢م.

- **تاريخ الرسل والملوك** - ابن جرير الطبري - تح محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر.

- **تذكرة الموضوعات** - محمد طاهر بن علي الهندي - إدارة الطباعة المنيرية بمصر - ١٣٤٣هـ.

- **تفسير القرطبي** «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي محمد بن أحمد - دار الكتب المصرية ١٩٦٦م.

- **كتاب الجهاد** - ابن أبي عاصم - تح مساعد بن سليمان الراشد الحميد - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ١٩٨٩م.

- **جامع الأحاديث** - السيوطي - جمع وترتيب عباس صقر وأحمد عبد الجواد - دار الفكر - بيروت ١٩٩٤م.

- **جواهر البحار في الأحاديث الصحيحة القصار** - جمع وشرح عبدالله بن عبدالقادر التاليدي - دار البشائر الإسلامية - بيروت ١٩٩٨م.

-**حلية الفرسان وشعار الشجعان** - ابن هذيل - مركز زايد للتراث والتاريخ - العين ٢٠٠٢م

- **الخيل** - أبو عبيدة - تح محمد عبدالقادر أحمد. مط النهضة العربية - القاهرة ١٩٨٦

- **ديوان امرىء القيس وملحقاته** - بشرح أبي سعيد السكري. تح د. أنور عليان أبو سويلم و د. محمد علي الشوابكة. مركز زايد للتراث والتاريخ. العين ٢٠٠٠م.

- **ديوان أبي تمام** - تقديم وشرح د. محيي الدين صبحي - دار صادر بيروت ١٩٩٧م.

- **ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي وأخباره** - دراسة وتحقيق د. عادل سليمان جمال. الخانجي - القاهرة ١٩٩٠م.

- **ديوان حسان بن ثابت** - تح د. وليد عرفات. دار صادر - بيروت ١٩٧٤م.

- **ديوان الحماسة بشرح المرزوقي** - تح أحمد أمين وعبدالسلام هارون. مط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٦٧م.

- **ديوان أبي فراس الحمداني حسب الرواية المغربية** - إعداد د. محمد بن شريفة. صدر عن مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. الكويت ٢٠٠٠م.

- **ديوان أبي فراس الحمداني** بشرح ابن خالويه حسب المخطوطة التونسية - إعداد د. محمد بن شريفة. صدر عن مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. الكويت ٢٠٠٠م.

- **ديوان لقيط بن يعمر** - تح د. محمد التونجي - دار صادر. بيروت ١٩٩٨م.

- **ديوان المتنبي** - العرف الطيب بشرح ديوان أبي الطيب - ناصيف اليازجي - دار صادر. بيروت.

- **ديوان ابن المعتز** - دار صادر - بيروت.

- **ديوان النابغة الجعدي** - تح د. واضح الصمد. دار صادر. بيروت ١٩٩٨م.

- **سراج الملوك** - الطرطوشي. تح محمد فتحي أبو بكر. الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٤م.

- **سعيد بن جودي السعدي الألبيري الأندلسي (سيرته ومجموع شعره)** - جمع وتحقيق د. محمد رضوان الداية. مركز جمعة الماجد بدبّي ودار الفكر بدمشق ١٩٩٧م.

- **السيرة النبوية** - ابن هشام. بشرح الوزير المغربي. تح د. سهيل زكار. دار الفكر - لبنان ١٩٩٢م

- **شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن بشرح السرخسي** - ج١ و ٢ و ٣ بتحقيق د. صلاح الدين المنجد، ج ٤و ٥ بتحقيق عبدالعزيز أحمد. معهد المخطوطات العربية بالقاهرة: ١٩٧١م.

- **شرح صحيح مسلم المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم** - للقاضي عياض تح. د. يحيى إسماعيل. دار الوفاء - المنصورة - ١٩٩٨م.

- **شعر الخوارج** - جمع وتقديم د. إحسان عباس. دار الثقافة -بيروت ١٩٧٤م.

- **شعر ابن عبدربه الأندلسي** - صنعة د. محمد أديب عبدالواحد جمران - مكتبة العبيكان - الرياض ٢٠٠٠م.

- **شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي** - جمعه وحققه مطاع طرابيشي - مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٥م.

- **شعراء إسلاميون** - د. نوري حمودي القيسي - عالم الكتب. بيروت ١٩٨٤م.

- **الطبقات الكبرى** - ابن سعد. تح د. إحسان عباس. دار صادر. بيروت.

- **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي** - إعداد هشام سمير بخاري. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- **العقد الفريد** - ابن عبدربه - تح أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٢م.

- **عين الادب والسياسة** - ابن هذيل الأندلسي - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٥م .

- **عيون الأخبار** - ابن قتيبة - دار الكتب المصرية ١٩٢٥م .

- **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة** - الشوكاني تح عبدالرحمن بن يحيى وعبدالوهاب عبداللطيف. مطبعة السنة المحمدية - القاهرة.

- **فيض القدير شرح الجامع الصغير** - المناوي - تح حمدي الدمرداش محمد، مكتبة نزار مصطفى الباز . مكتبة الرياض ١٩٩٨م.

- **القاموس المحيط** - الفيروز ابادي. ط بولاق.
- **الكامل** - للمبرد ط. بيروت. وطبعة مؤسسة الرسالة بتحقيق د. محمد أحمد الدالي. بيروت.
- **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم** - التهانوي. بإشراف د. رفيق عجم مكتبة لبنان - ناشرون. بيروت ١٩٩٦م.
- **اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة** - السيوطي. دار المعرفة - بيروت ١٩٨١م.
- **لزوم ما لا يلزم** - أبو العلاء المعري - دار صادر - بيروت.
- **لسان العرب ابن منظور** - طبعة دار صادر - بيروت.
- **مجمع الأمثال** - الميداني - تح محمد أبو الفضل إبراهيم - البابي الحلبي - القاهرة ١٩٧٧.
- **مسند أحمد** - شرحه وضع فهارسه حمزة أحمد الزين. دار الحديث - القاهرة ١٩٩٥م.
- **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع** - علي القاري الهروي المالكي . تح عبدالفتاح أبو غدّة - الرياض - القاهرة ١٩٨٤م.
- **معجم البلدان** - ياقوت - دار صادر - بيروت.
- **معجم الشعراء الجاهليين** - د. عزيزة فوال بابتي - دار صادر - بيروت ١٩٩٨م.

- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي** - أ. ي ونسنك و ي. ب منسنغ. مط بريل ١٩٦٩م ليدن - هولاندة.
- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن** - أحمد فؤاد عبدالباقي - ط دار الشعب - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي تح مصطفى السقا. عالم الكتب - بيروت.
- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** - عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي - تح مصطفى السقا. عالم الكتب - بيروت.
- **موسوعة رجال الكتب التسعة** - د. عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٩٣م.
- **الموسوعة العربية العالمية** - ط ٢. الرياض ١٩٩٩م.
- **الموضوعات** - ابن الجوزي. تح عبدالرحمن أحمد محمد عثمان. المكتبة السلفية المدينة ١٩٦٦م.
- **نسب قريش** - المصعب الزبيري. تح ليفي بروفنسال. دار المعارف بمصر ١٩٨٢م.
- **نقد الشعر** - قدامة بن جعفر. تح كمال مصطفى - الخانجي بالقاهرة ١٩٧٨م.
- **نفح الطيب** - المقّري. تح د. إحسان عباس. دار صادر - بيروت.
- **الوافي بالوفيات** - الصلاح الصفدي. ج ١١ - إعداد د. شكري فيصل النشرات الإسلامية. فرانز شتاينر شتوتغارت ١٩٩١م.

- **الوسيط** - مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٩٣م.

- **يتيمة الدهر** - أبو منصور الثعالبي. تح محمد محيي الدين عبدالحميد - التجارية الكبرى القاهرة. ١٩٥٦م.



الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

أول الحديث	الصفحة
أأذن لك سيدك؟ قال: لا قال: لو قتلت لدخلت النار	١٨٦
ابغوني في الضعفاء فإنما ترزقون بهم وتنصرون	١١٥
أخاف أن يقال: محمد يقتل أصحابه	١٢٢
إذا أكثبوكم فارموهم، ولا تسلّوا السيوف حتى يغشوكم	٢٠٦
إذا لقيتم العدو فشعاركم " حم. لا ينصرون "	١١٧
ارموا واركبوا	٢١٣
أعطى الرسولﷺ الزبير ساعدي ديباج ليقاتل بهما	٢١٤
أفضل رباطٍ على وجه الأرض جزيرة الأندلس، شرقيها	٨١
اقطف القوم دابةُ أميرهم	١١٤
اللهم اكسه جمالاً	٢٣٠
اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض، فلما	١٩٨
اللهم أنت عضدي ونصيري بك أحاول وبك أصاول	٢٠٠
اللهم يسر لنا في سفرنا هذا التقوى، ومن العمل ما ترضى	١٠٠
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا :لا إله إلا الله، فإذا	٨٥
إن بيّتم فليكن شعاركم: " حم لا ينصرون "	١٩٨
أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً فأشرك معي	٩٨
أنا أفرس بالخيل منك	٣١٣
أنا أقتلك إن شاء الله	٢٦٠
إن الدين متين فأوغلوا فيه برفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا	١١٣
إن الله لا يضحك في يوم الحساب إلا للغزاة في سبيله، والكريم	٧٢
إن رجلاً توفي على عهد رسول اللهﷺ فقال بعضهم: يا رسول	٧٨
إن في الجنة مئة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله	٦٩

فهرس الأثر

فهرس الأمثال

فهرس الشعراء

فهرس الأعلام

فهرس الأمم والجماعات والقبائل

فهرس الأماكن

فهرس الأيام والغزوات والحروب

فهرس الكتب المذكورة في تحفة الأنفس

فهرس المصطلحات والألفاظ الخاصة

فهرس أبواب الكتاب